الاسنَاد الطبي في الجيوش العَربيَة - الاسْلاميّة

الحكيم

راجي عَباس التكريتي



الدكتور مروان خير



١٩٨٤

الجمهورية العراقية
منشورات وزارة الثقافة والاعلام
سلسلة الدراسات
(٣٧٠)

الاسنَاد الطبي في الجيوش العَربيَة - الاسلاميّة

الحكيم

راجي عبَاس التكريتي



الاهداء

الى شهداء الطبابة الابرار الذين نزفوا الدم من اجل حقن دماء الاخرين وفاضت ارواحهم فداء لارواح المقاتلين .

المؤلف


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

المقدّمة

ان تلج موضوعا لم يمخر في اعماقه الاخرون لا يخلو من متعة وفائدة واحساس بالرضا والسعادة احيانا والتفاؤل بأنك ستقدم شيئا جديدا ، ولكن وبكل تأكيد لا يخلو هذا المركب من صعوبة ومعاناة في ايجاد المصادر والغور في اعماقها لتجد اشارة هنا وبعض كلمات هناك ـ حيث لم تتطرق كتب التأريخ والسير والتراث عن الخدمات الطبية العسكرية والاسناد الطبي الا اشارة من خلال اصابة فلان أو توضيحا عن معالجة المقاتل كذا وانما تحدثت بأسهاب واطناب عن الجيوش والحروب والنهب والسلب والشجاعة والقتل والتدمير ولكنها لا تذكر عن الخدمات الانسانية والاطباء والمرضين الذين رافقوا تلك الجيوش والحملات الا لماماً .

وهكذا وجدت بعض الصعوبة في ايجاد المصادر المناسبة والكتب التأريخية الموافقة لما اريد التحدث عنه والكتابة فيه ، فربما تصفحت اجزاء عدة من هذا السفر أو ذاك دون ان اجد ولو كلمات قليلة مما ابحث عنه وابتغيه .

وقد فكرت باديء ذى بدء ان اخرج البحث على هيئـــة بحث قصير لاقدمه الى مؤتمر الجمعية الطبية العراقية وان لا يخرج عن بضع صفحات . ولكن مع الوقت استهواني البحث والاطلاع فاطلقت لنفسي العنان لمزيد من التقصي وتصفـّح الكتب والمؤلفات التي كتبت في التاريخ ، تأريخ الحروب والغزوات الاسلامية وكذا الكتب التي تناولت الطب العربي الاسلامي بشكله الواسع وذهبت ابعد من ذلك بالرجوع الى المصادر والينابيع التي استقى منها العرب .... معلوماتهم الطبية ، والتي تخص الحروب ـ انتزاع السـهام والازجة ـ والتعامل مع الجراحات الكبيرة والنزف ، فالاسلام لعب دوراً مهما ومميزا في تطوير هذا النوع من الطب ، الامر بالطب ، والتوصيـــة بالعلاج يمثل الركن المهم والمنطلق القوي لتطوير المعرفة الطبية وخـوض غمارها ـ دون تردد أو حرج . ومرافقة الآسيات ونساء المسـلمين للجيوش الاسلامية في صدر الاســلام ـ وتكريمهن من قبل الرسـول محمد (ص) يمثل العامل الثاني والقوي في تطوير الاسناد الطبي العسكري وكذا توصية الرسول الكريم بغسل الجراح في معركة احد بالماء المغلي ـ وهذا الركن المهم الثالث في نظافة الجروح وتعقيمها ومن ثم سرعة شفائها .

ونصب اول خيمة اسلامية في معركة الخندق ـ وغزوات الرسول لبني قريظة وبني النضير ـ الركن الرابع في حث الجيوش الاسلاميـة بتطوير وتشجيع الطب العسكري فيها .

ومع هذا كان قبل ذلك طب ومعرفـــة اذ كان كهان القبائل وعـراف العشائر والكثير من النسوة على اطلاع واسع بالتعامل مع الجرحى والقتلى الذين يخرون صرعى وجرحى في حروبهم وغزواتهم التي لم تنقطع ساعة ولم تهدأ يوماً من الايام وانحدرت تلك المعارف وازدادت العلوم الطبية بالخبرة والتجربة وكذا من الاقتباس والمحاكاة من الاقوام المحاذية لارض الجزيرة العربية ـ

الحبشة في الجنوب والرومان في الشمال والهند عبر البحار والفرس في الشرق ، وكانت حضارة ومعرفة ومدارس طبية هنا وهناك •

فالاسكندر على سبيل المثال عندما غزا الارض العربية واستقر لبعض الوقت في بلاد الرافدين - في مدينة بابل - كان قد جلب معه الاطباء • وفي ارض بابل قبل ذلك كانت هناك حضارة وثقافة ومعرفة بالطب ومعالجة الجرحى ممتدة بعيدا الى زمن السومريين - وشمالا كان ما يشابه ذلك في نينوى وآشور والحضر وتدمر والبتراء والانبار وسبأ •

نعم امتدت تلك المعارف وانتقلت الخبرة عبر الاجيال لتزداد في جانب وتقل أو تنعدم في جانب آخر • الى ان تلقفتها الدولة الاسلامية النامية والتي رعتها ودعمتها وشجعتها العقيدة الاسلامية وانتشرت وتطورت مع تطور العلوم والحضارة والمعرفة • وقد كتب الكثير عن الطب العربي • والطب الاسلامي في مختلف ادواره وعصوره ولكن لم يتطرق باحث أو كاتب عن الطب العسكري - أو الاسناد الطبي في الجيوش الاسلامية •

وهكذا كانت فكرة ومن ثم تحولت الى رغبة وشوق لخوض غمار هذا البحث الذي وجدت فيه زيادة بالمعرفة والاطلاع ورغبة وحبا في التحري والتعمق ، واضعا اول خطوة لألقي بعض الضوء على الطب العسكري وكيف بدأ لدى الانسان الاول وما هي المراحل التي مر بها والاقوام المجاورة لأرض العرب واحتمال انهم قد اثروا بالمعرفة العربية بالاختلاط أو الزيارات والحروب والغزوات ومن ثم تكلمت بعض الشيء عن المعرفة الطبية في العصر الجاهلي وسائرا مع التسلسل التأريخي ماراً بعهد الرسول الكريم • حيث كانت الاسس الصلبة لانطلاق الدين الجديد ونشر العقيدة وانتشار الجيوش الاسلامية لتحرير الارض ، وتحرير عقل الانسان العربي اولا وبقية الامم من الظلم والظلام وجهالة الاوثان والخرافات وعبودية الانسان ومواكبا

لتطور المعرفة لدى الدولة الاموية والدولة العباسية •• وكيف كان مستوى الطب العسكري في الحروب الصليبية مع اعطاء ملامح بسيطة عن وجه الاختلاف والتباين بين معرفة المسلمين ، وجهل الصليبيين بالطب والعلم والمعرفة بالجراحة الحربية •

كما تطرقت بايجاز عن الاسناد الطبي والخدمات الطبية في بلاد المغرب والاندلس في اوج ازدهارها ، وافردت فصلا كاملا ومطولا في جراحة الحرب وما ذكره المؤلفون في هذا الصدد من فطاحل وعباقرة الاطباء العرب والمسلمين كالزهراوي وابن القف وابن سينا والرازي وعلي بن عباس ••••

ولقد ذكرت امثالا ونقلت الكثير من النصوص كما هي من غير تغير أو تحوير لاضعها امام القارىء والباحث والمطلع واترك مجال الحكم له من غير ان استدرجه لاعطاء هذا الحكم او ذلك اخذا بنظر الاعتبار ان المؤلفين والكتاب هم القلة ممن يمارسون العلوم ويتعاطون الجراحة ، وحتى يومنا هذا ونحن نلاحظ في قطرنا او بقية الاقطار العربية وحتى في العالم الغربي ان الذين يمارسون الطب والعلوم والمعرفة هم اعداد لا تعد ولا تحصى ، والذين يسجلون ملاحظاتهم ويدونونها ويكتبونها وينشرونها لا تشكل الا نسبة قليلة وهكذا يمكننا ان نحاكي عصرنا الحاضر بتأريخنا الماضي من ان هناك معرفة وعلوما في الطب العسكري وجراحة الحرب ، ولكن الذين دونوها وكتبوها ــ وسجلوا معرفتهم وملاحظاتهم هم قلة وبالرغم من هذه المؤلفات والكتب القليلة التي كتبت قياسا الى الاعداد الكبيرة التي مارست الطب العسكري ــ فأن ما وصل الينا ما هو الا جزء يسير بعد ان ذهب القسم الاعظم من تلك السجلات والصفحات نهبا لظروف الزمن من حرق وغرق وتلف •

وان ما وصل الينا وما وقع تحت يدي لا يعدو الا ان يكـون نموذجـا بسيطا عن تلك المعرفة والعلوم .

فأن وفقت فأحمد الله واشكره بأني قد اصبت ما اصبو اليه من خدمة للطب والتراث والتأريخ وحققت بعض ما كنت ابغي واطمح اليه ، وان كان خلاف ذلك فلي عذر المحاولـة ومغفرة القارىء - ومعتذرا بكـوني هاويا للبحث وليس محترفا لكتابة العلوم والتأريخ .

ولا بد لي ان اعبر عن شكري وتقديري وعرفاني بالجميل الذي ابداه كل من الاستاذ الفاضل احمد توفيق الحلي من ملاحظات قيمة وتوجيهات سديدة صححت بعض هنات كانت موجودة في المسودة الاولى وكذا اشير بالتقدير والاعتزاز الى الملاحظات والارشاد الى بعض المصادر القيمـة التي اتحفني بها الاستاذ حسن الدبوني جزاهما الله عني خيرا .

ولا بد ان اشكر الاخ الصديق عبدالستار محمد ثابت الذي قرأ النسخة الاولى للكتاب وابدي بعض الملاحظات القيمة واشكر الاخ الدكتـور خلف رشيد على ملاحظاته السديدة .

آملا اني وضعت لبنة مفيدة في صرح الحضارة العربيـة الاسلاميـة ومكتبتها التي اعتقد انها تفتقر الى هكذا مؤلف .

والله من وراء القصد .

المؤلـف

نشأة الطب العسكري

طب الحرب وتضـــميد الجراح وايقـاف الدم المتدفق من الجروح ـ الطب العسكري ـ ان صح التعبير وشمل العلاج الاول ، له علاقـة بالطب العام وربما سبقـه •

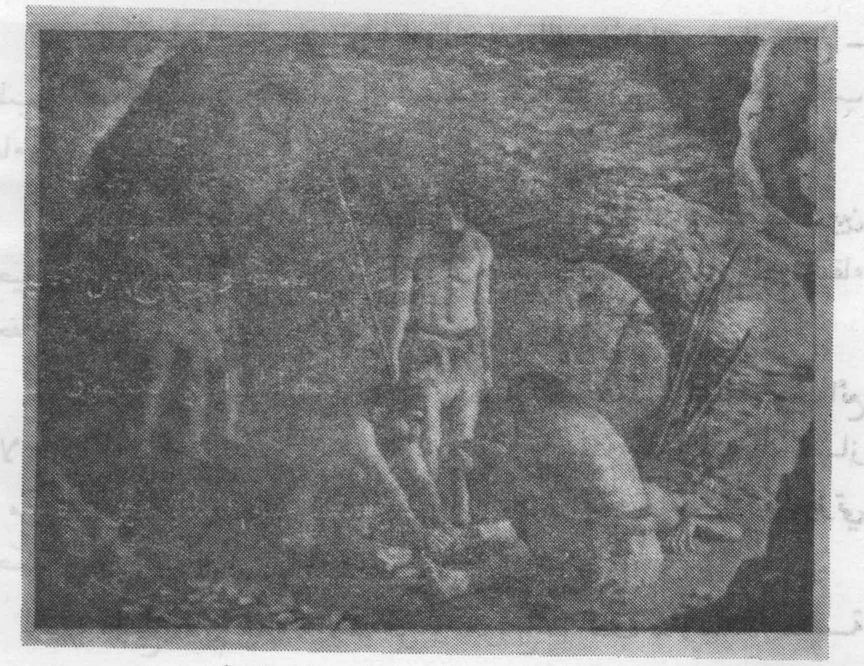
حيـاة الانســـان المتـوحشـــة الاولى التـــي كان يحياهـــا بين الحيوانات المفترسة والقبائل المتوحشـة ، والصـراع الدائم من اجل البقاء وحفظ النوع الانساني •••• و •••

والطب من اعرق المهن في التاريخ وانبلها •• وهكذا اجمعت الشـرائع والادبيات والقصص قديمها وحديثها على نبل وقدسيـة هذه المهنة لما تمتـاز به من علاقة مباشرة وارتباط متين بحياة الانسان وآلامه وآماله (ومن يؤتي الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا) ••

فهو تاريخ قديم جدا ، الامراض والجروح ـ الطب ـ وثيقـة الصلـــة بحياة الناس كل الناس ، قـويهم وضعيفهـم ، غنيهم وفقيرهم ، ســـيدهم

ومسودهم ، فما الامراض الا جزء من الحياة نفسها ... منذ ان بدأت الحياة على ارضنا ! ولكن متى ابتدأت الحياة على ظهر الارض ؟ لا يزال لغزا من الالغاز ، لا يدركها الا الله وان تكهن العلماء ، ووضعت النظريات والفرضيات ، والتخمينات ، المعتمدة على الاحتمال حينا وعلى شواهد واهنة احيانا اخرى ، وعلى خيال العلماء في اكثر الاحايين . والطب والعلاج وتضميد الجراح وقطع النزيف وتخفيف الالام بدأت مع بداية الحياة على هذه الارض .

فرغبة الانسان في طلب العلاج قديمة قدم مسيرته على هذه الارض مثلما بدأت لدى الحيوانات ، فالحيوان وبغريزة طبيعية يتمرغ في تراب الارض ليتخلص من مرضه الجلدي أو ان يحك جلده في جذع شجرة ليزيل عنه آلام



« عملية جراحية لدى الانسان الاول »

الحشرة العالقة بجلده أو اشواك تنغص عليه راحتـــه أو يلعق جرحه ليقتل جراثيمه الضارة لينظف ذلك الجرح ...

ويعرض نفسه للشـمس ليتخلص من بعض الامراض - والحشـرات المنتشرة في ثنايا جلده .

غير ان الانسام يتميز على الحيوان - باستخدام العقل والذكاء والمحاكاة والتجارب التي اكتسبها في ايام حياته الماضية بعد ان يختزن تلك المعلومات في ثنايا وتلافيف دماغه - انه العقل المسخر والتجارب المستمرة التي تكسبه مهارة تكون جزءا من حياته ومن ثم توجيه هذه المهارات ومنافعها المكتسبة في الوقت المناسب على نفسه أو افراد عائلتـه أو قبيلتـه - أو الافراد الذين يتعايشون معه - وبالقرب من كهفه أو مغارته أو غابته . وكل من احســـن استعمال هذه التجارب وافاد مجتمعه ، اكتسب ثقة مجتمعه واصبح مرجعهم في ملماتهم . وما نعرفـه عن هذا وذاك - عن الحيـاة والطب - لا يزيد على الحدس والتخمين واسـتقراء الاحداث وقياسا على مراقبـــة الحيـــوانات والشعوب البدائية التي لا تزال تعيش بنفس (أو بما يقترب من) اسلوب حياة الانسانالاول .

أو ما جاءت به بعض الصور والرسوم والاحجار والآلات الاوليـــة التي كان يستعملها الانسان في احدى مراحل حياته اذ ليس من الممكن ان الانسان الاول الذي سار وعاش على هذه الارض لم يترك أو يخلف أي شيء عن حياته ونمط معيشته واسلوب طعامه ومنامه ونوع امراضه وجراحــه واساليب التعامل في معالجة الامراض والجراح .

ولا تزال الاسئلة كثيرة ، حول الحياة ، والامراض ، والعلاج ، .

هل بدأ الطب لدى الانسان الاول الهاما من الله تعالى الى صفوة من الناس عند بدء الخليقة ؟

اهو خلق من خلق الانسان ؟ ام هو استنباط وممارسه مارسها الانسان الاول ؟

وان كان الامر كذلك فمتى حدث ؟ وكيف ؟ واين ؟

كيف نمت وتطورت تلك التجارب والمعارف على امتداد الايام والاشهر والسنين .... الطب العسكري وثيق الصلة بالطب العام وربما كان اسبق منه لظروف الانسان الاول واسلوب حياته وبيئته وصراعه الدائم من اجل الحياة.

فبداية الصراع والجرح والقتل احداث ارتبطت بالانسان كما جاء بالكتب السماوية وقصصه واساطيره والتي تناقلتها الاجيال عبر مسيراتها الطويلة ، كقصة قتل قابيل لاخيه هابيل .

كيف حدث الصراع - ومن هو البادىء في الاثارة والاعتداء ؟ وما هو نوع السلاح الاول الذي استعمل ؟ اهو حجر ؟ ام هي صخرة أم هراوة .. ام قطعة من جذع شجرة ؟

ومهما تكن الآلة البدائية فان النتيجة قادت الى جرح ورض واصابة قاتلة ذهب ضحيتها هابيل فندم الاخ على سوء فعلته تلك ، فبرزت الحيرة ولاح الارتباك حين لاحظ اخاه يتهاوى امامه ويخر صريعا مضرجا بدمائه ، وحاول ان يعمل شيئا ، اي شيء ، حاول ان يسعفه ويصلح من خطيئته بممارسته الطب العسكري - الاسعاف الاولي - لكنه عجز عن ذلك فاحتاج الى تداخل الجراح لمعاونته واصلاح فعلته النكراء وانّى يكون له ذلك !! ....

ومن ثم بعد ان لفظ اخوه انفاسه وسقط جثة هامدة عجز مرة اخرى عن التصرف بجثمان اخيه .

سهل عليه الضرب والقتل - ولكنه عجز عن الاسعاف والاخلاء - ومن ثم التعامل مع جثمان اخيه - اي ما اشرس الانسان عند اقتداره - ولكن

ما أضعفه عند فشله . فتصاغر عن جبروته ليكتسب المعرفة والخبرات الاولية ، من طير الغراب . ان الانسان المتعالي المتغطرس - يتعلم ويكتسب التجربة من الطير - من الغراب !!!

وهكذا تمضي الايام والسنون .. وتتكرر التجربة مرات ومرات ومع ذلك يرتكب الانسان الحماقة - يرتكب الخطأ - ومن ثم يعجز الفاعل عن اصلاح تلك الحماقة - أو تدارك ذلك الخطأ ان لم يتحامق ويصر على ارتكاب الخطأ حتى يصل الى اللاّعودة ويقع في الهاوية .

لقد لعبت التجربة والملاحظة والمحاكاة وتكرار الشيء في ارساء القواعد الاولية للطب - والطب العسكري بشكل خاص - ولا زالت تلعب نفس الدور .

رعاف من الانف - بعد صداع شديد وارتفاع ضغط الدم ...

ومن ثم الراحة من الصداع بعد الرعاف ...... واذا ما تكرر الصداع تكررت الحالة السابقة لديه أو ان اشتكى اليه شخص آخر يتحايل الانسان على نفسه أو على زميله لاحداث الرعاف .

والاستفراغ بعد صيد سمين واكلة ضخمة وتخمة كبيرة يتبعها غثيان وكرب وقلق وتهوع ومغص وقراقر وريح جوالة في البطن . وبعد الاستفراغ يجد ان نفسه قد سكنت وطابت سريرته ... وهكذا يقدم عليها من ذاته ، أو ينصح بها غيره عند حدوثها .

أو اصابة سهم أو شدخة من شجرة ، أو شوكة كبيرة وبعد ان تمكث فترة يصيبها التعفن والتقيح وتسقط تلك الشدخة أو ذلك السهم وهكذا عندما يصاب بها مرة اخرى - يحاول تلويث الجرح حتى يسقط السهم أو ان يتمرغ في التراب لقطع النزف - ويكرر مرة اخرى وضع التراب على الجرح لقطع تدفق الدم من الجرح .

ومن هنا قال ابقراط : ، الطب قياس وتجربة .

الانســان البدائي ومنذ آلاف الســنيين الى يـومنا هذا يحتمي من الحيوانات المفترسة ويعالج نفسه أو زميله في الغاب والكهوف والوديان من جروح أو كسور أو رضوض ...

وان الغريزة الانسانية قد لعبت دوراً مهما في معالجة جروحه وآلامه ومن ثم المراقبة والتجربة ، ذلك الانسان البدائي - قد جرح اثناء صـيده الحيوانات أو الصراع مع الافراد ....

ولابد انه قد ادرك أن استمرار النزيف يميته .. ولاحظ ان الجروح الصغيرة يتوقف نزيفها تلقائيا ... واكتشف لنفسه أو لغيره طريقة لايقافه... بواسطة الضغط على موضع الاصابة أو ربط الجروح ربطا محكما .... أو بتغطيتها بأوراق الاشجار أو يتناول بعض النباتات - فخفت آلامه - وهكذا تم الاهتداء الى الافيون والكينا والكافين وغيرها ... [1]

وهنا يقول (سارتون) في كتابه (تاريخ العلم) انها معرفة تجمعت من تجارب عملية منذ اماد بعيدة - ومن محاولات واخطاء استمرت مئات والاف السـنين . ومن المسـتحيل علينـا ان نفهـم : كيف ؟ وكم تكررت تلـك التجارب ؟ [2]

وكيف قيمّت نتائجها .... وكم هدرت من الضحايا لهذا الاسلوب في العلاج أو ذاك وما عدد اولئـك الذين كتب لهم الشـفاء بالصدفـــة أو باستعمال هذا العلاج او الاخر ....

لكن الحقيقة الواقعـة - لابد انهم جربوا النباتات ... والتراب ... واللعاب ... والرماد ... لمعالجة الجروح بها .

وجربوا طرقا بسيطة لتجبير العظام المكسورة أو المخلوعة ....

---

(١) - الدكتور فهيم ابادير (من تاريخ الطب عند العرب) ص١٠

(٢) - جورج سارتون : تاريخ العلم جـ١ ص٥٠ ،

انها الضرورة .. انها الحاجة ـ اذا تهشمت ساق رجل من عضة حيوان مفترس أو اثر سقطة من جرف ـ أو جبل منهار ...

فلابد من اجراء سريع ، ولتلافي الضرر ولاخذ العلاج ، أي نوع من العلاج للمريض أو المجروح أو المكسور من اوائل المهن التي احترفها الانسان(١)

والى نفس المنحى والاتجاه يذهب (عمر فروخ) في كتابه (تاريخ العلوم عند العرب) فهو يقول :

« احتاج الانسان القديم الى معالجة الاجسام التي تخرج عن الطبيعي ... وبعد ملاحظات وتجارب امتدت الوف السنين حتى انشاء الطب الفطري المبني على الظن .. وهكذا كان الحكماء والكهان والسحرة يتوارثون صناعة الطب .(٢)

وكثرت حاجة الانسان القديم الى معالجة الجروح والكسور لكثرة المعارك والمنازعات ولكثرة تعرضه للوحوش المفترسة .

وجرب الانسان ـ وربما نجح واحيانا وفشل احايين اخر في معالجة الكسور ـ ووقف النزيف وانتزاع السهام ـ ومعالجة مواضع اصابتها في الجسم وقد يلعق الجرح كما يفعل الحيوان ....

حتى يومنا هذا اذا ما اصيب اصبع الشخص بجرح أو رض فهو يضع ذلك الاصبع في فمه تلقائيا لتخفيف الالم أو لقطع النزف .

---

(١) ـ جورج سارتون ـ تاريخ العلم جـ١ ص٥١

(٢) ـ عمر فروخ ـ تاريخ العلوم عند العرب ـ دار العلم للملايين بيروت ص٣٢

سارت عجلة الزمن ، ومرت السنون وتعاقبت الاجيال ، وتطورت المعرفة وتراكمت التجارب ومن خلالها برز اشخاص معينون فاصبحوا النواة الاولى للطب والاطباء ....

منذ ٦٠٠٠ سنة ونيف - كان السومريون في جنوب العراق يستعملون الآلات المعدنية ويصنعون الالات الدقيقة ، كان ذلك قبل الطوفان وقبل مغادرة سيدنا ابراهيم لمدينة اور وقد وجدت عقاقير منومة مع وجود عقاقير التجميل في حجرة وفاة ملكة « اور » ومن هنا يمكن ان نستدل ونستنتج ان السومريين في مدن ارخ ، واور ، وكيش ، ولكش كانوا على علم « بالاقرباذين » وليس هذا فحسب وانما استخرجت ضمن اثار هذه المنطقة مديات نحاسية منقوش عليها نصوص طبية مما يجيز وجود جراحين مارسوا مهنة الجراحة في تلك الفترة التاريخية . وفي مكتبة اشور بانيبال ٦٦٩ - ٦٢٦ق . م عثر على اكثر من ثلاثين الف لوحة طينية منها ثمانمائة لوحة نقشت عليها نصوص طبية[1] وعثر في كيش على نص تصويري يرجع تاريخه الى مايقرب من ٤٢٠٠ سنة قبل الميلاد . وكذا عثر على قوالب منقوش عليها نصوص طبية .

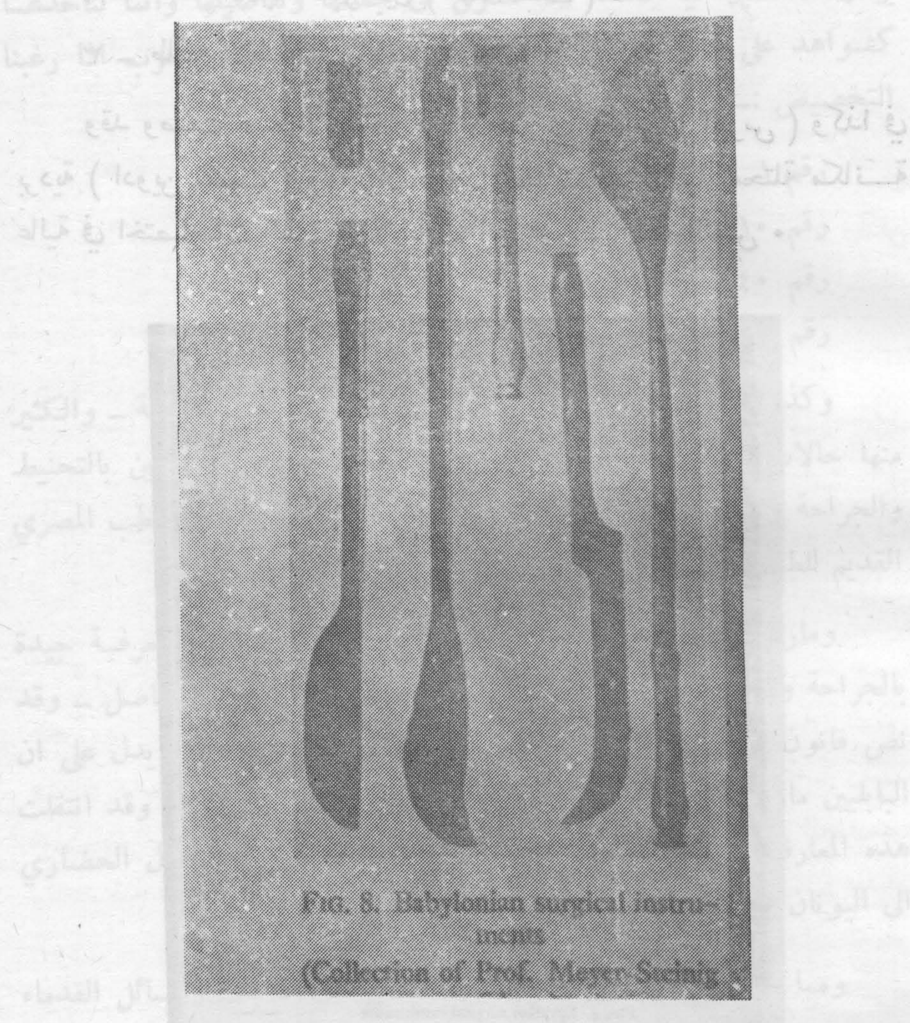
وفي مصادر اخرى تتكرر نفس الرواية عن الاثار الطبية المكتشفة في حفريات المدن القديمة ، ففي حفائر مدينة اور القديمة التي اكتشفت على مقربة من مصب الفرات خاتم طبيب سومري عاش حوالي سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد وقد اكتشفت كذلك سكاكين من النحاس يغلب الظن والحدس والتقدير المنطقي انها كانت تستعمل كمباضع للجراحة في تلك الحقبة من الزمن[2]

ولدى قدماء المصرين - كانت الجروح النظيفة تعالج بالخياطة والاربطة اللاصقة - والجروح الاخرى تعالج باللحم الطري اول يوم ومن ثم بالعسل

(١) - حسن كمال - الطب المصري القديم ص٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤

(٢) - جوزيف جارلند - ترجمة سعيدة عبدة - قصة الطب ص٢٣

والاعشاب القابضة ، اما الكسور فقد عولجت بنجاح واستعملت الجبائر في علاجها[1] .



« ادوات جراحية بابلية »

وفي مصر القديمة برز ثلاثة اصناف من اطباء الفراعنة :ـ

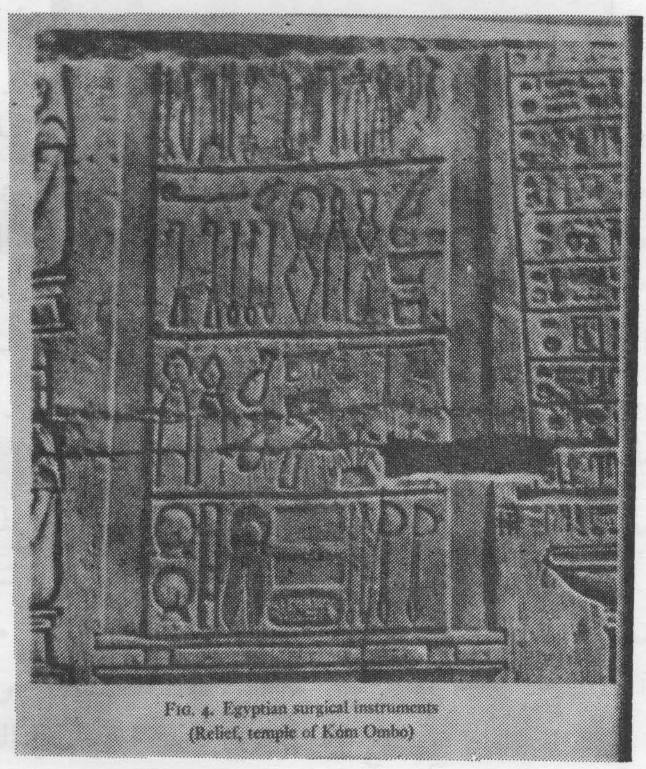
١ ـ طائفة الاطباء الباطنيين .

(١) ـ ابادير ـ ص١٤

٢ ـ طائفة الاطباء الجراحين (كهنة سمث)

٣ ـ طائفة الاطباء الروحانيين ٠

وقد وصفت هذه الاصناف من الاطباء في قرطاس (ايبرس) وكذا في بردية (ادوين سميث) ولا تزال هذه الاصناف من الاطباء محتلة مكانة عالية في اختصاصات الطب ـ الاطباء ـ الجراحين ـ اطباء النفس ٠


Fig. 4. Egyptian surgical instruments
(Relief, temple of Kôm Ombo)

« ادوات جراحية فرعونية »

وكان الجراح المصري مزودا بكثير من الالات كالمدية والمبضع والمسبر والكماشة ٠

وفي بردية (ادوين سميث) حالات كثيرة تدل على أنها حالات حرب

ومنها ما نشير اليه كأمثلة ولا تتطرق الى جملتها وتفاصيلها وانما لنأخذها كشواهد على ممارسة الجراحة بصورة عامة ـ وجراحة الحرب اذا رغبنا التخصيص :ـ

رقم ١ حالة جرح بالرأس واصل العظم .
رقم ١٠ جرح فاغر على الحاجب وواصل العظم .
رقم ٤٠ جرح بالصدر .
رقم ٢٧ جرح فاغر بالذقن .

وكذا فان قرطاس (ايبرس) يحوي حوالي ٢٧ حالة جراحية ـ والكثير منها حالات ذات علاقة بالجروح الحربيـة وان براعـة المصـريين بالتحنيط والجراحة وعلم التشريح لشواهد راسخة على الممارسة العملية للطب المصري القديم للطب العسكري[١] .

ومارس الانسان البابلي والمصري التشريح وكانت لهم معرفـة جيدة بالجراحة وفي علاج الجروح والكسور ووقف النزيف وخلع المفاصل ـ وقد نص قانون حمورابي على مواد خاصـة بالطب والجراحـة مما يدل على ان البابليين مارسوا الجراحة والتجبير والكسور وجراحة العيون . وقد انتقلت هذه المعارف مع غيرها عبر ممرات برية وبحرية وبفضل الاتصال الحضاري الى اليونان فكانت تلكم بداية لنهضة علمية يونانية[٢] .

ومما جاء في اثار سكنة الرافدين الاوائل وفي كتابات ورسائل القدماء عن التشخيص والانذار في الطب الاكدي ليدل دلالة واضحة وصريحـة على تـواجد الطب والاطبـاء المهتمين بمعالجـة المقاتلين واسعافهـم واعطاء التشخيص والانذار بحالتهم ـ ومن ذلك قولهم :

---

(١) ـ عمر فروخ ـ تاريخ العلوم عند العرب ص٨٢
(٢) ـ الدكتور ياسين خليل ـ الطب والصيدلة عند العرب ١٩٧٩ ص١١

— اذا اصيب في صدره وكان به نزف وكان يهذى فانها يد (لرجال)*
وقد اصيب بهذا قبل ذلك وانه سيموت .[1]

— اذا كان الرجل مصابا بكدمة على اثر رضة من الامام وكان الجزء المحيط بها مشلولاً فأن هذا من مظاهر الكدمة وانه سيموت .[2]

— اذا اصيب الرجل بكدمة على اثر رضة وبدا كأنه معافى تماما ولكن صدغه قد اصيب وكان يختلج بصورة مستمرة فأن الذي قد امسك براسه سوف لا يعفيه[3] .

فهذا الوصف الصريح عن الكدمة والرضة والنزف وتأثيرها على مستقبل وحياة الجريح لهو دلالة واضحة على تواجد الطب والجراحة العسكرية لدى الاكديين حيث مارس الانسان البابلي والمصري التشريح وكانت لهم معرفة جيدة بالجراحة وعلاج الجروح والكسور ووقف النزيف وخلع المفاصل[4]

ومن أهم الوثائق التاريخية التي خلفها لنا البابليون هي شريعة حمورابي وكذا من الاهمية بمكان ما تركه الاشوريون في مكتبة آشور بانيبال وفيها المئات من الالواح الطينية الخاصة بالطب والجراحة - وفيها معلومات مهمة خاصة بالامراض العصبية واخرى بالامراض الجلدية والتناسلية واخرى بالحمل والولادة - والجراحة والكسور - وعمليات العيون - وفي كلتا الحضارتين حضارتي بابل وآشور اخترعوا واستعملوا الالات الجراحية وحددوا شكل واجور وعقاب العمليات الجراحية فشريعة

---

(١) — « لرجال » من المعتقدات القديمة بوجود اسباب أو الهة على غرار معتقدات الاغريق بعدهم تسبب الحياة او الموت .
(٢) — الدكتور عبداللطيف البدري — التشخيص والانذار في الطب الاكدي — ص٧٣
(٣) — الدكتور عبداللطيف البدري — التشخيص والانذار في الطب الاكدي ص١٩١
(٤) — الدكتور ياسين خليل — الطب والصيدلة عند العرب ١٩٧٩ ص١١

حمورابي ـ اول شريعة مسجلة في التاريخ جاء فيها مواد صريحة وواضحة عن الطب والجراحة فالمادة ٢١٥ ـ اذا اجرى طبيب عملية جراحية لشخص ونجحت هذه العملية ـ أو فتح خراجا ووالى علاجه حتى تم الشفاء تقاضى اتعابا قدرها عشرة اشقال فضة .

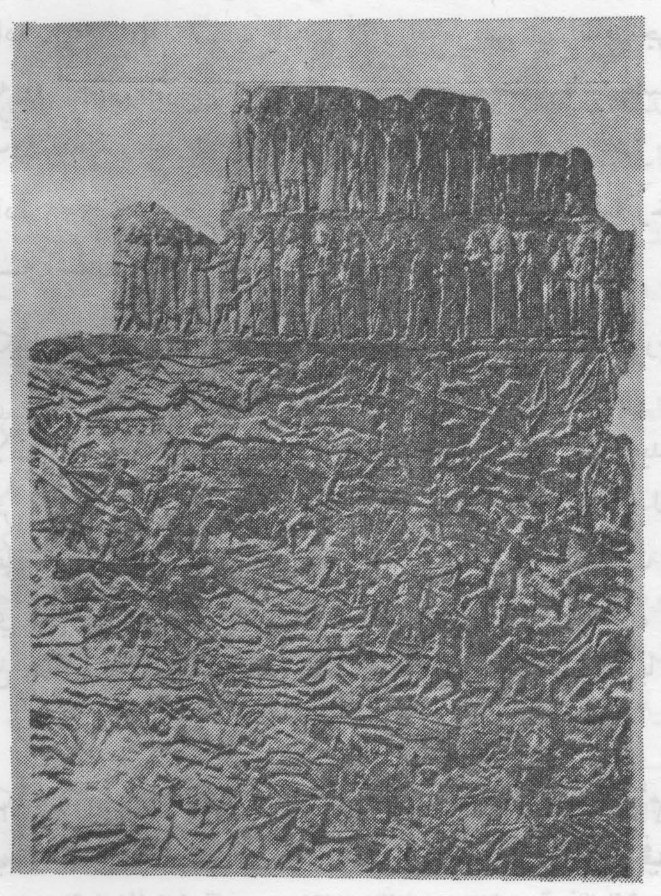
والمادة ٢١٨ ـ اذا تسبب طبيب في وفاة مريض في اثناء اجراء عملية جراحية له أو اجرى لمريض عملية في عينه ونتجت عنها عاهة مستديمة تبتر يد الطبيب .

والمادة ٢٢١ ـ اذا جبر طبيب عظام مريض أو أشفى عظاما رخوة تقاضى المجبر خمسة اشقال فضة .

وهكذا جاءت هذه النصوص القانونية التي سجلتها حضارة الرافدين الاولى من خلال الملك العظيم ـ حمورابي ـ دلالة واضحة على مدى تقدم الطب والاطباء والجراحين ومراقبتهم وتحديد اجور عملهم وتحديد العقوبات التي تفرض على من يمارس الطب من غير معرفة أو دراية تؤهله للقيام بتلك الاعمال على الوجه الاكمل . فالطبيب هو الذي يجري العمليات الجراحية وهو الذي يجبر الكسور ـ لا ان تترك للجهلة من الحلاقين والحجامين والجزارين ـ كما كان ذلك هو السائد في عموم دول اوربا وحتى الى عصور ما قبل النهضة .

وهكذا ورد ذكر الجراحة سواء اكانت الجراحة العامة أم جراحة الحرب في نصوص عديدة ـ منها الكتابات الطبية واخرى في الشرائع وثالثة في الرسائل المتبادلة بين مختلف الناس ورابعة في الادب والملاحم والقصص وبرعوا في استئصال الاجزاء المتموتة في الاطراف بضمنها العظم اذا ما حدث به التموت ـ اما عن الكسور فأنهم حذقوا في تثبيتها ـ وكذلك معالجة الجروح الكبيرة بالخياطة ـ وفي هذا لدلالة اكيدة على تواجد الطب

العسكري وجراحة الحرب ـ وان كان لا يعرف بالضبط كيف تم ذلك ـ ومن هم ـ وكم كانت نسبتهم في الجيوش ؟ وهل هم الأطباء المدنيون ام هناك عسكريون ـ يلازمون المعسكرات ـ ويرافقون الجيوش بحلها وترحالها بغزواتها وهجومها وانسحابها •

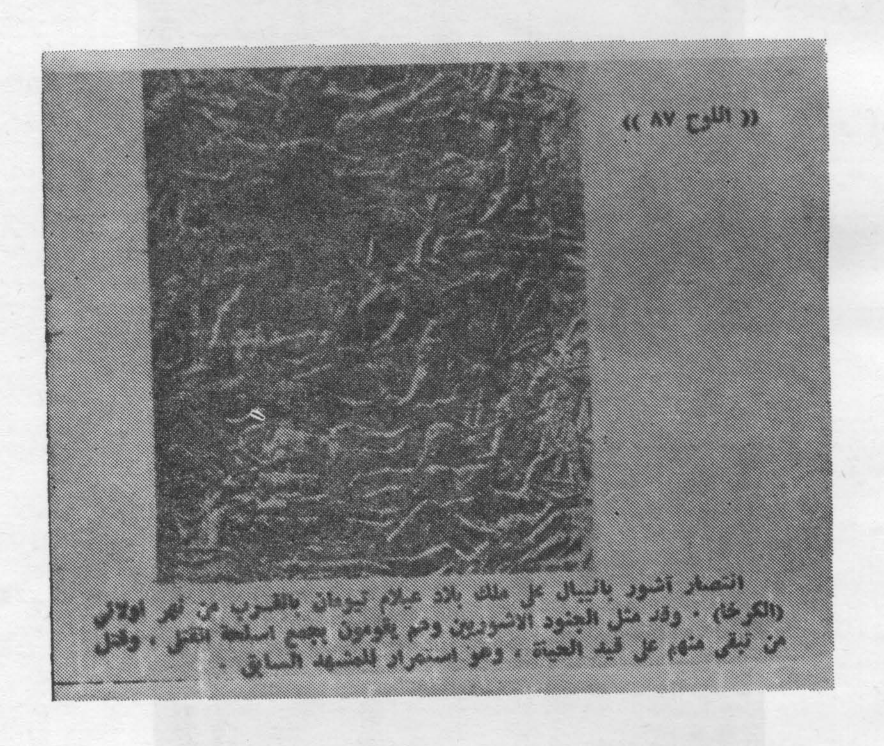


مسلة انتصار اشور بانيبال على الملك تومان ملك العيلاميين

ان اكتشاف الات جراحية على ضفاف الفرات ممتدة حتى العهد السومري لدلالة على ان الجراحة كانت ممارسة من قديم الزمان[1]

(١) ـ الدكتور عبداللطيف البدري ـ الطب الاشوري ص ٠ ز

وفي العهد الحديث للدولة الآشوريـة ـ كان الطب يزاول من قبل اطباء محترفين للمهنة الطبية ـ ويعرف من يزاول المهنة بلفظة (اسو) وكبير الاطباء « رب آسي » والمساعد (شانو ـ شارب آسو) ولا يعرف بالضبط ـ ولم تشر المصادر والاثار التي عثر عليها فيما اذا كان الاشوريون يستصحبون معهم الاطبـاء في حملاتهم العسكريـة ام لا ؟ حيث ان ما عثر عليـه من



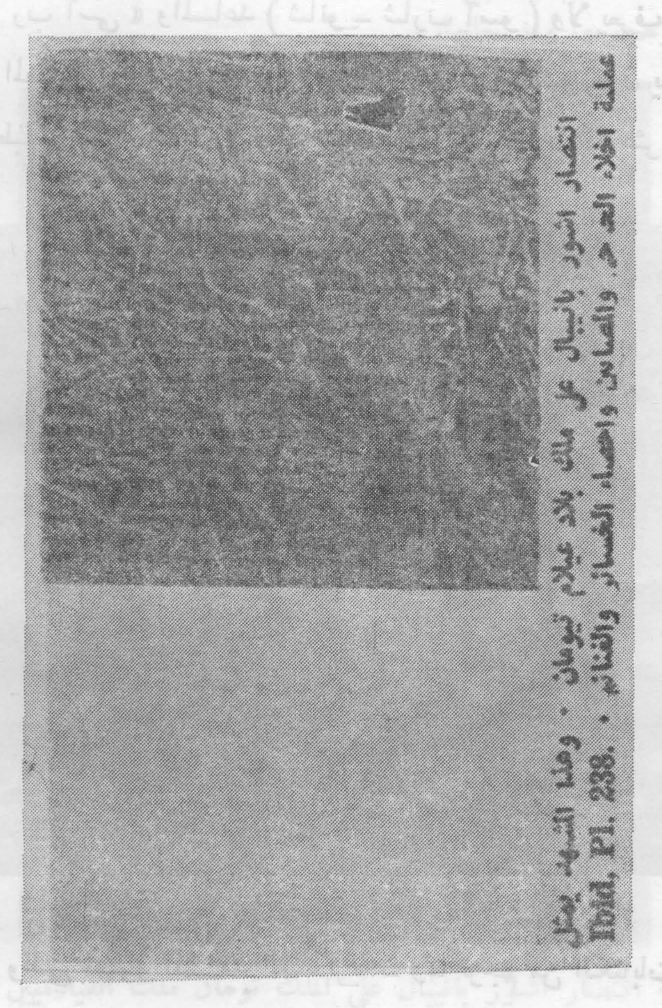
انتصار آشور بانيبال على ملك بلاد عيلام تيومان بالقرب من نهر اولاي (الكرخا) . وقد مثل الجنود الاشوريين وهم يقومون بجمع اسلحة القتلى ، وقتل من تبقى منهم على قيد الحياة ، وهو استمرار للمشهد السابق .

منحوتات والتي تصور المشاهد العسكرية ـ وما ترجم من الكتابات التي عثر عليها ـ لاتوجد فيها اشارة واضحة وصريحة الى مرافقة الاطباء للحملات العسكرية[1] .

---

(١) ـ يوسف خلف عبدالله .. الجيش والسلاح في العهد الاشوري الحديث ص٤٨

ومع هذا ـ فهذا لا ينفي ان هناك خدمات طبية من اسعافات اولية ـ للجرحى واناسا مهتمين بدفن القتلى واخرين يأخذون على عاتقهم معالجــة المرضى من المقاتلين .



انتصار آشور بانيبال على ملك بلاد عيلام تيومان . وهذا المشهد يمثل عملية اخلاء الجرحى والقتلى واحصاء الغنائم والقتلى . Ibid, Pl. 238.

ففي احدى المنحــوتات التي عثر عليهــا في آثار الدولــة الاشوريــة ـ يشاهد جندي يساعد جريحا على الانسحاب من ساحة المعركة وهو يحمي

ظهره وظهر الجريح بترس ، في حين اتخذ من المركبة التي تسير امامـه درعا للاحتماء بها اثناء الانسحاب خارج ساحة القتال وربما الى مكان تجري فيه للجريح الضمادات والاسعافات وربما كانت هذه المركبة مخصصة للاسعاف



جندي آشوري جريح . يحاول انقاذه احد رفاقه من حملة الآراميين .
adin(1), P. 300.

والخدمات الطبيـة وان عدم ذكر الاطبـاء أو تصـويرهم لا يعني انهم لم يستخدموا في الجيش أو يرافقوا في الحملات العسـكرية .

واذا ما أشارت كتاباتهم الى الاسرى والقتلى والجرحى والخسائر لابد ان هناك اطباء أو جنودا ينحصـــر واجبهم بالاشراف والسهر على هولاء الجرحى ودفن القتلى أو حرقهم •

فهذا (بيل آبني) يعلم آشور بانيبال نتائج القتال في احد المعارك التي خاضها ضد الاعداء للدولة الاشورية :

« نتيجة لتقدم قوة معادية لمهاجمة قواتنا ، قد استطعنا من صـــدها ودحرها ، فقتلنا ١٧ رجلا وجرحنا ستين آخرين فيما هرب البقية أما خسائرنا فكانت ٢٠ جريحا»[1] •

وقد ذكر في احد المصادر بأن (زيرتو) و (بلتيائي) و (دار دينو) ••• الخ كانوا يمارسون مهنة الطب ـ الا انه لا يعرف عن هـولاء وغيرهم الكثير •• مما اذا كانوا يمارسون مهنة الطب المدني أم انهم كانـوا اطباء عسكريين أم لا ؟ (٢)

وبخاصة ان الدولة الاشورية كانت دولة عسكريـة وتعطي للامـور العسكرية الاولية •

ولم تظهر المرأة في الكتابات والمنحوتات الاشورية الا ماندر ـ سواء اكان ذلك في الخدمات الاجتماعية أم الحياة اليومية أم الخدمات العسكرية ـ لان المجتمع الاشوري كان مجتمعاً رجاليا ـ وإن وجدت اشارات هنا وهناك بأن الفتيات كن خاضعات للخدمة في دور (مصانع) النسيج في المدن وكانت الخدمة الزامية وبخاصة من عامة الشعب والعبيد •

وقد حفظت القوانين للمرأة المتزوجة حقوقها اذا وقع زوجها في الاسر اثناء قيامه في مهمة مكلف بها من الدولة وتعطي لها جراية أو مؤونة على ان تبقى تنتظره ريثما يعود ولمدة سنتين ••••

---

(١) ـ يـوسف خلف عبدالله ـ الجيش والسـلاح في العهد الاشـــوري الحديث ص٨٥ ، ٨٦

(٢) Jones, Vol. II P. 140.

وبهذا عملت الدولة الاشورية بما تمليه الضرورة الحربية من كفالة لعائلة المقاتل ودعم عملي في رفع المعنويات حتى وهو اسير بما يجلب له الراحة النفسية ويمكنه من الصمود امام ضعفه وهوان الاسر - والانشغال بزوجته واطفاله بان الدولة قد تكفلت بما يضمن ويؤمن حاجتهم المعاشية الى ان يفك من الاسر ويعود المحارب - الى عائلته - وكانت القوانين تحرم الاجهاض وتعتبره جريمة يعاقب عليها بالاعدام ... والمرأة التي تموت وهي تحاول اجهاض نفسها تعاقب بعد وفاتها بالحرق ....

وهذا عقاب رادع فيه جوانب دينية ونفسية لمنع من تسول له نفسه الاستهانة بحياة الانسان وبخاصة وان الدولة الاشورية دولة حروب ومنازعات - امتدت من داخل بلاد فارس وحتى مصر - وهذه الحروب - بحاجة الى رجال لحمل السلاح والتضحية في سبيل الحفاظ على كيانها وسلامتها - وكذا فان المصانع - والزراعة بحاجة الى أيدي عاملة اخرى ، لادامة قوة الدولة وفرض سيطرتها وهكذا تشددت القوانين الاشورية لحماية الطفولة وحماية الانسان منذ بداية تكوينه ..

ومع قلّة ذكر النساء في كتب التاريخ لكننا وجدت هناك اشارات حول دورهن في العمل وعلى الواجبات التي حتمها عليهن المجتمع والاسرة القيام بها فمثلا كن يقمن بواجبات المساعدة في عمل بعض التجهيزات العسكرية وفي الخدمات الضرورية كأعداد الطعام مثلا بعد انتهاء القتال في حالة التحاقهن بازواجهن - وبخاصة اللواتي تقرر ان يرابط ازواجهن في مناطق مفتوحة - أو مناطق نائية - او في المناطق الحدودية[1] .

وقد جاءت بعض وصفات الطب الاشوري للاصابات العسكرية - وهي كثيرة تشير البعض للتدليل وليس للشمول :-

(١) - يوسف خلف ص٣٠٧

ـــ عندما تكون نتيجة الضربة على المقدمة ـ فلتلطيف الايدي والارجل ـ براعم الكبد ـ ـ وبراعم الصمغ ـ ونبات انيوهورا ـ والحنة ـ والتفاح •

ـــ اذا حدث تسمم ضربة ـ السماق والبنج والشيح والبلسم والحنة وامزجها بكوب •[1]

ـــ اذا اصيب باثر ضربة على القفا فاطحن له نصف (قا) من الكتان ـ وانشرها على جلده وهي ما زالت ساخنة •

ـــ اذا مرض الرجل من ضربة على جنبه فخذ نبات قدم الغراب ذي السبعة رؤوس ـ ونبات الكمأ والسماق وجففها وتطحنها وتنخلها ـ وتخلطها مع الدقيق الناعم ـ في ماء حار تعجنها وتنشرها على الجلد ولفها ما دامت حارة وسوف يشفى[2] •

وقال (ورن دوسون) في كتابه ص١٢٨ (ان المعلومات التي ظهرت من هذه الابحاث اثبتت ان الطب الاشوري كان متقدما عن الطب المصري وان كان هناك تشابه بين نصوص القطرين الطبية حيث يمتزج الطب بالسحر ـ وتواجدت لدى الاشوريين طائفة من الكهنة والاطباء توفروا على الطب الباطني عرفوا بأسم (آسو) عالجوا الجروح والقروح والكسور ولدغات الافاعي •

ويتواجد الاطباء ، وكذا تواجد الجراحون ـ لمعالجة المرضى اثناء السلم ـ لابد ان انصرف البعض منهم لمعالجة المرضى والجرحى من العسكريين سواء اكانوا في ثكناتهم في فترات السلم ـ وهي قصيرة لدى الدولة الاشورية التي بنت مجدها وكيانها على القوة والحروب المتواصلة

---

(١) ـ عبداللطيف البدري ـ الطب الاشوري ص١١ ـ ٣ و ١١ ـ ٥
(٢) ـ جوزيف جارلند ـ ترجمة الدكتور سعيد عبدة ـ قصة الطب دار المعارف بمصر ص٣٨١

والفتوحات المتكررة ، أم في مصاحبة الجيوش في غزواتها وحروبها واسعاف جرحى المعارك الكثيرة الطاحنة التي خاضتها الجيوش الاشورية والتي غزت بلاد فارس وحطمت جيوشها في عقر دارها على نهر الكرخا كما وانها فتحت بلاد سوريا وفلسطين وحتى مصر .

وموقع الجزيرة العربية الجغرافي وتوسطها في العالم القديم المعروف حينذاك وموقعها على الطرق التجارية والسوقية البرية منها والبحرية جعلها على اتصال دائم وتماس مباشر مع تلك الامم المجاورة ومرور القوافل عبر اراضيها وحتى الجيوش الغازية كانت لابد وان تمر عبر ممراتها ووديانها وهضابها - مؤثرة في اهلها متأثرة بهم .

وكان لتلك الامم المجاورة طب وحضارات ولجيوشها اطباء وجراحون ورجال اسعاف يرعون جراح رجالهم بأي اسلوب طبي بدائي - أو متطور بالنسبة لتلك الحقبة من الزمن .

ولابد لسكنة الجزيرة العربية وبخاصة اولئك الذين كانت مدنهم وقراهم على طرق القوافل التجارية أو التي كتب عليها ان تمر الجيوش عبر اراضيها ومزارعها وقراها - أو المدن الواقعة على السواحل حيث تمر بها الاساطيل الحربية والتجارية - ان استفادوا وتأثروا بخبرة وعلوم الاخرين من الاقوام والجيوش الغازية .

فعندما جرح « بور بيلوس » مثلا تحت اسوار طرواده قال : (لباتروكلوس) « اغثني يابا تروكلوس وخذني الى السفينة السوداء ثم انزع السهم من فخذي وازل الدم الاسود عن الجرح بالماء الدافيء ثم انشر عليه بلسما شافيا من تلك الاعشاب الطبية التي قد عرفت اسرارها عن (اخيك) عن شيرون ابر القنطاريين » (١)

---

١ - جوزيف جارلند - ترجمة الدكتور سعيد عبدة قصه الطب - دار المعارف بمصر ص ٣٨٠

فالسفينة السوداء ربما كانت علامة مميزة عن السفن الاخرى كمستشفى ليسهل معرفتها والتوصل اليها في عرض البحر وتفريقها عن السفن الاخرى ونزع السهم والغسل بالماء الدافيء ، والاعشاب الطبية ، اساليب مميزة في معالجة الجروح واصابات الحرب •



« باتروكلس يجري عملية جراحية »

وكانت هناك حضارات ، وعلوم وعلاج الجروح في مصر - بلاد الهكسوس الرعاة - والفراعنة ، والحبشة ، والفرس ، واليمن هي التي بلغت شأناً متقدما بالحضارة والبناء والهندسة وما رواه مؤلفو اليونان واللاتين من عظمة اليمن - ومما جاء في تلك الانباء ان اليمن كانت مقرا لاقوى دول الارض دام حكم ملوكها ثلاثة الآف سنة وانها قد غزت بلاد الهند والصين من الشرق وبلغت بغزواتها مراكش من المغرب •

فدولة هذه رقعتها من الارض وتلك قصورها واثارها وحضارتها وزياشها وارائكها والتي غزت جيوشها هذه البلدان النائية ـ فلابد ان يكون لها طب واطباء وعلاج للناس في سلمهم ونعيمهم ـ واثناء الحروب التي فتحت بها تلك الامصار والبلدان . وبعد ان ضعفت قدراتها وتنعم امراؤها وملوكها وشعبها وطمع بها الاحباش وغدت تحت حكمهم ـ ومن ثم تنافس قادة جيوش الحبشة حول ملكها حيث اقام ارياط بأرض اليمن سنين في سلطانه ثم نازعه في امرها ابرهة الحبشي .

فلما تقارب الناس واستعد جند الطرفين لملاقاة بعضهم ببعض بدافع الانانية على القيادة والتملك ارسل ابرهة الى ارياط رسالة يقول فيها :ـ

ـــ انك لا تصنع بأن تلقي الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئاً ، فابرز اليّ وابرز اليك فاينا اصاب صاحبه انصرف اليه جنده .

فأرسل اليه ارياط :ـ

ـــ انصفت

فخرج اليه ابرهة وكان رجلا قصيراً مكتنزاً لحما

وخرج اليه ارياط وكان رجلا جميلا عظيما طويلا وفي يده حربة . وخلف ابرهة غلام له يقال له ـ (عنودة) ـ يمنع ظهره فرفع ارياط الحربة فضرب ابرهة ـ يريد يافوخه ـ فوقعت الحربة في جبهة ابرهة فأصابت حاجبيه وانفه وعينه وشقت شفته ولذلك سمي « ابرهة الاشرم » وحمل (عنودة) من خلف ابرهة على ارياط فقتله ، نسوق هذا المثل للدلالة على تواجد الاطباء والطب والجراحة . حربة تصيب حاجب وعين وأنف شخص وهي ضربة مميتة ـ ولكنه يعالج جراحيا وطبيا . بأي شكل من

الاشكال ؟ لا تذكر كتب التاريخ والقصص شيئا ... ولكنه يعالج ويتم شفاؤه ويحكم ، فأذن لابد وان كانت هناك جراحة وطب تعالجان هكذا جريحا وتشفيه .

والحيرة شهدت تاريخاً حافلا بالحضارة والثقافة ــ وكانت قصورها مؤثثة بأثمن الاثاث ، وحدائقها فياحة بازكى الازهار وقواربها الانيقة الساطعة الانوار تشق الفرات ليلا حاملة اغنى الامراء وامهر الموسيقيين والمطربين واطلق العرب لأنفسهم الخيال فقصوا علينا انباء القصور الساحرة العجيبة التي اضحت لا ريب اجمل مساكن الشرق .(١)

وبجانب هذا التقدم والازدهار والحضارة كان هناك شعر وشعراء يتنافسون في ارضاء ملوك الحيرة ... واطباء حاذقون في الحيرة في عهد اللخميين وظلت الحيرة محافظة على شهرتها في الطب حتى في العصر الاسلامي واشتهر منهم حنين بن اسحاق العبادي وكان ابوه اسحق صيدلانيا يعمل في الحيرة(٢)

---

(١) ــ لوبون حضارة العرب ص١١٦

(٢) ــ الدكتور السيد عبدالعزيز السالم ــ تاريخ العرب في عصر الجاهلية دار النهضة القومية ص٢٩٩

طب العرب قبل الاسلام

مما يؤثر عن العرب ان اهل البادية منهم كانوا في حروب مستمرة. تقاتل كل قبيلة اختها فأن لم تجد القبيلة من تقاتله .. قاتل ابناؤها بعضهم بعضا حتى قال شاعرهم :-

واحيانا على بكر اخينا   اذا ما لم نجد الا أخانا

ولهذه الحروب المتواصلة والقتال المستمر والغزوات التي لا تهدأ من. ثمار .. ثمار الحرب - والقتل - والجراح المثخنة .. الجراح منها ما هو مميت ومنها ما هو قابل للشفاء ، ولايمكن ان تترك الجروح تنزف على رسلها. ولا يترك الجريح بدون محاولة لانقاذه من جروحه ومن نزفه ومن آلامه المبرحة .

هذه المحاولة التي تقدم الى الجريح بأي شكل من الاشكال هي. المعالجة - وهي الاسعاف - وهي الطب العسكري بأسط صورة ... حتى. ذهب المثل السائر : - عالج الامر -

اذن اشتراك القبيلة في الحرب يتبعه قتلى وجرحى ومصابون ومن ثم من يتعامل مع هؤلاء القتلى والجرحى فوجد الاطباء ـ أو الكهان أو العرافون ـ أو الجراحون ـ والمعالجون ـ لانقاذهم من جروحهم وتخليصهم من آلامهم وجميع هذه المحاولات التي تبذل هي من اجل العلاج واصبح لكل قبيلة في الجاهلية أناس متمرسون في هذا العلاج ـ اكتسبوا خبرتهم بالوراثة والمراقبة والتجربة ـ وعرفوا بالاطباء ـ وكلمة الاطباء ـ مأخوذة من الطب أي ـ تداري وترفق وتلطف ـ وتكاثر الاطباء في كل قبيلة لان وجود القبيلة يتبعه اشتراكها في الحرب للدفاع عن وجودها وكيانها .

ولكثرة الغزوات واشتراكها في الحرب يعني وجود جرحى ومصابين ، اضافة الى ذلك كان هناك اتصال وثيق بين العرب والحبشة والفرس واليونان والرومان ... وكان في هذه البلاد طب واطباء يعنون بحالة الجرحى في الحروب ولابد والحالة هذه ان اقتبس منهم العرب الطب والمعرفة ومعالجة الجرحى .. وللعرب قبل هذا كان لهم حضارة بعيدة في القدم حضارة عاد وثمود وطسم وسبأ وحمير وسد مأرب وهو اقدم سد خزان عرفه التاريخ[1] . ولايعرف عن حقيقته اكثر من انه عمل فني وهندسي عظيم ... والبلد الذي يتاح له مثل هؤلاء المهندسين الذين يقيمون هذا السد ؟ ايعقل ان يكون خلوا من الاطباء ؟

وان كان تاريخ السد مجهولا فأن السد نفسه موجود ، أفلا يجوز ان يكون تاريخ الطب في اليمن مجهولا هو الاخر ! مع الحاجة الملحة لوجوده اكثر من الحاجة الى سد مأرب .

ان العلوم والثقافة والحضارة تنتقل من محل الى اخر ـ تنقلها التجارة وتقتبس من المجاورة وتمليها وتفرضها الحروب ـ انتقلت العلوم من الشرق

(١) ـ احمد حسين القرني ـ قصة الطب عند العرب ص٤ ، ٥ ، ٦

الى اليونان في الغرب ـ ثم انتقلت من اليونان الى العرب ـ ومن ثم اخذها الاوربيون عن العرب ...

ثم عاد العــرب ليأخذوهــا عن الاوربين «وتلك الايام نداولها بين الناس »(١)

وكانت لهم دراية بالجراحة ـ فأذا ما ارادوا قطع عضو فسد شأنه لئلا يسري الفساد الى بقية الجسـم ، ولا صلاح للجسـد الا ببتره أو أرادوا التخلص من غدة زائدة ـ احمّـوا شفرة بالنار لتطهيرها ، ثم قطعوا بها ذلك العضو أوتلك الزائدة . وعلى نحوها مافعلوا بصخر بن عمرو بن الشريد زعيم قبيلة بني سليم اصيب « يوم ذات الاثل » حين غزا صخر بن عمرو بني أسد فركبوا حتى ـ تلاحقوا بذات الاثل فاقتتلوا قتالا شديدا وتمكن ربيعـة بن ثور الاسدي من طعن صخر في جنبه ، وفات القوم بالغنيمة وجرى صخر من الطعنة فكان مريضا ـ وبقي المرض يلازمه بما يقرب من الحول ـ حتى مله اهله وبخاصة زوجته ـ حيث سمعها تكلم امرأة من جاراته جاءت تسأل سلمى زوجته عن حاله :ـ

ـ كيف بعلك ؟ فاجابتها سلمى :

ـ لا حيّ فيرجى ولا ميت فينسى لقد لقينا منه الامرين .

وكانت تسأل أمه عن حاله .

ـ كيف صخر ؟ فكانت تجيبهم ألام :

ـ أرجو له العافية ان شاء الله .

ـ وقد سمعها صخر فقال في ذلك :

---

(١) ـ قران كريم ـ ال عمران (١٤٠)

أرى ام صخر لا تمل عيادتي | وملت سليمى مضجعي ومكاني
فأي امرئٍ ساوى بأم حليلة | فلا عاش الا في شقى وهوان
وما كنت اخشى ان اكون جنازة | عليك ومن يغتر بالحدثان
لعمري لقد نبهت من كان نائما | واسمعت من كانت له اذنان
اهم بأمر الحزم لو استطيعه | وقد حيل بين الصبر والنزوان

رجل شجاع وقوي وفارس مقاتل تصيبه طعنة في جنبه فتدفع حلقه من الدرع داخل جسمه ويطول المرض به ، ولابد ان حدث نزف موضعي – وجرح وتلوث وما يرافقه ذلك من ارتفاع في درجة الحرارة وألم وسهر ويبدأ الجسم بالضعف وقلة المقاومة – وتستطيع ان نلمس ذلك واضحا في ابيات الشعر التي رددها وهو يقارن بين احاسيس زوجته واحاسيس امه ولما تحمل من الام جسدية وآلام مبرحة حتى قلّ الصبر لديه وطال به البلاء وقد نتأت قطعة من جنبه مثل اليد في موضع الطعنة واشاروا عليه :

– لو قطعتها لرجونا ان تبرأ

جاء هذا الاقتراح الطبي الجراحي بعد ان نفد صبره وسمع من زوجته ما افقده الثقة بأقرب الناس اليه – واصبح يساوي بين الحياة المذلة المترعة بالالام الجسدية والنفسية ولذا جاء جوابه يعبر عما يحس به من آلام مختلجة في نفسه :

– شأنكم !!

فكان جوابه مقتضبا مستسلما كمن فقد الارادة والرأي والثقة بكل شيء •

وهكذا اقدموا على معالجتها بالجراحة – جاءوا بالجراح وقطعوا القطعة فمات ! [١]

---

(١) – ابن عبد ربه – العقد الفريد جـ٥ ص١٦٦

متى مات ـ أثناء العملية ـ بعد العملية بساعات أم بأيام ـ لم نجد لذلك سجلا واضحا ـ وهل كان موته من اثر النزف اثناء العملية ـ أم من انتشار العفن المجتمع في موضع الاصابة .

وكل عرفناه انه مات في اعقاب العملية بعد ان تم بتر القطعة الناتئة من موضع الاصابة ـ تم ذلك من قبل الطبيب الذي كان له دراية بالجراحة ـ اي الجراح !!

ولا نريد ان نذهب بعيدا بالتأويل ـ والفرض ـ عما تكـــون تلك القطعة ـ اهي فتق في موضع الاصابة ؟

ام انه قيح قد تجمع ؟

أم أنه « ام الدم » ؟

ولكن كل ما نريد ان نعلمه ، ويعلمه غيرنا ، ونشير اليه ، انه كانت هناك جروح وهناك جراحون يتعاملون مع تلك الجراح سواء اكان هؤلاء عرافين وكهنة واطباء أم جراحين للتعامل ومعالجة وتطبيب تلك الجراح .[1]

وبالاعتماد على الحوادث وقصـص الحروب والغزوات التي نستدل بها على حياة الناس واسلوب عيشهم وعلاجهم نورد قصة اخرى نبين فيهـا ونستنبط من حوادثها مدى معرفة عرب الجاهلية بالطب والجراحة والعلاج وتخصص النساء في ممارسة علاج الجروح ـ وذلك انه في « يوم اللوى »[2]

وهو يوم خلدتـه كتب التاريخ كان لغطفـان على هوازن وقت ان غـزت هـوازن غطفان ـ وتبعتهم فزارة وقاتلتهم وقتل فيها عقيد القـوم عبدالله بن الصمة

---

(١) ـ القرني ـ قصة الطب عند العرب ص٣٨

(٢) ـ ابن عبد ربه ـ العقد الفريد جـ٥ ص١٦٨

وارتث[1] « دريد بن الصمة » فبقي بين القتلى فلما كان في بعض الليل اتاه فارسان فقال احدهما لصاحبه :

– اني أرى عينه تبص[2] فأنزل فأنظر الى سبته[3] فنزل وكشف ثوبه فأذا هي ترمز[4] فطعنه فخرج دم كان قد احتقن .

قال دريد :

فافقت عندها ،

فلما جاوزاني نهضت ، قال فما شعرت الا أنا عند عرقوبي جمل أمرأة من هوازن .

فقالت : من انت ؟ اعوذ بالله من شرك .

قلت : لابل من انت ؟ ويلك !!

قالت : امراة من هوازن ، سيارة .

قلت : وانا من هوازن وانا دريد بن الصمة .

قال : وكانت في قوم مجتازين لا يشعرون بالوقعة فضمته وعالجته حتى افاق .

وعاش دريد عمرا مديدا وادرك الاسلام ولم يسلم وقتل كافرا يوم حنين .

وللاستدلال والاستنتاج من هذه القصة ومن حوادثها نشير الى معرفة الفارسين بتشخيص حالة الجريح بأنه وان كان بين القتلى فأنه ليس بميت

---

(١) – ارتث : ان يحمل الجريح من المعركة وهو ضعيف قد اثخنته الجراح

(٢) – تبص : تبرق ، تلمع

(٣) – سبته : استه

(٤) – ترمز : تضطرب

بالاعتماد على بصيص عينه ابتداء وبفحص استه بعدها ـ وافاق الجريح بعد ان طعن الفارس الدم المحتقن في منطقة الاست • ومن ثم ادراك المرأة بحالة الجريح المغمى عليه بعد ان اثخنته الجراح واعادت اليه وعيه ـ بعد ان كاد يهلك من نزف الدم من جسمه ـ فلابد انها قد استعملت بعض النباتات والذرور لايقاف النزف ـ ومن ثم علاجها ـ من غير تلوث ولا تعفن أو التهاب ـ ليعود الى حالته السابقة في اتم صحة ـ ويرجع الى حياته الماضية في ركوب الخيل والمطاردة والنزال •

وبما ان للطب صلة بحياة الانسان والامه واسلوب معيشته ـ وقد احتاج اليه منذ ان سارت قدماه على هذه الارض ـ فأحاطها بهالة من الرهبة والقدسية والغموض وكان يمارس الطب العراف والسحرة والكهان •

ومنذ الخليقة والعصر العربي الجاهلي وامتدادا الى حياتنا المعاصرة فان الطب محاط بهالة من السمو والرفعة• وفي العصر الجاهلي كان الطب يضفي مزيدا من التبجيل والشرف العظيم على من يمارسه ، فللطبيب مكانة كبيرة عند العرب قال « المرتضى » في حديثه عن زهير بن جناب وهو يصفه بأرفع الالقاب للتدليل على سمو منزله وعلو مقامه :

« كان سيد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم ووافدهم الى الملوك وطبيبهم وحازى قومه »(١)

وهكذا جمع هذا الرجل صفات نبيلة كثيرة منها ـ الطب والكهانة وقد كان الكهان يداوون المرضى •

ونظرا لظروف العرب في الجاهلية التي فرضت عليهم التنقل دائما وهم في حل وترحال وراء الكلأ والمراعي فكان لابد من اصطدام المصالح وكان لابد من النزاع والغزو ـ بل كانت القبائل لا تهدأ اما غازية أو مغزوة معتدية

(١) ـ الحزه ـ الكهانة

معتدى عليها ـ ناهبة أو منهوبة ـ فلذا لم تترك لهم حياتهم تلك ان يتركوا نصوصا طبية مسجلة(١) أو نصوصا فيها وصفات لأدوية مارسوها للشفاء من الامراض أو علاج الجروح وانما كانوا يمارسون العلاج بشكله العلمي ويتناقلون ويتعلمون بعضهم عن البعض ـ بالمراقبة ـ والاقتباس ـ والوصف ...

واكثر ما ذكر من اسماء الاطباء هم اطباء المدن ـ حيث نشأوا في المدن واقاموا في الحضر وتعلموا من اطباء محترفين ...

اما الاعراب فقد كان لهم اطباء حسب مفهومهم ـ ولكن طبهم هذا هو طب العرف والعادة طب موروث يداوي بالوصفات التي داوى بها الاباء والاجداد دون تغير أو تبديل ـ وهو طب بدائي تقليدي متداول عبر الاجيال ويعتمد في مداواته على قدرة القبيلة ـ وما يجده الطبيب حوله من نبات واعشاب وحيوان ونار فيداوي بها ، ولا تزل طبابة البدو موجودة بينهم لحد الان ، ويأتي بعضهم الى المدن ونجد بين اهل المدن من يثق بطبهم ويتعامل معهم .

ولا يوجد اتصال بين طب البادية والطب الخارجي الا لدى بعض القبائل القاطنة على مقربة من الحواضر .

وقد عرف طب البادية بـ « طب الاعراب » وبطب البادية و دواء الاعراب أو دواء البادية(٢)

ويكون الشفاء عند العرب في ثلاثة :

شربة عسل وشرطة محجم وكية نار ، لذلك جاء في حديثهم « آخر الدواء الكي »(٣)

---

(١) ـ جواد علي ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام جـ٨ ص٣٨١
(٢) ـ جواد علي جـ٨ ص٣٨٩
(٣) ـ جواد علي جـ٨ ص٣٩٠

وعالجوا بـ « العيد » وهـو شجر جبلي يضمد بلحائـه الجرح الطري فليتئم[1]

والبلسم ... من المواد المهمة في المعالجات الطبية وقد اشتهر كثيرا في الطب القديم ليس عند العرب فحسب ولكن لدى اكثر الامم الاخـرى . ـ ويتـداول هذا الاسـم حتى يـومنا هـذا حيث يضـرب بـه المثل في الشفاء .. وبرزت شهرته في معالجة الجروح خاصة ، وهو مادة صمغية تضمد بها الجراحات ويساعد على شفائها . وموطنه بلاد الحبشة ـ وله انواع عدة واشهر انواعه الجيدة « بلسم جلعاد » عند العبرانيين وهو ذو رائحة عطرة وقد مدحه الاطباء واثنـوا عليـه في معالجـة الامراض والجروح[2] وكذا استعمل العرب لحاء نبات « العقد » لتضميد الجراح الطرية فتلتئم وذلك لخاصية فيه[3] .

واستعملوا الزيوت في معالجة عدد من الامراض والجروح فأستعملت في معالجة البطنة مثلا ، ولكن الاكثر شيوعا في اسـتخدامها بعد غليهـا وتوضع على الجرح لقطع النزيف منه ولتعقيم ذلك الجرح حيث يشكل طبقة عازلة تمنع التلـوث ولا تزال هـذه الطريقـة شائعـة لدى البدو الرحل والاعراب[4] ولقطع نزيف الدم المنبعث من الجروح اسـتخدموا الرمـاد لوضعه على الجرح الحديث ويشد بعد ذلك .

حيث عرفوا ربط الجروح بشده حتى يقف الدم فينقطع ، واستعملوا الضماد والمناديل لمنع الدم من الخروج من الجروح ـ ومن ذلك جاء قول العرب :

ضمد الجرح ـ أي شده ـ

---

١ ـ جواد علي ـ المفصل جـ ٨ ص ٣٩٥ تاج العروس جـ ٢ ص ٤٣٨
(٢) ـ جواد علي ـ المفصل جـ٨ ص٣٩٦
(٣) ـ جواد علي جـ٨ ص٣٩٥ تاج العروس ٢ ص٤٢٧
(٤) ـ جواد علي جـ٨ ص٣٩٦

وحرق الحصير والصوف والوبر والمواد القابلة للاشتعال واستعمال رمادها بعد الحرق مباشرة لقطع النزيف وهذه الطريقة لا تزال مستعملة وبكثرة في القرى والارياف والطب الشعبي حتى في المدن وهي اسلوب جيد لأن الرماد المحروق يكون معقما وكذا بعض انواع الرماد لها خاصية قطع النزيف وتشكل طبقة عازلة عن التلوث الخارجي .

أو وضع الملح على الجرح لايقاف نزيف الدم منه ، ولمعرفة عمق الجروح ومقدار غورها استخدموا آلة يسمونها «المسبار» و «السبار» وهو فتيل يجعل في الجرح ، ويعبرون عن مداواة الجرح بقولهم آسى الجرح - أي داواه وشفاه[1] .

وكذا استعملوا « الزقوم » في معالجة الجروح وتشير المستشرقة الالمانية « رنكة » في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب) « وفي مداواة الجروح تقليد عربي قديم هو تعبير اصيل عن عبقرية العرب ذلك ان عرب الجاهلية قد ابدعوا في مداواة الجروح المعدية (الملوثة) ووجدوا لها وسيلة لم تكتشف الا في قرننا العشرين وكان لها صدى عظيم ونعني بها مضادات الجراثيم Anteibiotic فمن سروج حميرهم ودوابهم حصلوا على المواد المضادة للجراثيم (البنسلين) وعلى دواء (الهليون)
وصنعوا منها مراهم عالجوا بها جراحاتهم الملتهبة[2] .

وقد كانت الحروب من المصادر التي غذت المنطقة العربية الجنوبية بمادة دسمة من الاوبئة قد كانت تأتي على عدد كبير من الناس فتتركهم جثثا تتعفن على ظاهر الارض ، كما كانت تأتي على مواطن السكن ومواضع الحياة

---

(١) - جواد علي - المفصل جـ٨ ص٣٩٨ ، ص٣٩٩
(٢) - رنكة - شمس العرب تسطع على الغرب ص٢٨١

وتأتي على ما يملكه الناس وتزيد من مشكلة الفقر ، وتبعد الناس عن النظافة فتهيء بذلك للاوبئة امكنة خصبة لتعيش فيها وتعبث كيف تشاء ، ودليل ذلك ما نجده في كتابات المسند من اشارات الى امراض واوبئة تعم المناطق المنكوبة بالحروب حيث تكتسح من الاحياء مالم يتمكن السيف من اكتساحه منهم • [1]

وكان للتطبيب في العصر الجاهلي مذاهب شتى فمنهم :ـ

١ ـ الكهان والعرافون ـ وهم الكثرة •

٢ ـ العلاج ـ وهم القلة •

وكهان العرب ـ كبقية الكهان في مناحي الارض وعلى مدى العصور والازمان يعالجون بالدعاء والاحاجيب[2] والغيبيات والسحر والرقى •

وبهذا يقول عروة بن خزام :

جعلت لعراف اليمامة حكمة ... وعراف نجد ان هما شفياني

فقالا : نعم نشفى من الداء كله ... وقاما مع العواد يبتدراني

فما تركا من حكمة يعلمانها ... ولا سلوة الا بها سقياني

ونرى نفس الشاعر يقول في موضع آخر :

اقول لعراف اليمامة داوني ... فأنك ان داويتني لطبيب[3]

وفي هذا البيت من الشعر نستدل دلالة واضحة الى وجود الطب والاطباء في العصر الجاهلي • واشارة الى سمو ورفعة مهنة الطب ومكانة الاطباء في

---

(١) ـ جواد علي ـ المفصل ـ جـ٨ ص٤٠٦

(٢) ـ مفردها حجاب ، جمعها احاجيب او التمائم جمع تميمة كقول الشاعر :
واذا المنية انشبت اظفارها الفيت الف تميمة لا تنفع

(٣) ـ في هذا البيت يدل على رفعة منزلة الطبيب بقوله اذا داويتني ولم يشترط الشفاء •

العصر الجاهلي حيث ان عراف القبيلة عادة يكونون من عقلائها واصحاب الرأي فيها ولكنه هنا يشترط بعراف اليمامة ان داواه فأنه سيسمو الى منزلة الاطباء .

اما الاطباء المعالجون ومنذ اقدم الازمنة فأنهم يعالجون بالعقاقير والنباتات على نحو ما كان يفعل المصريون كما كانت لهم دراية بالجراحة ومعرفة بأسماء الاعضاء الظاهرة والباطنة منها ووظائفها واوصافها .

لقد ورد في بعض الاثار انه كان من حذاق اطبائهم رجل من قبيلة « تيم الرباب » يقال له (حذيم) اشتهر بالطب وبرع به حتى صار مضرب المثل وفيه يقول الشاعر الجاهلي اوس بن حجر ، وهو استاذ زهير بن ابي سلمى :-

فهل لكم فيها الي فأنني بصير بماعيا النطاسي حذيما[1]

وما هي صفاة وعلم حذيم الطبية وحكمته التي جعلت شاعر عصره ان يسميه (النطاسي) ويتمثل به ويخاطب قومه راجياً تشبيهه حذيما علما فلابد وان كان حذيمة على درجة كبيرة من العلم والمعرفة ....

ولكن من هو حذيم ؟

وما هو علمه ؟

وما هي معرفته ؟

اننا لا نعرف عنه شيئا الا ما تناقلته كتب ودواوين الشعر .

واذا كنا لا نعرف عن حذيم الكثير فأذن فلابد واننا لا نعرف اي شيء عن الاخرين الاقل شهرة منه .

(١) ـ جرجي زيدان ـ تاريخ التمدن الاسلامي ج٣ ص٢٥

واذن كان للعرب اطباء وكان لهم طب واساليب في العلاج والجراحة فاذا لم يصل الينا منها شيء فليس ذلك بدليل على عدم وجوده .

واجاد العرب في الوقاية الطبية والاحتراس من الامراض وعدم مخالطة الاشخاص المصابين بأمراض معدية كالجدري والجذام والطاعون وغيرها من الامراض التي عرفت بشدة عدواها واجادوا انواعاً معينة من الجراحة وبخاصة ما له علاقة بجراح الحرب واخراج السهام ومعالجة الجروح وتعقيمها وكيها وقطع النزيف كما ادركوا اهمية الدم النقي في العلاج ـ ولكن كيف ؟

لا نعرف حيث لم يصل الينا منها شيء مدون وانما وردت كأمثلة متناقلة منها « دماء الملوك شفاء من داء الكلب »

أي ان دماء الملوك والاشراف ـ لانها نقية كما كان يعتقد ـ تشفي من عضة الكلب وكذا تشفي من الجنون وفي هذا دليل على انهم ـ يشخصون داء الكلب ـ وكذا يربطون علاقة الدم النقي بالعلاج وقصة الزباء ملكة تدمر وهي تقتل حزيمة الابرش قاتل ابيها وقد فصدت راهيته وتركت دمه ينزف في طشت من الذهب وتقول :

« صونوا دم الملك ، ان دماء الملوك شفاء من داء الكلب » .

وكان في وادي الرافدين اربعة مذاهب للمعالجة :

أ ـ المعالجة بالنصح والاحتراس ـ الطب الوقائي ومثلهم السائر « الوقاية خير من العلاج » .

ب ـ المعالجة بتشخيص المرض ووصف الادوية النباتية والحيوانية والمعدنية ـ الطب المزاجي ـ الطبيعي

جـ ـ المعالجة بالسحر والطلاسم ـ الطب النفسي .

د ـ العلاج بالجراحة والتحنيط واستخدموا الحشيش والافيون للتخدير عند اجراء العمليات .[1]

وفي عصر قبل الاسلام درس نفر من اهل الحضر ومن البدو شيئا من الطب في فارس وبلاد الروم وكانت لهم براعة في الجراحة وامراض العيون وعلاج الاسنان وقلعها وتركيبها وفي فن التجميل[2]

ومن طبهم انهم يحرقون وبر الابل ويتخذون منه ذرورا لوقف الدم السائل من الجروح .

— وعرفوا نبتة اذا عالجوا بها الملسوع حسنت حالته على الفور .

— واذا لسعته عقرب أو افعى اما ان يفصد في موضع اللسعة أو يمص الدم قبل ان يدب دبيب السم الى نواحي الجسم على ان يكون الفم واللسان سليمين من اي جرح صغر ام كبر خوفا من تسرب السم الى الجرح[3] .

والطب من فروع العلم المحظوظة بالنسبة الى فروع العلم الاخرى عند الجاهليين فنظرا لعلاقته بحياة الناس وآلامهم وشفائهم فقد اشير اليه في الشعر والحكم والامثال والقصص واشير الى اسماء نفر من الاطباء ـ ممن اشتهروا بالطب والحكمة .

أو انهم عالجوا بعض الرجال من الشعراء ورؤساء القبائل والملوك . فجاء ذكر الحارث بن كلدة الثقفي والنظر بن الحارث وابن ابي رمثة التميمي وحماد وكلهم قد بدأ حياته الطبية قبل الاسلام ومن ثم ادرك الاسلام وعاصر

---

(١) ـ عمر فروخ ص٨٤

(٢) ـ عمر فروخ ص٢٧٣

(٣) ـ القرني ص٥٢

الرسول (ص) وبفضل هذه المعاصـرة ذكرت اسمـاؤهم في كتب الحديث والسير والاخبار .

ولولاها لكان شأنهم شأن غيرهم ممن لم يهتم بهم احد ولم يصـل اسمهم الى الاجيال التي تلتهم وصاروا نسيا منسيا[1]

وقد عالج الاطباء الجروح بوضـع الخرق بعضهـا فـوق بعض على الجرح – اي بتضميده بها ، ويقال لذلك «الغميل»[2] وكانوا اذا ارادوا تعريق المريض غملوه اي غطوه بالثياب ليعرق ، فيشفى من البرد والزكام .
والعصابة والضماد أو الخرقـة تشد فـوق الجرح أو الرأس أو اي موضع من الجسم الم به الالم . فكانوا يضمدون الرأس للصداع ويضمدون العين وكذا كانوا يصنعون الادهان على الضماد لتضميد الجروح[3]
وكان بعضهم يخصص نفسه للاعمال الجراحية فيغلب عليه لقب جراح واشهر جراحي العصر الجاهلي – ابن ابي رومية التميمي فقد كان مزاولا لاعمال اليد وصناعة الجراحة[4]

وذكر اسمه في مصادر اخرى « ابن ابي رمثة التميمي »[5]

وذكر من الاطباء طبيب يقال له (حذيم) من تيم الربـــاب قيل انـــه حاز على شهرة واسعة في الجاهلية كما سبق ومر ذكره .

وفي كتب الحديث والاخبار والتراجم ان هناك نفرا اخر مارســـوا التطبيب وصناعة اليد في ايام النبي (ص) فقد اشير الى نفر من قبيلـة انمار زاولوا مهنة الطب في ايام الرسول (ص) .

---

(١) – جواد علي جـ٨ ص٣٨١
(٢) – تاج العروس جـ٨ ص٣٣٦
غمل – ضمد
(٣) – جواد علي جـ٨ ص٣٨٨
(٤) – جرجي زيدان – تاريخ التمدن الاسلامي جـ٣ ص٧٥
(٥) – ابن ابي اصيبعة جـ١ ص١٢٣ ، ١١٦ د . ناجي معروف – اصالة الحضارة العربيـــة .

واشير الى اسم طبيب اخر عرف بـ (ضماد بن ثعلبة الازدي) ذكر انه كان يداوي الناس وانه كان صديقا للنبي (ص) في عهد قبل النبوة[1] والشمردل بن قباب الكعبي البحراني نزل بين يدي الرسول الكريم (ص) في وفد نجران فقال :

ــ يارسول الله بأبي انت وامي اني كنت كاهن قومي في الجاهلية واني كنت اتطبب فما يحل لي ؟

قال :

ــ فصد العرق ومجسة الطعنة ان اضطررت وعليك بالسنا ولا تداوي احداً حتى تعرف داءه

فالرسول الكريم يأمر بفصد العرق وهو مبدأ من مبادىء[2] الجراحة الاولى ومجسة الطعنة ـ وهو علاج وجراحة حربية وينهى عن مداواة المريض ما لم يعرف داء المريض اي ان التشخيص هو الركن الاساسي في العلاج وكانت القبائل العربية في العصر الجاهلي تلجأ الى النساء لتمريض الجرحى في غزواتهم وغاراتهم وحروبهم التي لا تنتهي وقد فعل المسلمون فعلهم • وقالت « بنت معوذ بن عفراء »

ــ كنا نغزوا مع رسول الله (ص) نسقي القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى الى المدينة •

وكان في مسجد الرسول (ص) يعالج فيه المرضى والجرحى وكان الرسول والصحابة يتفقدون المرضى النازلين به[3]

---

(١) ـ ابن جلجل ص٥٧ ابن القفطسي ٤٣٦ تاج العروس ٣٣٨/٨

(٢) ـ الشطي ـ شوكت ـ تذكرة في تاريخ الطب قبل الاسلام ص١٣٤

(٣) ـ جواد علي جـ٨ ص٤١٨
ارشاد السائرين جـ٨ ص٣٦١

ومن النساء اللواتي زاولن مهنة الطب (الشفاء بنت عبدالله) ورفيدة التي اشتهرت بالجراحة وكانت تداوي الجرحى من المسلمين - وام عطية الانصارية التي هي الاخرى تداوي الجرحى وتصنع لهم الطعام وتقوم على مداراة المرضى[1]

ومن المؤسف ان المؤرخين لم يهتموا كثيرا بالجانب العلمي في العصر الجاهلي قدر اهتمامهم بالشعر وتاريخ الحروب والغزوات والانساب - وحتى في العصر الاسلامي لم يكن الاهتمام كبيرا بالطب وانما كان جل اهتمام المؤرخين والكتاب والشعراء بالحروب والغزوات والفتوحات - وتداول القصيدة الاسلامية - لآيات القرآن الكريمة والاحاديث الشريفة والفقه والسنة ...

بينما تشير الوقائع والاحداث والقصص المتناثرة في الروايات والسجلات هنا وهناك بأن الطب العربي لم يكن متخلفا عن علوم ذلك العصر واطباء الجاهلية المتأخرة وصدر الاسلام لم يكونوا بمعزل عن الدنيا وعن الشعوب المجاورة بل كانوا يزورون بلاد فارس والروم والشام والهند . وكانوا ينقلون من علوم هذه الشعوب ومعرفتهم فنون الطب والجراحة المعاصرة لهم وبخاصة عرب الحواضر في مصر والشام والعراق[2]

---

(١) - الدكتور ياسين خليل ص١٧
احمد عيسى تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص٨

(٢) - احمد حسنين القرني - قصة الطب عند العرب ص٥
حكمت نجيب عبدالرحمن - دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ١٩٧٧ ص٣٧

الطب فى صدر الاسلام

جاء الاسلام فشجع الطب والجراحة والتداوي ومنع عن الكهانة والعرافة واعتبرهما كفرا .

« من اتى كاهنا أو عرافا فقد كفر بما انزل على محمد »

رواه البخاري

« من داوى ولم يعرف عنه طب قبل ذلك فهو ضامن »

رواه ابو داود وابن ماجة

وقد عرف العرب في تلك الفترة الجراحة وبخاصة جراحة الحرب لكثرة المنازعات والغزوات والحروب ومن ثم الجرحى والقتلى .... وان خير شهادة ودليل عملي على التفوق ونجاح الطب في هذا الميدان ما كان يروى عن اصحاب الرسول الكريم (ص) من ان الواحد منهم كان يصاب بأكثر من عشرين جرحاً ما بين طعنة رمح أو ضربة سيف في المعركة الواحدة ـ ومع ذلك فقد كان يشفى من كل هذه الجروح ويعود للقتال من جديد ـ ولا زلنا نردد مقولة خالد بن الوليد الشهيرة عندما ادركته الوفاة :

« لقد قاتلت في سبيل الله وما في جسمي موضع شبر الا وفيه ضربة من سيف أو طعنة من رمح ومع ذلك فها انا اموت على فراشي كما يموت البعير »[1]

هذا مثال واحد وهناك امثلة تعد بالعشرات والمئات والآلاف من المسلمين الذين خاضوا غمار المعارك وجرحوا جروحا بليغة ـ وعولجوا ومن الله عليهم بالشفاء ... والتي تعطي الدليل القاطع والبرهان الواضح على تواجد الجراحة ـ جراحة الحرب والتمريض ـ وقد بلغت مرحلة متقدمة بحيث ترجع الجريح الى المعركة بفترة وجيزة .

قال ابن هشام :[2]

حدثني اهل العلم ان عبدالرحمن بن عوف اصيب فوه يومئذ (في معركة بدر) وجرح عشرين جراحا أو اكثر اصابة بعضها في رجله فعرج ،[2]

هذا مقاتل يصاب في معركة واحدة بعشرين جرحاً ويتم شفاؤه من هذه الجراح من غير تلوث أو تعفن أو مضاعفات .

وقد مارسوا وبكثرة قطع الاطراف ومعالجتها بل وعرفوا الاطراف الصناعية لمن فقدوا اطرافهم أو اعضاءهم في الحرب فقصة (عرفجة بن سعد) الذي قطعت انفه في الحرب فصنع له الاطباء انفا نحاسية فكان يصدأ عليه ـ فأشاروا عليه بصناعة انف من الذهب ولكنه ابى ذلك الا ان يأذن له الرسول الكريم ـ لان الاسلام يكره على الرجل ان يتحلى بالذهب ـ واذن له الرسول بذلك طالما فيه ضرورة طبية وليس لمجرد التحلي والمباهاة .

---

(١) ـ ابن عبد ربه ـ العقد الفريد جـ١ ص١٣٩
(٢) ـ ابن هشام ، ٣ : ٨٨

الوعي الاسلامي • العدد ١٧٦ سنة ٩٧٩ ص٨

وكذا اذن الرسول (ص) بتركيب الاسنان للضرورة وبخاصة ان الاضراس كثيرا ما تتساقط في الحرب .

ولم يكن هناك انذاك حد فاصل ووضوح كامل بين مهنة الطبيب والممرض وبخاصة في الحروب ، فكانت الممرضة تكشف على الجريح - وتقوم بالعمليات الجراحية الكبيرة كالبتر - واخراج السهام وتجبير الكسور شأنها في ذلك شأن الاطباء الاخرين - وفي نفس الوقت تسهر على خدمتهم وتقديم الدواء والطعام بيديها ... والاسعاف في ظروف الحرب ونقل الجرحى ودفن الشهداء والقتلى .

ومثالا وتقديرا لدور رفيدة البطولي في معارك الاسلام وتكريما لمهنة الطب والتمريض فأن الرسول الكريم (ص) قد كرمها وساوى الممرضة المسلمة المؤمنة في الجهاد بالمجاهد الذي يقاتل بسيفه ورمحه في سبيل الله[1] .

ويمكن اعتبار اول عملية اخلاء تمت من ساحة القتال (المعركة) كانت في معركة بدر حيث برز في ساحة المعركة عتبة بن ربيعة واخوه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد[2]

فقالوا :

من يبارز ؟ فخرج فتية من الانصار فقال عتبة :

— لانريد هؤلاء ولكن يبارزنا من بني عبدالمطلب فقال رسول (ص)

— يا علي قم ، يا حمزة قم ، يا عبيد بن الحارث قم فبارز حمزة شيبة بن ربيعة ، وبارز علي ، الوليد بن عتبة وبارز عبيدة عتبة بن ربيعة فاما حمزة فلم يمهل شيبة ان قتله ، واما علي فلم يمهل الوليد ان قتله ، واختلف عبيد وعتبة بينهما ضربتين كلاهما اثبت صاحبه وكر حمزة وعلي باسيافهما على

---

(١) - الدكتور احمد شوقي الغنجري - رفيدة الانصارية اول ممرضة في الاسلام - الوعي الاسلامي . العدد ١٧٦ سنة ٩٧٩ ص٨

(٢) - ابن هشام جـ٢ ص٢٧٧ الطبري تاريخ الملوك ٢ : ٤٢٦ الواقدي - المغازي - ٦٨٠

عتبه قذفغا عليه[1] واحتملا صاحبهما فحازاه الى اصحابه .

واعتبرت هذه اول عملية اخلاء خسائر من ساحة المعركة في الاسلام ، ويمكن اعتبار الامام علي (رض) والحمزة (رض) اول حاملي نقالة في الاسلام لانهما تعاونا على صاحبهما وابن عمهما الجريح ونقلاه سوية الى صفوف المسلمين ومن ثم بعد المعركة توفاه الله متأثرا بجرحه .

وقصة اخرى ممن جرح في معركة بدر وقطعت يده وتعالج وشفاه الله منها وعاش بعدها دهرا طويلا . قال معاذ بن عمرو بن الجموح سمعت القوم وابو جهل في مثل الحرجة .[2]

قال ابن هشام الحرجة .

الشجر المتلف ـ وفي الحديث عن عمر بن الخطاب : انه سأل اعرابيا عن الحرجة فقال :

هي الشجرة من الاشجار لا يوصل اليها .

وهم يقولون : ابو الحكم لا يخلص اليه .

قال فلما سمعتها جعلته من شأني فصمدت نحوه فلما امكنني حملت عليه فضربته ضربة اطنت قدمه بنصف ساقه فوالله ما شبهتها حين طاحت الا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها .

قال :

---

(١) ـ اثبت جرحه : جرحه جراحه لم يقم بعدها
ذففا عليه : اسرعا قتله

(٢) ـ الطبري ـ تاريخ الملوك ٢ : ٤٥٥
الواقدي ـ المغازي ٨٧
ابن هشام ٢ : ٢٨٨
صمدت : قصدت ، اطنت قدمه : اطارتها ، المرضخة : التي يدق بها النوى للعلف . الحرجة : الشجر المتلف ، اجهضني : غلبني ـ اشتد علي

ـــ وضربني ابنه عكرمه على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي واجهضني القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومي واني لاسحبها خلفي ، فلما آذتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت عليها حتى طرحتها .

قال ابن اسحاق :

ثم عاش بعد ذلك حتى زمان عثمان . هذه القصة التي اجمعت كتب التاريخ على روايتها بتفاصيلها وبما فيها من غرابة قياسا الى التقبل العلمي لشخص تقطع يده من اعلى ذراعه وما يتبع ذلك من الم ونزف شديد ـ ولكنه يتحمل ويقاتل حتى تثقل عليه ويتخلص منها ـ مهما كانت المبالغة في هذه القصة فمما لاشك فيه ان ذراعه قد قطعت في معركة بدر وعاش حتى ادرك خلافة الخليفة عثمان بن عفان فلابد وانه عولج بالاسلوب الجراحي الذي كان متعارفا عليه حيث تم ضماد الجرح وقطع النزيف سواء اكان ذلك بالضماد ام بأن تغمس بالزيت المغلي ـ وهو ما كان شائعا في ذلك الوقت وحتى الى عهد قريب في الطب الشعبي البدوي والزيت المغلي بالرغم مما فيه من شدة للتحمل والام مبرحة فانها تساعد على تقلص الاوعية الدموية وانسدادها وبهذا يتوقف النزيف من الذراع المبتورة وكذلك يشكل طبقة دهنية معقمة عازلة حول موضع البتر الامر الذي يمنع تسرب الجراثيم الى الجرح الطري وهكذا يمنع التلوث والتعفن في موضع الجرح وبهذا يتم الشفاء سريعا .

وبعد بدر جاءت معركة احد ـ وقد خرجت قريش وحلفاؤها ـ يرومون الثأر لما اصابهم في معركة بدر من مهانة بدينها القديم وانحطاط بمعنوياتها بين القبائل وخسارة برجالها المعروفين ...

ونهض المسلمون للذود عن العقيدة التي ملأت عليهم عقولهم وقلوبهم ودارت رحى المعركة وكان ريحها مع المسلمين في اولها ـ وغلبت عليهم

مفاهيم الحرب والغزو وما اعتادوا عليه سابقا بالانشغال بجمع الغنائم وطغيان نشوة الفوز وغرور الانتصار - وعدم التزام الرماة على سفح الجبل بحماية الثغرة في المؤخرة - وانتهاز الفرصة من الاعداء والتفاف خيول قريش بقيادة خالد بن الوليد وعكرمة بن ابي جهل من خلفهم •

قال ابو جعفر :

— فلما اتي المسلمون من خلفهم انكشفوا واصاب منهم المشركون - وكان ما اصاب المسلمين من البلاء اثلاثا ، ثلث شهيد وثلث جريح وثلث منهزم وقد جهدته الحرب حتى ما يدري ما يصنع ، واصيبت رباعية رسول الله (ص) وشقت شفته وكلم في وجنته وجبهته في اصول شعره وعلاه ابن قميئة بالسيف على شقه الايمن وكان الذي اصابه عتبة ابن ابي وقاص[1] •

ثلث جيش المسلمين اصيب بجروح مختلفة في شدتها بما في ذلك قائد الجيش رسول الله (ص) فلا بد وانهم عالجوا جرحاهم بأسلوب طبي معين حتى تم شفاء تلك الجراح والاصابات منها ما هو بسيط ومنها ما هو شديد ، منهم من اصيب بجرح أو جرحين ومنهم بلغ عدد جراحاته بما يزيد على العشرة أو العشرين •

ولكن تلك الجراح عولجت وشفيت ولم تترك آثارا مهمة لا بالاجساد ولا بالنفوس وانما عاد الرجال الى المعارك اللاحقة وهم اعظم قوة واشد عزيمة واكثر تصميما حتى وقبل ان تلتئم تلك الجراح •

ولم تتلوث تلك الجراح ولم تحدث مضاعفات حتى الذي يشج راسه أو تقطع يده أو ساقه يتم شفاؤه •

---

(١) — تاريخ الطبري ٢ : ٥١٥

اصيب رسول الله (ص) في مواضع عدة . ويقال ان الذي شج رسول الله في جبهته ابن شهاب والذي اشظى رباعيته وادمى شفتيه عتبة بن ابي وقاص والذي رمى وجنتيه حتى غاب الحلق في وجنتيه ابن قميئة وسال الدم من شجته التي في جبهته حتى اخضل الدم لحيته وكان سالم ولي ابي حذيفة يغسل الدم عن وجهه[1] .

ويقال ان الذي نزع الحلقتين من وجه رسول الله (ص) عقبة بن وهب بن كلدة ويقال ابو اليسر ، واثبت ذلك عندنا عقبة بن وهب بن كلدة[2]

فمن هو عقبة بن وهب هذا والذي يمتد بأسمه أو نسبه الى كلدة .. وهل هو من عائلة الحارث بن كلدة الطبيب العربي المشهور ، واشهر من ارخ له من اطباء الجاهلية وصدر الاسلام أم انه اسم لا علاقة بالحارث بن كلدة.

ومن هو ايضا « ابو اليسر » ـ بكل تأكيد لا نعرف عنهما الكثير ـ ولكن وقد اشارت اليهما كتب التاريخ فلابد وانهما كانا متخصصين بهذا النوع من التعامل ـ برفع حلقات الدروع والزرد من موضع الاصابة والا لم يقدم على ذلك العمل غيرهما من الصحابة والذين هم اقرب الى الرسول الكريم، ابو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان بن عفان والامام علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وسعد بن معاذ ... وغيرهم من الصحابة الاكارم .

ذلك ما يشير ولو بصورة غير مباشرة الى تواجد نوع من التخصص لدى بعض المسلمين للتعامل مع الجرحى واخراج السهام وحلقات الدروع والازج[3] من محلات انغراسها ، وقال سعد بن مالك :

---

(١) ـ الواقدي ـ المغازي ـ جـ١ ص٢٤٥

(٢) ـ الواقدي ـ المغازي ـ جـ١ ص٢٤٧

(٣) ـ الازج ـ سنان الرمح

نظرت الى رسول الله (ص) ـ نظرت الى وجهه فاذا في وجنتيه موضع الدرهم في كل وجنة ـ واذا شجة في جبهته عند اصول الشعر ، واذا شفته السفلى تدمى ، واذا في رباعيته اليمنى شظية ، واذا اعلى جرحه شيء اسود فسألت :

ما هذا على وجهه ؟

فقالوا : حصير محرق

وسألت :

من ادمى وجنتيه ؟

فقيل :

ابن قميئة .

فقلت :

ـ من شجه في جبهته ؟

فقيل : ابن شهاب

ـ من اصاب شفته ؟

فقيل : عتبة

فجعلت اعدو بين يديه حتى نزل ببابه . فما نزل الا حملا ، وارى ركبتيه مجحوشتين ، يتكىء على السعدين ـ سعد بن عبادة ـ وسعد بن معاذ ، حتى دخل بيته والناس في المسجد يوقدون النيران يكمدون بها الجراح .

قالوا : وخرجت فاطمة في النساء ، وقد رأت الذي بوجهه (ص) فأعتنقته وجعلت تمسح الدم من وجهه وغسلت فاطمة الدم عن ابيها . لقد

خرجت اربع عشرة امرأة منهن فاطمة بنت رسول الله (ص) يحملن الطعام والشراب على ظهورهن ويسقين الجرحى ويداوينهم •

قال كعب بن مالك رايت ام سليم بنت ملحان وعائشة على ظهريهما القرب يحملانها يوم احد • وكانت حمنة بنت جحشن تسقي العطشى وتداوي الجرحى ، وكذا ام ايمن تسقي الجرحى وتداويهم •

فلما رأت فاطمة الدم لا يرقأ ـ وهي تغسل الدم وعلي بن ابي طالب عليه السلام يصب الماء عليها بالمجن اخذت قطعة من حصير فاحرقته حتى صار رمادا ثم الصقته بالجرح فاستمسك الدم •

ويقال انها داوته بصوفة محترقة[1] •

وجاء في المغازى ـ انه في معركة احد ، قد رمى رحبان ابن العرقة بسهم فأصاب ذيل ام ايمن ـ اجاءت يومئذ تسقي وتعالج الجرحى فعقلها[2] وكانت نسيبة بنت كعب « ام عمارة » وهي امرأة غزية بن عمرو ، وشهدت احدا هي وزوجها وابناها وخرجت ومعها شن لها في اول النهار تريد ان تسقي الجرحى ـ فقاتلت يومئذ وابلت بلاء حسنا ، فجرحت اثني عشر جرحا بين طعنة برمح أو ضربة بسيف[3] •

وقالت ام سعد بن ربيع :ـ

دخلت ـ تقصد ام عمارة ـ فقلت لها :

ياخالة حدثيني خبرك : فقالت :

خرجت اول النهار الى احد وانا انظر ما يصنع الناس ، ومعي سقاء فيه ماء فأنتهيت الى رسول الله (ص) وهو في اصحابه والدولة والربح

---

(١) ـ الواقدي المغازي ـ جـ١ ص٢٥٠
(٢) ـ الواقدي ـ المغازي ـ جـ١ ص٢٤١
(٣) ـ الواقدي ـ المغازي ـ جـ١ ص٢٦٨

للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله (ص) فجعلت اباشر القتال وادب عن رسول الله (ص) بالسيف وارمي بالقوس حتى خلصت اليّ الجراح ـ فرأيت على عاتقها جرحا له غور أجوف •

قلت :

يدك ما اصابها ؟ قالت :

اصيبت يوم اليمامة لما جعلت الاعراب ينهزمون بالناس ـ نادت الانصار « اخلصونا » فأخلصت الانصار فكنت معهم حتى انتهينا الى حديقة الموت فاقتتلنا عليها حتى قتل ابو دجانـة على باب الحديقة ودخلتها وانا اريد عدو اللهمسيلمة فيعترض لي رجل منهم فضرب يدي فقطها ، فوالله ما كنت لـي ناهية ولا عرجت عليها حتى وقفت على الخبيث مقتولا ، وابني عبدالله بن زياد المازني يمسح سيفه بثيابه ، فقلت :

قتلته ؟ قال :ـ[1]

نعم

فسجدت شكرا لله •

وكان صخرة بن سعيد يحدث عن جدته وكانت قد شهدت احدا تسقي الماء قالت :

سمعت النبي (ص) يقول :

لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان !

---

(١) ـ وفي رواية اخرى من مقتل مسليمة الكذاب ان قاتله كان وحشي قاتل حمزة وقد اراد عمر بن الخطاب (رض) قتله يوم اسلامـه فمنعه الرسـول (ص) قائلا له ، ما معناه لعل الله ان ينصر به المسلمين في يوم ما ، فكان يوم الحديقة واخرج وحشي حربته التي قتل بها حمزة وهزها بعد ان رضى عليها وارسلها الى مسيلمة فكانت قد اصابت مقتلا منه (صدق رسول الله) •

— انهض يابني فضارب القوم !!

فجعل النبي (ص) يقول :

ومن يطيق ما تطيقين يا ام عمارة •

وبعد ان جرحت أم عمارة والنبي (ص) ينظر ويبتسم فنظر الى جرح يامي على عاتقها فقال :

امك — امك اعصب جرحها

بارك الله عليكم من اهل بيت[1]

فأن ام عمارة قد خرجت الى المعركة مسبقا وهي تحمل معها العصائب وما يضمد به الجراح — ولم تنس كذلك ان تقاتل عندما تدعو الحاجة الى ذلك • وهذا ما نشاهده اليوم حيث ان الجماعات الطبيــــة تعالج الجرحــى وتسعفهم وتخليهم ويحملون اسلحتهم ويقاتلون بها عند الضـرورة • وهي الام تعصب جرح ابنها بنفسها وبعد ان تكمل عصابة الجرح تصيح بـه ان انهض وناجز القـوم — أي انهض وقاتل القـــوم — ولم تـؤثر عليها غريزة الامومة ، وخوفها على ابنها — ان تجد له عذرا بعد ان جرح جرحا بليغا في ذراعه الايسر وانما بعثت به النخوة والحماس وهي تهتف به — ان انهض وناجز القوم — أي انهض وصارع القوم •

وعندما تجرح هي — يهتف الرسول الكريم بأبنها يأمره بأن ينتبه الى جراح امه ويطلب منه ان يعصب جراحها •

وكثيرهم الذين جرحوا في معركة احد منهم :

أسيد بن‌حضير جرح‌جرحين، ضربه احدهما ابو بردة ومايدري — يقول: خذها وانا الغلام الانصاري !

---

(١) — الواقدي — المغازي — جـ١ ص٢٧٠ ، ٢٧٢

قال وكر ابو زعنة في حومة القتال فضرب ابا بردة ضربتين ما يشعر ، به ليقول

ـــ خذها وانا ابو زعنة ـ حتى عرفه بعد ، فكان اذا لقيه قال :

ـــ اظر الى ما صنعت بي فيقول ابو زعنة :

ـــ انت ضربت اسيد بن حضير ولا تشعر ، ولكن الجرح في سبيل الله

فذكر ذلك رسول الله (ص) فقال (ص) وهو في سبيل الله ،

ياابا بردة لك اجره حتى كأنه ضربك احد من المشركين ـ ومن قتل فهو شهيد[1]

فذكر ذلك رسول الله (ص) فقال (ص) وهو في سبيل الله ،

فلما فرغ رسول الله (ص) من دفن اصحابه دعا بفرسه فركبه وخرج المسلمين حوله ، عامتهم جرحى ومعه اربع عشرة امرأة كنّ مكلفات بعلاج الجرحى وحمل الماء والطعام •

وقال رسول الله (ص) يخاطب سعد بن معاذ وهو يقود عنان دابته :

ـــ يا ابا عمرو ان الجراح في اهل دارك قاسية وليس مجروح الا ياتي يوم القيامة جرحه كأغزر ما كان اللون لون دم والريح ريح مسك •

فمن كان مجروحا فليقر في داره وليداوي جرحه ، فتخلف كل مجروح • فباتوا يوقدون النيران ويداوون الجراح، وان فيهم من بني عبدالاشهل ثلاثين جريحا[2] •

وجاء في موضع اخر « رجع من رجع من اصحاب رسول الله (ص) وعامتهم جريح ورجع عبدالله بن عبدالله بن ابي وهو جريح فبات يكوى الجراحة بالنار حتى ذهب الليل[3]

ومن جرح في معركة بدر عبدالرحمن بن عوف حيث جرح عشرون جرحا

---

(١) ـ الواقدي ـ المغازي ـ جـ١ ص٢٣٣

(٢) ـ الواقدي ـ المغازي جـ١ ص٣١٦

(٣) ـ الواقدي ـ المغازي جـ١ ص٣١٧

او اكثر وبعض جراحه قد اصاب ساقه وترك اثر عرج دائم في مشيته[1] .

ان ما جاء بتوجيهات القائد العام لجيوش المسلمين النبي محمد (ص) بأن من كان مجروحا فليقر في داره وليداو جراحه وبهذا توجيه ونصيحة لجرحى المسلمين بالاهتمام بمعالجة جراحهم وعدم تركها واهمالها - ولجأوا في معالجتها بتنظيفها وغسلها بالماء الحار المغلي واشعال النيران وكي تلك الجراح - وان في كي الجراح فائدة مضاعفة حيث ان كي الجرح يقطع النزيف من الاوردة والشرايين وكذا يمنع الجروح من تلوث بالجراثيم وقد عرفوا ذلك بالحدس والتخمين والممارسة ومتابعة جرحاهم في حروبهم وغزواتهم السابقة . حتى منّ الله على جميع الجرحى بالشفاء وبأسرع ما كان حتى ان اغلبهم خرج مسرعا عندما سمعوا مؤذن الرسول يدعو لملاحقة المشركين في غزوة حمراء الاسد .

حيث نادى بأمر من الرسول الكريم :

« ان رسول الله يأمركم بطلب عدوكم ولا يخرج معنا الا من شهد القتال بالامس » . فخرج سعد بن معاذ راجعا الى داره يأمر قومه بالمسير والجراح في الناس فاشية عامة وبني عبدالاشهل كلهم جرحى ، فجاء سعد بن معاذ فقال :

ان رسول الله (ص) يأمركم ان تطلبوا عدوكم .

وقال قائل آخر ان اسيد بن حضير وبه سبع جراحات وهو يداويها فأخذ سلاحه ولم يعرج على تداوي جراحه .

فوثبوا الى سلاحهم وما عرجوا على جراحاتهم ، فخرج من بني سليمة اربعون جريحا ، وكان بالطفيل بن النعمان ثلاثة عشر جرحا وبخراش بن

---

(١) - الحافظ شمس الدين الذهبي - تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم - دول الاسلام ص٢٦

الصمة عشر جراحات وبكعب بن مالك بضعة عشر جرحا وبقطبة بن عامر ابن حديد تسع جراحات فلما نظر رسول الله (ص) اليهم والجراح فيهم فاشية قال :

اللهم ارحم بني سليمة

ان المقاتل المسلم وهو مثخن بالجراح ، في بعضهم سبع جراح أو تسع أو ثلاثة عشر جرحا أو اكثر ويقضي الليل يداوي جراحه وعندما يأتي نداء الواجب بمواصلة السير واللحاق بالعدو لقتاله يتحامل على نفسه ويرتفع فوق الالام تلك الجراح ، فأي مقاتلين كانوا ، واية معنويات كانوا يحملون ، واية عقيدة رسخت في عقولهم ، ليس هذا فحسب فان قصة الاخوين : كما رواه الواقدي وكما ذكر في سيرة ابن هشام والطبري • عبدالله بن سهل ورافع بن سهل من بني عبدالاشهل ، حين رجعا من احد وبهما جراح كثيرة وعبدالله اثخنهم جراحا ، فلما اصبحوا وجاءهم سعد بن معاذ يخبرهم ان رسول الله (ص) يأمرهم بطلب عدوهم : هذا ما رواه (الطبري).

امـا ما جاء في سيرة ابن هشام ، انهما لما سمعا اذان مؤذن رسول الله (ص) بالخروج في طلب العدو وقال احدهما :

— قلت لاخي وقال لي :

— اتفوتنا غزوة مع رسول الله (ص)

— والله ما لنا من دابة نركبها وما لنا الا جريح ثقيل وما ندري كيف نصنع !

قال عبدالله : انطلق بنا !

قال رافع : لا والله مابي مشي

قال اخوه

— انطلق بنا ـ ننجاز ونقصد !

فخرجا يزحفان ، فضعف رافع فكان عبدالله يحمله على ظهره عقبة، ويمشي الاخر عقبة حتى اتوا رسول الله (ص) حيث انتهى اليه المسلمون ، عند العشاء وهم يوقدون النيران عند منطقة تسمى حمراء الاسد ، وهي من المدينة على ثمانية اميال . فاقام بها ثلاثا ثم رجع الى المدينة .

وقد خرج رسول‌الله (ص) في غزوته هذه وهو مجروح في وجهه اثر الحلقتين ومشجوج في جبهته في اصول الشعر ، ورباعيته قد شظيت وشفته قد كلمت من باطنها .

قال : طلحة

فأخرج اعدو فالبس درعي واخذ سيفي واطرح درقتي في صدري ، وان بي لتسع جراحات ولأنا اهم بجراح رسول الله (ص) مني بجراحي .[1]

وبهذه الروح وهذه المعنويات حارب المسلمون الكفار كا ن عبدالله ورافع اخوين قد اثقلتهما الجراح ولا يستطيع احدهما على السير فيقدم الاخ الافضل حظا والاخف جراحا على حمل اخيه حتى لا تفوتهما غزوة مع رسول الله (ص) ـ وهكذا كانا يسيران حقبة من الزمن ويحمل احدهما الاخر حقبة اخرى حتى ادركا رسول الله بجمع المسلمين واغلبهم قد جرح في المعركة السابقة .

وفي غزوة الاحزاب ـ غزوة الخندق ـ حيث رُمي سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الاكحل رماه ـ كما جاء بسيرة ابن هشام عن عاصم بن قتادة ، حبان بن قيس بن العرقة احد بني عامر بن لؤي فلما اصابه قال :

---

(١) ـ الطبري ـ ٢ : ٥٣٥
الواقدي جـ١ ٣٣٤ ، ٣٣٥
سيرة بن هشام ٣ : ١٠٨

ـــ خذها مني وانا ابن العرقة • فقال سعد :

ـــ عرق الله وجهك في النـاس • اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيئا فابقني لها ، فأنه لا قوم احب اليّ ان اجاهدهم من قـــوم آذوا رسولك وكذبوه واخرجوه ، اللهم وان كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فأجعله لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة[1]

وفي معركة الخندق هذه حيث يرام اصحاب رسول الله والمشركون عبر الخندق وقال قائل :

وثاب الينا اصحابنا وثاب اليهم اصحابهم وكثرت الجراحة بيننا وبينهم وقد رمى حبان بن العرقة سعد بن معاذ بسهم فأصاب منه الاكحل[2] وجعل عمرو بن عبد ود ، يدعو الى البراز ويقول :

ولقد بححت من النداء لجمعكم هل من مبارز ؟

وعمرو يومئذ منفعل للبراز وبخاصة انه موتور من معركة بدر ــ حيث قد شهد بدرا فارتث جريحا ولم يشهد أحداً وجاء الى غزوة الخندق وهوحاقد حانق للثأر لما ناله من معركة بدر وربما شعر بالخجل والخذلان لانه لم يشهد احداً لاصابته بالجراح التي اثخنه المسلمـون بها يوم بدر وخرج اليـــه ليث المسلمين ــ الامام علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) فقضى عليه[3]

وعندما اصيب سعد بن معاذ بالسهم وقطع منه الاكحل ونقل بأمر من الرسول (ص) الى خيمة رفيدة[4]

---

(١) ــ سيرة ابن هشام ١ : ٢٣٨

(٢) ــ الواقدي ــ المغازي ــ ٢ : ٤٦٧

(٣) ــ الواقدي ــ المغازي ــ ٢ : ٤٧٠

(٤) ــ الطبري ٢ : ٥٧٥

وهي امرأة من اسلم ـ يقال لها رفيدة ـ اورنيدة ـ اتخذت من خيمة لها في مسجد الرسول مقرا ومنتجعا ومشفى للمسلمين ـ كانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضعة من المسلمين .

وكان رسول الله (ص) قدقال لقومه حين اصاب السهم معاذ بالخندق ـ اجعلوه في خيمة رفيدة حتى اعوده من قريب[١]

وكان ذلك في سنة « ٥هـ ـ ٦٢٧م »[٢]

وتعتبر هذه الخيمة اول خيمة طبية في الاسلام أو انها محطة تضميد متقدمة أو انها محطة اخلاء خسائر ـ أو انها نواة لوحدات الميدان والمستشفيات العسكرية الحالية .

وفي ذلك دليل واثبات على اهتمام المسلمين بجرحاهم وعلاجهم واخلائهم من ساحة المعركة وعدم تركهم نهبا للاهمال والتلوث والتسمم والنزف حتى الوفاة .

وكان في ايام رسول الله (ص) اطباء من حي انمار ودخل احد اصحابه وبه جرح فقال للطبيبين :ـ

ـــ ايكما أطب ؟

فقال احدهما : انا يا رسول الله

فقال فدونك اذن (اي تقدم وباشر العلاج)[٣]

وقيل له يارسول الله أفي الطب خير ؟

---

(١) ـ الطبري ـ تاريخ الطبري ٢ : ٥٨٧

(٢) ـ عمر فروخ ٢٩١
القاموس ١ : ٢٩٥

(٣) ـ ابن جلجل ـ تحقيق فؤاد سيد ـ طبقات الحكماء ص٥٥

قال : نعم ـ انزل الدواء من انزل الداء[1]

وفي غزوة سرية بشير بن سعد الى فدك في السنة السابعة للهجرة في شهر شعبان الى بني مرة ـ حيث قاتل بشير قتالا شديدا حتى ضرب كعبه ـ وقيل ـ قد مات ـ وامهل بشير بن سعد وهو في القتلى فلما امسى تحامل حتى انتهى الى فدك فاقام عند يهودي بفدك ـ اياما حتى ارتفع من الجراح ثم رجع الى المدينة •[2]

ان يمكث جريح بين القتلى ويترك من قبل اصحابه واعدائه فلابد وان تكون اصابته بليغة ونزفه كثيرا ولكنه يتحامل على نفسه ويمكث عند رجل اخر ويتداوى ويشفى ـ مهما كان الدواء بسيطا والعلاج اوليا فانه ساعد على الشفاء وبأيام معدودة يتمكن بعدها من الرجوع الى المدينة سالما •

وثمة قصة مغايرة اخرى حيث يصاب المجاهد عبدالله بن ابي بكر في حصار الطائف ـ حيث رمى ابو محجن وهو مشرك يوم الطائف رمية بسهم اصابت عبدالله بن ابي بكر الصديق (رض) • فدمل الجرح حتى تقيح • وخرج السهم من الجرح فأمسكه ابو بكر عنده ، وتوفي عبدالله بن ابي بكر في خلافة ابي بكر (رض) بعد ان مكث منه جريحا لفترة طويلة •

وتقيح الجرح ومكوث عبدالله جريحا لفترة طويلة لابد ان الجرح قد تلوث بالجراثيم ـ حيث لم تكن مكتشفة حينئذ والظاهر لم تجد الادوية والعلاجات المعروفة في حينه من السيطرة على تلك التقيحات والتلوثات حيث اضرت بجسده اما من انتشار الجراثيم في بقية اعضاء الجسم او ان السموم الجرثومية اثرت على الكلى ووظيفتها ـ أو ان الجراثيم امتدت الى المفاصل

---

(١) ـ ابن جلجل ـ تحقيق فؤاد رشيد ـ طبقات الحكماء ص٥٥

(٢) ـ الواقدي جـ٢ ص٧٢٣

والعظام وقيحتها ـ فهناك الكثير من التفسيرات العلمية ـ الحديثة والتي لامجال للخوض فيها ووضع فرضيات لا حاجة اليها هنا •

وفي الحروب الحديثة زاد الاهتمام الكبير بالصحة العامة في الميدان ووقاية القطعات من ان تفتك بها الاوبئة مما يؤثر على قدراتها القتاليـة ـ ويضعف قواها ومعنوياتها ومما يروى عن نابليـون بأنه كان يهتم كثيرا في اختيار معسكرات جيوشه ـ وهو الذي يقول :

« اني لأجازف بخوض اشد المعارك قساوة من ان اتـرك جنـودي يعسكرون في ارض غير صالحة للعسكر »

وفي الحرب العالمية الثانية والاولى ان ما خسرته الجيوش المتحاربـة من جنودها نتيجة لانتشار الامراض والاوبئة اكثر من خسائرها في القتال ـ وسجلت كتب التاريخ الكثير من جيوش قوية فتكت بها الاوبئة وأدت الى خسارتها قبل خوض المعارك • وبخاصة المياه الملوثة وغير الصالحة للشرب والعسرة حيث نرى اهتماما كبيرا في وقتنا الحاضر بطرق الوقاية وفحص المياه وتعقيمها وتصفيتها قبل السماح للقطعات استعمالها للشـرب أو الطبخ أو الاغتسال ولم يهمل الاسلام منذ بداية نشر العقيدة الاسلامية هذه الناحيـة المهمة في الحفاظ على صحة القطعات وصحة المقاتل المسلم •

فقد ركز الاسلام على الوقاية والاهتمام بالصحة العامة والاهتمام بالماء الذي يشربه المقاتل أو يغتسل به أو يتوضأ أو يطبخ منه طعامه •

فقد جاء عن ابي هريرة ـ وهو يتحدث عن غزوة تبوك ويقول :

لما مررنا بالحجر استقى الناس من بئرها وعجنوا فنادى منادي النبي (ص) •

ـــ لا تشربوا من مائها ولا تتوضؤوا منه للصلاة وما كان من عجين فاعلفوه الابل • فتوقف المسلمون من استعمال ماء ذلك البئر واعطوا العجين

الى بعض الابل وكانت الابل التي علفت من العجين اضعف الركاب •
وقال :ـ

وبعدها تحول المسلمون الى بئر صالح عليه السلام فجعلنا نستقي من الاسقية ونغتسل منها حتى ارتوينا[1]

وفي هذا المثال الحي على اهتمام النبي محمد (ص) بالماء الصالح للشرب وعدم استعمال الماء من البئر غير الصالحة للشرب او الاغتسال أو طبخ الطعام دليل على الحفاظ على صحة الجند وحمايتهم •

ومن وصية الخليفة الاول « ابو بكر » (رض) لخالد بن الوليد ، حين وجهه لقتال اهل الردة :ـ

« سر على بركة الله ، فأذا دخلت ارض العدو فكن بعيدا عن الحملة فاني لا آمن عليك الجولة ، واستظهر بالزاد ، وسر بالادلاء ، و لاتقاتل بمجروح فأن بعضه ليس منه ، واحترس من البيات فأن العرب غره ، واقل من الكلام فانما لك ما وعي عنك ، واقبل من الناس علانيتهم • وكلهم الى الله في سرائرهم ، واستودعك الله الذي لا نضع ودائعه »•[1]

فمما جاء بوصية الخليفة الاول انها تشمل شيئا مهما في تحمل الجند وهو ان يتزود بالزاد والطعام للحفاظ على قوة جنده وقدرتهم على القتال اذا ما طال بهم السفر ، وانقطعت عنهم الامدادات والاهم من ذلك وصيته بعدم القتال بمجروح ـ لان فيه ضعفا وانما الوصية بالمجروح ان يترك بالمقرات الخلفية وان يعالج ويشفى وترجع اليه صحته وقوته •

وحادثة اخرى تشير الى اهتمام الجيوش الاسلامية بالاسعافات الاولية وضماد الجروح وشفاء المجروح كما حدث ـ لمالك بن الحارث الاشتر :

---

(1) ـ الواقدي جـ٢ ص١٠٠٧

(1) ـ ابن عبد ربه ـ العقد الفريد جـ١ ١٢٩

وذلك انــه لما ارتدت العرب في ايـام ابي بكر الصـديق (رض) وعـزمهم الله سبحانه‌تعالى له على‌قتالهم• جهز العساكر الى‌قبائل العرب‌المرتدين • فكان ابو مسيكة الايادى مع بني حنيفة وكانوا اشد العرب شوكة • وكان مالك الاشتر في جيش المسلمين ـ فلما تواقفوا برز مالك بين الرصفين وصاح :

— « يا ابا مسيكة ! » فبرز له ، فقال :

— ويحك ! يا ابا مسيكة بعد الاسلام وقراءة القرآن رجعت الى الكفر ؟

— فقال :

— اياك عني يا مالك ! انهم يحرمون الخمر ولا صبر لي عنها •

— فقال :

— فهل لك في المبارزة ؟

— قال : نعم

فالتقيا بالرماح والتقيا بالسيوف • فضربه ابو مسيكة فشق رأسه وشتر عينه وبتلك سمي الاشتر •

فرجع وهو معتنق رقبة فرســه الى رحله واجتمع له قـوم من اهلـه واصدقائه يبكون فقال لاحدهم :

— ادخل يدك في فمي !

فادخل اصبعه في فمه فعضها مالك •

والتوى الرجل من الوجع • فقال مالك :ـ

— لا بأس على صاحبكم ، يقال اذا سلمت الاضراس سلم الرأس • احشوها « يعني الضربة » سويقا وشدوها بعمامة ، فلما حشوهـا وشدوها قال :ـ

— هاتوا فرسي !

قالوا : الى اين ؟

قال : الى ابي مسيكة !

فبرز بين الصفين وصاح

— يا ابا مسيكة — فخرج اليه مثل السهم • فضربه مالك بالسيف على كتفه فشقها الى سرجه فقتله •

ورجع مالك الى رحله فبقى اربعين يوما لا يستطيع الحراك • ثم ابل وعوفي من جرحه ذاك[1]

فأن استعمال السويق في الجرح الحاد — ربما احتوى على بعض المعقمات أو انه يحرق قبل ان يطحن وبذا يكون معقما — أو فيه مادة تساعد في وقف النزيف — واستعملوا العمامة لتضميد الجرح •

وبهذا الضماد وتعصيب الجرح بعد ان حشي الجرح بالسويق ضمان النزيف ، ولمنع التلوث وربما ساعد على سرعة شفاء الجروح وكذا يمنع تعرضها للمؤثرات الخارجية — من اتربة وذباب واوساخ وفي ذلك ضمان من تعرضها للجراثيم وتقيحها — وتأخر شفائها •

وكذا استعمل العرب ومن قديم الزمان القهوة بشكلها المطحون الناعم في معالجة الجروح وفي تلك نفس الخاصية اي ان القهوة وخاصة بعد حرقها انها تصبح معقمة عازلة للجرح عن التلوث •[2]

وقد انزل الله في كتابه المبين على نبيه الامين امر المسلمين بالجهاد في سبيل الله — وفي سبيل نشر الدعوة الاسلامية وتحرير العقول السادرة في الجاهلية من خرافاتها ومعتقداتها القديمة •

---

(١) — اسامة بن منقذ — الاعتبار — ص٣٧

(٢) — زنغريد هونكه — شمس العرب تسطع على الغرب ص٣٢١

وليس تغير مفاهيم الانسان وتحريره من ضلاله وما اعتاد عليه بالامر السهل . وانتشرت الدعوة الاسلامية والعقيدة السماوية في ربوع الجزيرة العربية شرقيها وغربيها ـ وسارت الجيوش الاسلامية لحماية هذه الدعوة ـ وخاض المسلمون الغزوات المتلاحقة والحروب المتكررة .

وصاحب هذه الجيوش الاطباء والممرضات والآسيات ....

وكان في هذه المعارك والحروب شهداء وجرحى ودماء زكية نزفت من اجل العقيدة ومن اجل ارواء الارض العربية لتحريرها من رجس الطامعين الفرس والبيزنطيين .

هكذا املت الضرورة على المسلمين في عصر النبوة وصدر الاسلام ـ الحروب والفتوحات اللاحقة ان يهتموا بالجرحى والمصابين ـ وجاء ذكر ذلك في كتب السير والتاريخ هنا وهناك على هيئة حوادث وامثلة وطرائف ومن تلك الاحاديث والقصص والامثلة نستدل على اهتمام المسلمين بالجرحى والشهداء والمصابين في الحروب والغزوات .

وذكر ابن اسحاق في السيرة انه :

« كان رسول الله (ص) قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لأمرأة من اسلم يقال لها رفيدة في مسجده كانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضعة من المسلمين .»[1]

ففي معركة احد وحدها بلغ عدد جرحى المسلمين (١٥٠) جريحا وعدد الشهداء سبعين وهو اكبر عدد اصيب به المسلمون في جميع غزواتهم في عهد الرسول (ص) .

وطبق المسلمون في علاج جراحهم مبدأ الطهارة في هذه المعركة التي امر

---

(١) ـ د ياسين خليل ص٦٢
ابن هشام السيرة جـ١ ص٦٨١

بها الاسلام في تطهير الجروح فكان من اوامر رسول الله (ص) الى المسلمين قوله :ـ

« طهروا هذه الاعضاء طهركم الله وخللوها بالماء »

(رواه الطبري)

وقد امر الرسول (ص) المسلمين بغسل جراحهم بالماء المحروق (اي المغلي سابقا) وبفضل مبدأ الطهارة والنظافة كانت جراح المسلمين تشفى بسرعة مذهلة .

وعلى النقيض من ذلك كانت اوربا المتحضرة الان والى امد ليس بالبعيد لا تهتم بهذه الناحية اطلاقا وكان من الاطباء ومن يدعي الجراحة يدخلون غرفة العمليات وفي ايديهم بقايا الطعام ـ وكانت الممرضة تداوي الجرحى وفي ايديها بقايا القمامة والاوساخ ...

بل والى فترة قريبة كانت الجراحة محرمة من الكنيسة في عموم العالم المسيحي .

وعندما طالب طبيب امريكي لاول مرة في تاريخ الغرب زملاءه بغسل ايديهم قبل العمليات سخروا منه وحسبوه مخبولا[1]

بينما جاء الاسلام بمبدأ الطهارة قبل الغرب باربعة عشر قرنا من الزمان

« ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين »[2]

وهناك مثل دارج :ـ

« الجراحة وليدة الحرب »

وهكذا جاءت انجازات المسلمين في الجراحة والتخدير مذهلة ، وبما ادخلوه من تجديد وابتكار في علمي الجراحة والتخدير بالرغم من تركيز جل

---

(١) ـ الدكتور احمد شوقي الفنجري ـ الطب الاسلامي ومؤتمره الاول ـ الوعي الاسلامي العدد ١٩٥ ـ يناير ١٩٨١م ربيع الاول هـ ص١٢٦ ـ ١٢٧

(٢) ـ سورة البقرة الاية ٢٢٢

جهدهم العلمي في الطب والفلسفة ، حيث يعتبر ان المسلمين اول من اكتشف التخدير الكامل في الجراحة ـ ولذلك قصة طريفة :ـ (في العصر الجاهلي وما قبل الاسلام لم تكن الانسانيـة تعرف اي دواء مخدر أو مغيب الـوعي قبل اجراء العملية ، فمن الاساليب الشائعة انهم احيانا يضربون المريض على رأسه



آلات طبية وجراحية عثر عليها في خرائب الفسطاط

حتى يفقد وعيه • أو يسقونـه كميـة من الخمر حتى يخفف الالم ـ أو انهم يشدون وثاقه ويختارون اقوى رجال العشيرة للقيام بهذه المهمة ـ وما لهذه الاساليب من اخطار جسيمة ومردودات بشعة تأباها النفس الانسانية •

ويروى ان قد ذهب وفد من الاطباء الى رسول الله (ص) يسألونه عن الطب والاسلام ، طلب بعضهم منه ان يأذن لهم باستعمال الخمر كمخدر قبل الجراحة فنهاهم الرسول وقال لهم :-

« انها داء وليست دواء •••• وما جعل الله شفاء امتي فيما حرمه عليها »

ومن بعد ذلك اللقاء ابتدأ المسلمون البحث والتقصي عن دواء مخدر يغني عن الخمر ـ فكانوا اول من اكتشف النبات المسمى (القناب العربي) والمستعمل في الجراحة •

وقد ذاع صيت السيوف العربية واشتهرت في التاريخ بصلابة معدنها وحدة شفرتها ـ وهذا يدل على تفوق المسلمين في صناعة الصلب والمعادن وهذا ما ساعدهم على التفوق في تصنيع الالات الجراحية •

ومما يشهد للطب الاسلامي في صدر الاسلام وتفوق الجراحة في علاج المقاتلين ما جاء على لسان القائد العربي المسلم خلد بن الوليد عندما ادركته الوفاة قولته المشهورة :

« لقد دخلت عشرات المعارك وما في جسدي موضع الا فيه اثر ضربة من سيف او طعنة من رمح ••• ومع ذلك فها انذا اموت على فراشي كما يموت البعير » وقد احصى بعض الصحابة الجراح في جسم خالد بانها قرابة الاربعين جرحا ••• بعضها يسع قبضة اليد ••• فاذا كان خالد بعد هذا كله قد توفاه الله على فراشه في ميتة طبيعية فأنما يدل ذلك على تقدم الطب والتمريض في عصر الاسلام الاول وبخاصة طب وجراحة الحرب وفي مقدمتها مبدأ الطهارة وغسل الجراح وتنظيفها والذي امر بها الاسلام ـ وكذا كيها أو تضميدها ورش الذرور عليها حتى كانت تشفى دون تعقيد أو مضاعفات

---

(١) ـ الدكتور احمد شوقي الفنجري ـ الوعي الاسلامي ١٩٨١م ـ ١٤٠١هـ ص١٢٨ ـ ١٢٩

التمريض فى الحضاره الاسلامية

« نايتنغيل » امرأة انجليزية حققت شهرة واسعة وانتشر اسمها في عالم الطب والتمريض العسكري - ويحيط اسمها هالة من الفخر والتقدير في العالم الغربي ، وبدأ يمتد نحو عالمنا الاسلامي والعربي وكتب عنها الكثير واطلق اسمها على ردهات ومستشفيات وشوارع ونصب تخليدا لذكراها ومفاخرة بأعمالها الانسانية أنها امرأة ثائرة - شقت طريقها من حصار الطبقة النبيلة لترفع مشعل نورها داعية الى التمريض واعتباره عملا شريفا - وبخاصة التمريض العسكري وشاركت في بعض الحروب التي خاضتها الجيوش الانجليزية الغازية في أواخر القرن التاسع عشر .

والعرب المسلمون يعرفون الكثير عن هذه المرأة البريطانية الجنسية وربما شعروا بالفخر والزهو بأعمالها الانسانية وتدرس تأريخ حياتها في كتب المدارس - ولا ضير ولا اعتراض على ذلك فمهنة التمريض وبخاصة التمريض العسكري مهنة انسانية عالمية - ولكن - ومن الحق والعدل والمنطق ان تدرس وتدّرس ونفخر ونعتز - بالرهط الكبير من الاسيات - أو

المرضات العربيات ـ المسلمات اللاتي سبقن « نايتنغيل » بمئات السنين عندما خرجن من خدرهن وتحفظهن بل وتزمت القبيلة والعشيرة والعائلة ليساهمن مساهمة جادة في التمريض العسكري في صدر الاسلام .

لقد ساهمت المرأة العربية المسلمة في الخدمات الاجتماعية والحروب والاعلام الحربي والشعر واثارة الحماس في القتال وتوجت مجدها وخدماتها الاجتماعية باعمالها الانسانية في صدر الاسلام حيث ساهمت مساهمة جادة وفاعلة في مشاركة الجيوش الاسلامية وهي تحارب الشرك وتبدد غيوم الجاهلية وحملت عدة التمريض والاسعاف المعروفة انذاك من لفائف وعصائب وذرور وسويق ـ وما يلزمها لاداء مهامها الانسانية ....

كان هذا سائدا وبدرجة محدودة قبل الاسلام ـ واقر الاسلام عمل النساء هذا ورعاه وشجعه وطبق عمليا في غزوات وحروب الرسول الكريم (ص) .

اطلق العرب اسم الآسيات واواسي على النساء العربيات المسلمات اللائي عملن في تضميد الجراح وجبر العظام وايقاف الدماء النازفة من جراح المقاتلين وغير ذلك من الاسعافات الاولية المعروفة .

وقد سمين بهذا الاسم لانهن كن يعالجن جراح الجريح ويؤاسينه ...... وكن يخرجن الى المعارك مع الرجال جنبا الى جنب حاملات الماء والسويق والاغذية الجافة وكل ما يحتاجه المقاتل الجريح من اللفائف والجبائر واذا ما دعت الحاجة فأنهن يشتركن في القتال ....

وكانت لهن مواقف خالدة ومواقع مشهودة سجلها التاريخ بأحرف ناصعة ولابد لنا في هذه الدراسة من ان نقف وقفة تأمل واعادة ذكرى لبعض منهن تذكيرا لجيلنا وتعريفا لطلابنا ومشاركة لمؤرخينا بالقاء بصيص من نور على اعمالهن وخدماتهن ومواقفهن ـ حتى تكون الواحدة منهن منارا

لجيلنا الحاضر مضيئاً من خير عطائهن مما يدفع بنات جيلنا المساهمة الجادة في ميدان تمريض المقاتلين البُسْل وهم يخوضون حروباً متواصلة من اجل قدسية وكرامة امتنا العربية وازدهار مجدها .

رفيدة الانصارية : اول ممرضة في الاسلام

رفيدة بنت سعد الاسلمية الانصارية من بني اسلم احدى قبائل الخزرج ... كان ابوها انصاريا من بني اسلم اسمه سعد .

وقد جاء في بعض المصادر كعيبة بنت سعد .. وفي مصادر اخرى « رنيدة » ولكن تغلب تسميتها في اكثر المصادر على انها « رفيدة » آسية وطبيبة متميزة بالجراحة وكانت من فضليات عصرها ولدت في يثرب .. وكانت سباقة الى الاسلام وهي بين نساء الانصار اللائي استقبلن النبي محمد (ص) عند هجرته من مكة الى المدينة بالمزامير والزغاريد .

وبعد ان استقر الامر للاسلام في المدينة المنورة تفرغت رفيدة لمهنة التمريض التي ورثتها عن ابائها ـ وربما عن نساء القبيلة .

وكانت في ايام السلم تحتسب بنفسها على من به علة من المسلمين واذا ما بدأ القتال وغزوات الرسول تشترك رفيدة في علاج واسعاف الجرحى فشاركت في بدر واحد والخندق وخيبر وسائر غزوات رسول الله (ص) في غزوة الخندق ـ وقد حاصرت قريش وحلفاؤها المدينة ـ وحفر المسلمون الخندق ـ وشارك الرسول في خط الدفاع هذا عن المدينة واتخذ المقاتلون اماكنهم في مواجهة كل الاحتمالات ـ وشد الرماة اقواسهم بقوة وترقب لرمي المشركين اذا ما سولت لهم انفسهم محاولة الهجوم ومغبة المفاجأة ...

وانصرفت رفيدة الى واجبها ومهنتها واقامت خيمتها قرب ميدان القتال في جامع رسول الله (ص) ويصاب سعد بن معاذ بسهم من الاعداء ـ قد غار في جسده واصاب منه الاكحل ـ ويأمر القائد العام لجيش المسلمين ان

انقلوا ـ اخلوا ـ « سعد بن معاذ » الى خيمة رفيدة ـ واتمت دورها على الوجه الاكمل حيث اخرجت السهم واوقفت النزف واشرفت على تمريضه •

وكان رسول الله (ص) يمر على الصحابي الجليل الجريح في خيمة رفيدة عدة مرات في اليوم •

ويمكن اعتبار خيمة رفيدة تلك ـ على انها أول خيمة طبية نصبت في الاسلام او انها اول مستشفى ميدان متنقل او في اقل تقدير فانها اول محطة تضميد متقدمة من ساحة المعركة •

وفي غزوة خيبر ـ والجيش الاسلامي يستعد ويتأهب للزحف على من خان العهد ونقض الاتفاق ••

جاءت رفيدة متطوعة الى رسـول الله (ص) على رأس فريق كبير من المتطوعات من نساء الصحابة كانت رفيدة قد دربتهن على فنون الاسعاف والتمريض واستأذن رسول الله (ص) قائلات :ـ

« يا رسـول الله اردنا ان نخرج معك الى وجهك هذا « الى خيبر » فنداوي الجرحى ونعين المسلمين ما استطعنا » •

ــ فقال الرسول الكريم لهن :

ــ « على بركة الله »

وكانت تقسـمهن الى كراديس اي الى فرق بعضهن للعمل في الاسـعاف في الميدان وتحت سنابك الخيل ـ وفريق اخر للاسعاف في مركز قيادة الرسول وفريق ثالث في خيمة الميدان •

وفي هذه الغزوة ابلى فريق التمريض بلاء حسنا وقمن بجهد عظيم • مما جعل الرسول (ص) يقسم لرفيدة من الغنائم بسهم رجل مقاتل شأنها في ذلك شأن الجندي المقاتل بسيفه وفرسه • كما اعطى المتفوقات منهن قلادة

شرف تقديرا للجهود التي بذلتها في اسعاف الجرحى في المعركة وقلدهن بيده الكريمة في اعناقهن •

وكانت الواحدة منهن تعتز بهذه القلادة وتقول :ــ

« والله لا تفارقني ابدا في نوم ولا يقظة حتى الموت »

ثم توصي ان تدفن معها اذا ماتت •

وبهذا تكون رفيدة أول من اقام مستشفى ميدان متنقل تشرف عليه ممرضات متدربات في تاريخ الانسانية وكان رسول الله (ص) اذا ما جرح احد اصحابه يقول :ــ

ـــ انقلوه الى خيمة رفيدة لكي تسعفه ريثما اعوده[1]

وقد تناولها بعض الشعراء في قصائدهم ومنهم الشاعر احمد محرم في ملحمته الاسلامية الذي قال يناجيها وهو يصف مشهدا من مشاهد قتال المسلمين يوم الاحزاب •• ومطلع هذا الجزء :ــ

رفيدة علمي الناس الحنانا   وزيدي قومك العالين شأنا
خذي الجرحى اليك فأكرميهم   وطوفي حولهم آنا فانا

ومن هذا يستدل على اهتمام النبي محمد (ص) بالجرحى وأنه أول من امر بالمستشفى الميداني وعناية الاسلام بأسعاف وعلاج رجال الحرب قبل ان يعرف ذلك ابناء اوربا[1]

نسيبة بنت كعب المازنية

امرأة جليلة ومؤمنة صادقة ومجاهدة شجاعة كانت سباقة للاسلام ـ وشاركت الرسول في اغلب حروبه وغزواته ان لم تكن اجمعها • اشتركت في معركة بدر وخرجت ايضا يوم احد ومعها زوجها وولداها وهي تحمل الماء

(١) ـ مجلة الوعي الاسلامي ، ١٩٨٠ ، عدد ١٧٦ ص٨٠

والضماد والسويق ، اخذت تسقي العطشى وتضمد المقاتلين ، وبلغت بها الشجاعة والجرأة والعزيمة الصادقة وهي ترى ابنها وفلذة كبدها يجرح فتقدم عليه آسية وطبيبة وممرضة في آن واحد وما ان تكمل الضماد والاسعاف الا تهتف به :ـ

ـ « قم يا بني وناجز القوم »

هذه هي المرأة العربية المسلمة المؤمنة صاحبة العقيدة الصادقة ترى ابنها يصاب ويجرح تنسى الامومة وتتصرف كآسية وطبيبة وبعد ان تكمل الضماد تهتف به مشجعه ان انهض وناجز القوم اي قم وقاتل القوم (الاعداء)

وبعد ان رأت نسيبة ان الحرب تسير الى غير صالح المسلمين وايقنت بدنو الهزيمة وتفرق المسلمون بين شهيد وجريح وحائر فلم تطق الاكتفاء بالمؤاساة والمعالجة ـ بل انتضت سيفها واحتمت قومها وذهبت تصول وتجول وحولها نفر قليل من الابطال بينهم ولداها وزوجها فكانت من اظهرهم حماسة واعظمهم موقفا حيث شرعت السيف واخذت تضرب به ولا ترى الخطر يدنو من رسول الله (ص) حتى تكون سداده ٠

وهي التي قال فيها رسول الله :ـ

ـ ماالتفت يمينا ولا شمالا الا وانا اراها تقاتل دوني ، وكذا قال :ـ

ـ ومن يطيق ما تطيقنه يانسيبة[1]

لقد بقيت تجالد القوم حتى جرحت وخارت قواها وارتمت على الارض

---

(١) ـ احمد شوقي الشطي ـ العرب والطب وزارة الثقافة والنشر دمشق ص١٩٧٠ ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ٠

الاصابة لابن حجر ، اسد الغابة لابن الاثير

وفي رواية اخرى عن مقتل مسيلمة الكذاب ان قاتله كان وحشي قاتل حمزة وقد اراد عمر بن الخطاب (رض) قتله يوم اسلامه فمنعه الرسول (ص) قائلا له ، مامعناه لعل الله ان ينصر به المسلمين في يوم ما ، فكان يوم الحديقة واخرج وحش حربته التي قتل بها حمزة وهزها وارسلها الى مسيلمة فكانت ان اصابت منه مقتلا ٠ (صدق رسول الله)

صريعة وثبت رسول الله وانجلى من الغمرة ما انجلى ، وتساءلوا عن نسيبة فأذا هي ملقاة يفور دمها من جرح بكتفها ، ضمدوا جرحها وسقوها الماء وبرئت نسيبة :ـ

امرأة تصاب في هذا اليوم بثلاثة عشر جرحا ، واحد هذه الجراح يتسع لكف اليد ، ومن ثم تسعف وتعالج ويتم شفاؤها كاملا وتعيش بعد ذلك عمراً مديداً مما يدل على حسن التدبير الجراحي ، وتواجد الاسعاف الجيد ..

وفي عهد الخليفة الاول ابي بكر الصديق (رض) اقسمت ان تشارك في محاربة ابي مسيلمة الكذاب ، وهو الذي قتل ابنها ومثل به ، بعد ان ارسله ابو بكر الصديق (رض) رسولاً ليهديه الى جادة الصواب ويثنيه عن غيه وكذبه ،

وكانت نسيبة قد جاوزت الستين من عمرها ، وخرجت للجهاد مع القائد خالد بن الوليد واشتركت مشاركة مقاتل اضافة الى عملها في مؤاساة الجراحى وتضميد الجراح ،

وقد روت هي حادثة قطع يدها في هذه المعركة (نادت الانصار خلصونا) فاخلصت الانصار ..

فكنت معهم حتى انتهينا الى حديقة الموت فاقتتلنا حتى قتل ابود جانة على باب الحديقة ودخلتها وانا اريد عدو الله مسيلمة ، فيعترض لي رجل منهم فضرب يدي فقطعها ، فوالله ماكانت لي ناهية ولاعرجت عليها حتى وقفت على الخبيث مقتولا وابني عبدالله بن زياد المازني يمسح سيفه بثيابه فقلت ... قتلته ؟ فقال : نعم .

فسجدت شكراً لله .

ورجعت الى المدينة بساعد واحد ، بعد ان عولجت يدها بغمسها بالدهن المغلي ـ امرأة لله درها ـ تحملت الجهاد بهذا العمر وتحملت الآم الاصابة وبتر الساعد ومن ثم حرق الجرح بالدهن المغلي .

اليس هذا بدليل آخر على تواجد الطب والجراحة التي اسعفت الذراع المقطوعة من غير مضاعفات ولا تلوث وتعيش صاحبة هذه الذراع المقطوعة لتموت بعد سنوات عديدة من مرض آخر ...

الربيع بنت معوذ بن عفراء الانصارية

سيدة جليلة . اسلمت وبايعت رسول الله (ص) ورافقته وغزت معه فكانت تداوي الجرحى وترد الشهداء الى المدينة وروت عن النبي واحداً وعشرين حديثا وروى لها البخاري ومسلم . توفيت سنة ٤٥هـ[١]

ام رمثة بنت عمر بن هاشم بن عبدالمطلب

اسلمت وبايعت النبي (ص) وشهدت معه فتح خيبر وشاركت مع نساء المسلمين في اسعاف وتضميد الجرحى واطعمها رسول الله (ص) اربعين وسقا تمرا وخمسة ارسف شعيرا وروى عنها القعقاع بن الحكيم[٢]

* * *

ـــ وعن نجدة بن عامر الحروري ، انه كتب الى ابن عباس يسأله عن خمس خصال :ـ

« اما بعد فأخبرني هل كان رسول الله (ص) يغزو بالنساء ؟ وهل كان يضرب لهن سهما ؟ وهل كان يقتل الصبيان ؟

فكتب اليه ابن عباس :ـ

ـــ قد كان يغزوبهن فيداوين الجرحى ويحذين من الغنيمة[٣] ، واما بسهم فلم يضرب لهن ....

وقتل الصبيان ممنوع البته .

« اخرجه مسلم ، وابو داود ، والترمذي »

ـــ وعن ام عطية قالت :ـ

---

(١) ـ عمر كحالة ـ اعلام النساء جـ١ ص٣٨ الاصابة لابن حجر ، طبقات ابن سعد

(٢) ـ كحالة ـ اعلام النساء جـ١ ص٣٩٤ طبقات ابن سعد .
الاصابة لابن حجر

(٣) ـ يحذين ـ اي يعطين من الغنيمة

جئت رسول الله (ص) في نسوة من بني غفار ، فقلنا :ـ

ـــ انا نريد يا رسول الله ان نخرج معك الى خيبر فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال رسول الله (ص) :

ـــ على بركة الله

قالت :ـ

ـــ فخرجنا معه وكنت جارية حديثا سني فاردفني رسول الله رحلـــه . فلما فتح الله لنا خيبر واخذ القلادة التي ترينها في عنقي فاعطانيهـا وعلقها بيده في عنقي فوالله لا تفارقني ابدا ، فكانت في عنقها حتى ماتت وأوصت ان تدفن معها .

بحيتة بنت الحارث

اسلمت وبايعت الرسول (ص) وشاركت في غزوة خيبر وقسم لها (ص) من خيبر ثلاثين وسقا وروت الحديث[1] .

امية بنت قيس ابي الصلت الغفارية[2]

اسـلمت وبايعت بعد الهجرة وشـهدت مع رسـول الله (ص) خيبر فقالت :ـ

غزوت مع رسـول الله (ص) سـبع غزوات وكنت اخلفهم في رحالهم اصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى واقوم على المرضى .

« اخرجه مسلم »

---

(١) ـ كحالة ـ اعلام النساء جـ١ ص٣٩٤

(٢) ـ عمر كحالة ـ اعلام النساء جـ١ ص١٠١

ام الحارث الانصارية

من ربات الشجاعة والفروسية شهدت حنينا مع رسول الله (ص) ولم تنهزم يـومئذ فيمن انهزم وانما ثبتت وقاتلت الى ان تجمع شـمل المسلمين وروى عنها عمارة بن غزية(١) •

حمنة بنت جحشـة

اسلمت في مكة المكرمة بداية نشر الدعوة الاسلامية وهاجرت الى ـ المدينة المنورة وبايعت الرسول (ص) وشهدت احدا فكانت تسقي العطشى وتداوي الجرحى •

وكذا شاركت في غزوة خيبر وابلت بلاء حسـنا في الاسعاف وسقي الجرحـى واطعمهـا الرسـول (ص) ثلاثين وسـقا وروت الاحاديث عن النبي (ص)(٣) •

ام زياد الاشجعيـة

غازية غزت مع النبي (ص) يوم خيبر وهي سادسـة ست نسـوة قد سبقن في التطوع للخروج مع المسلمين لعلاج الجرحى وسقي العطشى •

فبلغ النبي (ص) خبرهن فبعث اليهن وقال :ـ

---

(١) ـ عمر كحالة ـ اعلام النساء جـ١ ص١٠١

(٢) ـ عمر كحالة ـ اعلام النساء جـ١ ص٣٤٩

— بأذن من خرجتن ؟

فقلت له :

— خرجنا ومعنا دواء نداوي الجرحى ونناول السهام ونسقي السويق ونغزل الشعر ونعين في سبيل الله .

فقال لهن (ص) : اقمن

اي قمن مع جيش المسلمين .

فلما فتح الله عليه خيبر قسم لهن كما قسم للرجال[1]

سلمى مولاة محمد (ص)

قابلة وممرضة كانت تقبل خديجة ام المؤمنين ومارية ام ابراهيم بن رسول الله (ص) وفاطمة بنت النبي . ومرّضت السيدة فاطمة في مرضها الذي توفيت فيه . وشهدت خيبر مع رسول الله (ص) وروت عن النبي وعن فاطمة الزهراء .

وروى عنها ابن عبيدالله بن علي بن ابي رافع[2] .

أم سليط

من المسلمات الاول - من الانصار الذين اسلموا وبايعوا رسول الله - وهي من فضليات نساء عصرها بايعت النبي (ص) وحضرت معه يوم احد .

---

(١) - عمر كحالة - اعلام النساء جـ٢ ص٤٣
اسد الغابة لابن الاثير

(٢) - عمر كحالة - اعلام النساء جـ٢ ص٢٥٦ صحيح البخاري
شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد

وفي خلافة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب قسم الخليفة عمر الفاروق مروطا بين نساء المدينة فبقي مرط جيد فقال له بعض من عنده •

— يا امير المؤمنين اعرف هذا ابنة رسول الله (ص) التي عندك يريدون ام كلثوم بنت علي بن ابي طالب فقال عمر العادل :

— ام سليط احق وام سليط من نساء الانصار ممن بايعت رسول الله (ص) وانها كانت تسخر لنا القرب يوم أحد[1]

أم سنان الاسلميـــة

مسلمة مؤمنة ومجاهدة جليلة ، جاءت النبي (ص) متطوعة لما اراد الخروج الى خيبر فقالت له :ــ

— يا رسول الله اخرج معك في وجهك هذا افرز السقاء واداوي المرضى والجرحى ، ان كانت جراح والا تكون فأنصر الرجل •

فقال رسول الله (ص) :ــ

— اخرجي على بركة الله تعالى فأن لك صواحب قد كلمنني ، واذنت لهن من قومك ومن غيرهم فأن شئت فمع قومك وان شئت معنا :

فقالت ام سنان :ــ

— معك

فقال رسول الله (ص)

---

(١) ــ عمر كحالة ــ اعلام النساء جـ٢ ص٢٥٥ صحيح البخاري شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد .

— تكونين مع أم سلمة زوجتي

فكانت معها وشهدت فتح خيبر •

وكانت تخرج مع رسول الله (ص) الى الجمعة والعيدين •

وروت عنها ثبيتة بنت حنظلة الاسلمية

أم سليم ملحان بن خالد

قد اشتهرت بكنيتها واختلف في اسمها فقيل ان اسمها سهلة ورميلة ومليكة والغميصاء والرميصاء وهي مجاهدة جليلة ذات عقل ورأي اسلمت مع السابقين الى الاسلام وبايعت رسول الله (ص) فغضب مالك بن النضير غضبا شديدا من اسلامها وقال لها :ـ

— اصبوت ؟

فقالت

— ما صبوت ولكني امنت بهذا الرجل ، ثم جعلت تلقن انسا وتشير اليه بقولها :ـ

— قل لا اله الا الله قل اشهد ان محمدا رسول الله •

فكان مالك يقول لها :ـ

— لا تفسدي علي ابني :

فتقول :

— لا افسده

ثم خرج مالك يريد الشام فلقيه عدو فقتله ، فلما بلغها قتله قالت :ـ

— لا افطم انسا حتى يدع الثدي •

فخطبها أبو طلحة وهو مشرك فأبت وقالت له :ـ

— ياابا طلحةالست تعلم ان الهك الذي تعبده هوحجر لايضرك ولاينفعك او خشبة تاتي بها النجــار فيخرجها لك ، هل يضرك ؟ افلا تستحي من عبادتك هذه فان اسلمت لا اريد صداقا غير اسلامك •

فوقع الاسلام في قلب ابي طلحــة ونطق بالشهادتين ، فتزوجتــه وكان الصداق بينهما الاسلام •

وشهدت يوم احد وسقت فيه العطشــى وداوت الجرحى ، ثم شهدت يوم حنين وابلت فيه بلاء حســنا فحزمت خنجرا على وسطهــا وهي حامل يومئذ بعبد الله بن ابي طلحة فقال ابو طلحة :

— يارسول الله هذه ام سليم معها خنجر !

فقالت أم سليم :

— يا رسول الله اتخذ ذلك الخنجر ان دنا مني احد من المشركين يقرت بطنه واقتل هؤلاء الذين يفرون عنك كما تقتل هؤلاء الذين يقاتلونك فأنهم لذلك اهل ! !

فقال لها رسول الله (ص) :

— يا أم سليم ان الله قد كفى واحسن • وروت عن النبي (ص) اربعــة عشر حديثا وروى عنها انس بن مالك ـ ابنها ـ وعبدالله بن عباس ، وزيادة بن ثابت وافرد لها البخاري حديثا ومسلم حديثا •

هــكذا كانت أم سليم مؤمنة سباقــة الى الاسلام داعيــة من دعاتــه الصادقين ، رفضت ان تتزوج مشركا وهــي المسلمة الصادقــة في ايمانهــا وجعلت من اسلام الخاطب صداقا لها ، لم تطلب المال ولا الذهب ولا الجمال وانما طلبت من خاطبها ان يثوب الى عقلــه ورشده ويترك الشــرك ويقدم للايمان وهــكذا كان ـ وتخرج مع الرسول (ص) لعلاج الجرحى ، راعيــة

المرضى ومقاتلة ان كانت هناك حاجة للقتال ، وتضرب بخنجرها من يفرعن رسول الله .

ومن ثم فهي العالمة الراوية للحديث[1] .

أم ايمن (بركة بنت ثعلبة)

هي حاضنة الرسول (ص) التي عاش تحت حنانها ورعايتها في حياة والدته ومن ثم بعد وفاة والدته ، كانت من المصدقات الاول لنبوته ودعواه ، اسلمت وهاجرت الهجرتين الى الحبشة في الاولى والى المدينة في الثانية .

وهي ام المجاهد البطل الشاب اسامة بن زيد الذي ولاه الرسول (ص) امارة الجيش لغزو بلاد الروم قبل انتقاله الى جوار ربه .

كانت بركة حاضنة الرسول (ص) تقوم على خدمته ورعايته والاعتناء به صغيرا والحدب عليه ، وكان يجد لديها الصدر الحنون والحب الكبير والكلمة الطيبة وهو يناديها :ـ

ـــ يا أمه

حيث كانت له بمثابة الام وهي التي تدير شؤونه وتدبر اموره .

وكان كلما نظر اليها تذكره ايام طفولته ـ وذكر معها ما رافق تلك الطفولة من احداث فيضع يده عليها مربتا قائلا :ـ

ـــ هذه بقية اهل بيتي .

وكان الرسول يزورها وفاء منه لأنها كانت له اما بعد امه ـ يزورها ليطمئن عليها ويأنس لاحاديثها .

---

(١) ـ عمر كحالة ـ اعلام النساء جـ٣ ص٢٥٦
محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي ص١٠٩
تاريخ الطبري ـ سيرة ابن هشام ـ طبقات سعد

وكانت (رض) تخرج مع الرسول (ص) في اكثر غزواتـه ومهمتها في تلك الغزوات ان تقـوم على سقايـة الماء للعطاش من المجاهدين ومداواة جراحهم والاعتناء بهم •

شهدت « احداً » و « خيبر » و « حنينا » وكان النبي (ص) يخصهـا ببعض العطاء تعويضا لها ومكافأة على ما تقدمه من جهد وجهاد في اسـعاف الجرحى واسقاء العطشى من المقاتلين المسلمين •

ولما مرض النبي (ص) كانت ام ايمن تعوده وتواسيه وتذرف الدموع •

ولما قبض النبي (ص) بكت ام ايمن

فقيل لها !

— ما يبكيك ؟

فقالت :ـ

— ابكي على غضب السماء •

وكذلك بكت لما قتل عمر بن الخطاب (رض) فقيل لها :ـ

— ما يبكيك ؟

فقالت :ـ

— اليوم وهن الاسلام •(١)

صفية بنت عمر بن الخطـــاب

من فضليات نساء عصرها شهدت غزوة خيبر مع رسـول الله (ص)

---

(١) ـ عمر كحالة : اعلام النساء ١١٧

محمد عمر الداقوق محمد علي قطب ـ سلسلة الابطال ٦٠
تاريخ الطبري ـ طبقات ابن سعد ١٠٧ ، صحيح البخاري

وشاركت في تضميد واسعاف الجرحى وسقي الماء للعطشى واعداد الطعام للمجاهدين .[1]

أم الضحاك بنت مسعود الانصارية

مسلمة مؤمنة سباقة للاسلام ، وشاركت في غزوات الرسول (ص) في سبيل الله ، فشهدت مع النبي بعض الغزوات واسهم لها سهم رجل[2] .

أم منيع بنت عمرو بن عدي بن سنان

من خيرات نساء عصرها اسلمت وبايعت الرسول (ص) وشهدت معه خيبر[3]

معاذة الغفارية

من فضليات نساء عصرها كانت انيسا برسول الله (ص) تخرج معه في الاسفار وتقوم على المرضى وتداوي الجرحى .[4]

ليلى الغفارية

مجاهدة غازية تخرج مع النبي (ص) في مغازيه فتداوي الجرحى وتقوم على المرضى ، ولما خرج علي بن ابي طالب الى البصرة خرجت معه واتت عائشة ام المؤمنين فقالت :ـ

ــ هل سمعت من رسول الله (ص) فضيلة في علي ؟

قالت :ـ

ــ نعم

---

(١) ــ عمر كحالة ــ اعلام النساء ــ جـ٢ ص٣٤٨
اسد الغابة لابن الاثير

(٢) ــ عمر كحالة ــ اعلام النساء ــ جـ٢ ص٣٥٨ ، اسد الغابة لابن الاثير

(٣) ــ عمر كحالة ــ اعلام النساء ــ جـ٥ ص١١٧

(٤) ــ عمر كحالة ــ اعلام النساء ــ جـ٥ ص٦١

دخل على رسول الله (ص) وهو معي عليه جرد قطيفـة فجلس بيننا ،
فقلت :ـ

ـــ اما وجدت مكانا هو أوسع لك من هذا ؟

فقال النبي (ص) :ـ

ـــ دعي لي اخي فأنـه اول الناس اسـلاما وآخر النـاس بي عهدا وأول الناس لقيا يوم القيامة[1] .

(١) ـ عمر كحالة ـ اعلام النساء ـ جـ٤ ص٣٣٦

« الخدمات الطبية فى معركة اليرموك »

معركة اليرموك - معركة حاسمة من معارك المسلمين الكبرى - بعدها انهارت القدرة القتالية لجيوش الرومان وفي هذه المعركة توحدت الجيوش الاسلامية التي ارسلها الخليفة الاول (ابو بكر الصديق) (رض) لتحرير ارض الشام وفلسطين بقيادة ابي عبيدة عامر بن الجراح وشرجيل بن حسنة وعمر بن العاص ، وعكرمة ابن ابي جهل ، ويزيد بن ابي سفيان - وقدم القائد العبقري خالد بن الوليد من العراق على رأس مدد من جيوش العراق .

ووحد القيادات ونظم صفوف القطعات بما يلائم طبيعة الارض وتحشد قطعات العدو الذي يزيد عددهم على المئة والعشرين الف مقاتل بينما لم يتجاوز تعداد جيش المسلمين بعد توحيدها الثلاثين الفا . جيش المسلمين اقل عددا ولكنه ارسخ عقيدة واكثر تصميما على القتال وتحقيق النصر لان هدفهم لا ينحصر في خوض المعركة فحسب وانما هناك اهداف اسمى واغلى منها نشر الدعوة الاسلامية والتبشير بالعقيدة السماوية التي انارت وسط

شبه الجزيرة العربية فلابد ان تنشر ضياءها واشعتها الى حدود شبه الجزيرة العربية - قبل ان تنشر وميضها الى مختلف بقاع العالم - وتحرير الارض العربية من تدنيس المستعمرين الرومان من الغرب والفرس من الشرق .

خرجت النساء مع الرجال في هذه الجيوش وكان لهن دور مميز في هذه المعارك .

في هذه المعركة ابلى المسلمون - وقاتلوا قتالا شديدا واستبسل الرجال - وكان للنساء نصيب وافر في حث الرجال على القتال - اضافة الى واجباتهن الرئيسة في اعداد الطعام وسقي المقاتلين ومداواة الجرحى ودفن الشهداء . واصيب من وجوه المسلمين اكثر من ثلاثة الاف مجاهد استشهدوا الا من برأ منهم .

واتى خالد بعد المعركة بعكرمة جريحا فوضع رأسه على فخذه وبعمرو بن عكرمة ووضع رأسه على ساقه وجعل يمسح عن وجهيهما ويقطر الماء في حلقيهما[1] .

واستشهد في هذه المعركة عكرمة بن ابي جهل وابنه عمرو وعمه الحارث .... واثبت خالد بن سعيد ولا يدري اين مات بعدها . وكذا جرح جندب بن عمرو والطفيل بن عمرو ضرار بن الازور اثبت وشفى[2] .
اما النساء فقد خرجن باعداد كبيرة يوم اليرموك وكان هدف حضورهن الى ساحات المعارك لبث الحماس في همم المقاتلين واعداد الطعام واسقاء العطشى وحمل الضماد واللفائف ومعالجة الجرحى - ولكن في هذه المعركة شاركن مشاركة فعالة في القتال - كما فعلت الفارسة والبطلة المشهورة خولة بنت الازور وجويرة بنت ابي سفيان في جولة اخرى وكانت مع زوجها (واصيبت)

---

(١) - محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاري - ايام العرب ص٢١٩
(٢) - اثبت - اي جرح جرحا عميقا

بعد قتال شديد ، وكذا اصيبت عين ابي سفيان بسهم فاخرج السهم من عينه ابو حشمة[1] .

ولم يسجل التاريخ عن هذا الرجل شيئا في كتب الطب أو التاريخ حديثا أو ذكرا عن ابي حشمة فمن هو ؟ وما هو ذكره ـ وما هي معرفته بالطب واخراج السهام والتعامل معها ـ أي ممارسة جراح الحرب أو الطب العسكري ـ والا لماذا لم ـ يتعامل مع هذا السهم وقد اصيب به رجل معروف من وجوه قريش في الجاهلية ـ والاسلام . فلماذا لم يخرجه مثلا ابنه معاوية أو يزيد احد قادة الجيوش ـ أو خالد بن الوليد ـ القائد العام ـ أوعمر بن العاص . فلابد وان هذا الرجل « أبو حشمة » له معرفة وخبرة في التعامل مع السهام واخراجها . وكانت الاصابة بليغة في العين وفقدت قوة الابصار فيها ولكنه عاش بعدها فترة طويلة وكان يرى جيدا بالعين الاخرى .

وكذا اصيب المغيرة بن شعبة في معركة اليرموك في عينه وفقدها ـ واصبح كريم العين ولكن هذا لم يمنعه من اللحاق في جيوش العراق والمشاركة في معركة القادسية ، ومن ثم قاد بعض قطعات الجيوش الاسلامية في العراق وفتح ميسان وهمدان وسوق الاسواق ـ ومعركة نهاوند ـ

اليس هذا بدليل على تمكن الجراحين العرب من معالجة العيون المصابة واخراج السهام بيسر وسهولة من غير مضاعفات أو تلوث والتهاب ؟

وشاركت في معركة اليرموك ، اميمة بنت ابي بشر ابن زيد اطول مجاهدة فاضلة قاتلت مع المسلمين مرارا وشهدت اليرموك مع بعلها عبدالله بن قرط الازدي فكانت تحرض على القتال وتسعف الجرحى[2]

وشهدت اليرموك كذلك معالجة للجرحى ومشجعة للمقاتلين ولكن

---

(١) ـ الطبري تاريخ الطبري ـ ٣ : ٤٠١

(٢) ـ عمر كحالة ـ اعلام النساء جـ١ ص٧٥

ما لبثت ان اشتركت في القتال هي واسماء بنت يزيد فقاتلت وقتلت يومئذ تسعة من علوج الروم بعمود خبائها[1]

ومن المجاهدات الجليلات اللاتي كن يرافقن الجيوش الاسلامية لبث الحماس في عزائم الرجال واحضار الطعام واسعاف الجرحى ودفن الشهداء هي ام حبيب بنت العاص القريشيه • مجاهدة جليلة ادركت عصر النبي (ص) وشهدت معركة اليرموك وشجعت الرجال على الصمود والقتال وذلك لما شدّ طرف من الروم على عمرو بن العاص فانكشف هو واصحابه حتى دخل اول المعسكر وهم في ذلك يقاتلون ويشدون ولم ينهزموا ولوا منها الظهر فنزلت النساء من التل بعمد الخيام يضربن وجوه الرجال، وام حبيب تقود النساء وهي تنادي بأعلى صوتها قائلة :-

— قبح الله رجلا يفر عن حليلته وقبح الله رجلا يفر عن كريمته •• فترادد المسلمون وزحف عمرو واصحابه حتى عادوا الى قريب موقفهم[2] •

ومنهن من اشتهرن بأصالة التفكير وحسن التدبير والشجاعة ومصاحبة ازواجهن في القتال •

— ام حكيم بنت الحارث المخزومية :-

مجاهدة شجاعة شهدت معركة احد مع زوجها عكرمة بن ابي جهل قبل ان يسلم وتسلم •

ثم اسلمت يوم فتح مكة، واستأمنت لزوجها عكرمة فأمنه الرسول (ص)

---

(1) — عمر كحالة — اعلام النساء جـ1 ص53
تهذيب التهذيب — لابن حجر ، اسد الغابة لابن الاثير

(2) — عمر كحالة — اعلام النساء — : 200
تاريخ ابن عساكر

وخرجت في طلبه وقد هرب الى اليمن فادركته في ساحة من سواحل تهامه وقد ركب البحر واخذت تناديه وتخاطبه وتقول :ـ

— يابن عم جئتك من اوصل الناس وابر الناس وخير الناس ، لا تهلك نفسك وقد استأمنت لك منه فامنك . فقال :ـ

— انت فعلت ذلك ؟ فقالت :

— نعم انا كلمته فامنك .

فرجع معها ، وقدم عكرمة فانتهى الى باب رسول الله (ص) وزوجته معه ، حيث سبقته واستأذنت على رسول الله (ص) فدخلت .

واخبر عمر رسول الله (ص) بقدوم عكرمة فاسلم وشهدت أم حكيم وقعة اليرموك مع زوجها عكرمة ابن ابي جهل ، وقد استشهد زوجها خير شهادة في معركة اليرموك ـ لانه وقف وقفة البطولة والفداء في ساحة المعركة بعد ان انكشف عنه اكثر الفرسان ولكنه وقف صامدا يقاتل الروم مع قليل من اعوانه ، واستشهد في ساحة المعركة واستشهد معه ابنه عمرو وعمه الحارث ....

وابلت ام حكيم بلاءٍ حسنا في معركة اليرموك فقاتلت فيها اشد القتال في وقعة « مرج الصفر » حيث خرجت بعمود الفسطاط وقتلت سبعة من علوج الروم[1] ومن اللواتي شهدن معركة اليرموك

ام موسى بن نصير :ـ

من ربات الرأي والعقل شهدت مع زوجها اليرموك ، فقتلت فيها علجا واخذت سلبه وذلك انها كانت في جماعة من النساء اذ جال الرجال جولة ـ

---

(١) ـ عمر كحالة ـ اعلام النساء ١ : ٢٣٨
فتوح البلدان للبلاذري ـ تاريخ الطبري ـ سيرة ابن هشام

فأبصرت علجا يجر رجلا من المسلمين فأخذت الفسطاط ودنت منه فشدخت رأسه واقبلت تسلبه(١)

والى ارض الشام ومرافقة للمجاهدين ولنساء المسلمين خرجت كذلك خولة بنت الازور الكندي لتقوم بما تقوم بـه نساء المسلمين من رعايـة لشؤون المقاتلين في نظافة ملابسهم وطهي طعامهم وسقيهم الماء ومعالجـة الجرحى ودفن الشهداء ... ومع هذا امتازت بالشجاعة والفروسية ـ وبعد ان سمعت بجرح واسر اخيها ضرار بن الازور ـ تركت عدة الضماد جانبا وتركت لفائف الجراح لغيرها من النساء وامتطت صهوة جوادها واستلت سيفها وحملت رمحها واندفعت نحو صفوف الروم وهي تنشد :

أبعـد اخـي تلذ الغمض عينـي	فكيـف ينـام مقروح الجفـون
سـأبكي ما حييت على شـقيق	اعـز عليَّ من عينـي اليمـين
فلـو اني لحقت بـه قتيـلا	لهان علي اذ هـو غير هـون
وانـا معشـر من مات منـا	فليس يمـوت مـوت المستكين

وادهشت بشجاعتها وبسالتها قائد الجيش خالد بن الوليد وبقية قادة الجيش الاسلامي وهم يحسبونها احد فرسـان المسلمين وكانت اسبق الى المشركين من بقية الفرسان فزعزعت جنودهم وحطمت مواكبهم واخترقت صفوفهم مما اثار قلق المسلمين ـ وخرجت وسنانها ملطخ بالدماء من الروم وقد قتلت وجندلت رجالا وفرسانا ـ ومن ثم مالت مرة اخـرى واخترقت القوم غير مكترثة بهم ولا خائفة فقلق عليها المسلمون وقال رافع بن عميرة :

ـــ ليس هذا الفارس الا خالد بن الوليد ـ ثم اشرف عليهم خالد ،

فقال رافع :

---

(٢) ـ عمر كحالة ـ اعلام النساء ـ ٥ : ١٢٣
الاصابة لابن حجر

— من الفارس الذي تقدم امامك فقد بذل نفسه ومهجته ؟

فقال خالد :

— والله انني اشد انكارا منكم له ولقد اعجبني ما ظهر منه ومن شمائله :

فقال رافع :

— ايها الامير انه منغمس في عسكر الروم يطعن يمينا وشمالا .

فقال خالد :

— معاشر المسلمين احملوا بأجمعكم وساعدوا المحامي عن دين الله . فصاح خالد والمسلمون لله درك من فارس بذل مهجته في سبيل الله ويظهر شجاعته على الاعداء اكشف لنا عن لثامك .

فمال عنهم ولم يخاطبهم . فقالوا :ـ

— ايها الرجل الكريم اميرك يخاطبك وانت تعرض عنه ، اكشف عن اسمك وحسبك لتزداد تعظيما . فلم ترد عليهم جوابا ، فلما بعدت عن خالد سار اليه بنفسه وقال له :

— ويحك لقد شغلت قلوب الناس وقلبي بفعلك من انت ؟

فلما الح خالد خاطبه الفارس من تحت لثامه بلسان التأنيث وقالت :

— انني ايها الامير لم اعرض عنك الا حياء منك لانك امير جليل وانا من ذوات الخدور وبنات الستور !

فقال لها : من انت ؟

فقالت : انا خولة بنت الازور ، واني كنت مع بنات العرب وقد اتاني بأن ضرارا اسير فركبت وفعلت ما فعلت .

قال خالد :

ــ نحمل بأجمعنا ونرجو من الله ان نصل الى اخيك فنفكه •

وقال عامر بن الطفيل :

ــ كنت عن يمين خالد بن الوليد حين حملوا وحملت خولة امامه وحمل المسلمون ، وعظم على الروم ما نزل بهم من خولة بنت الازور وقالوا :ـ

ــ ان كان القوم كلهم مثل هذا الفارس فما لنا بهم طاقة •

هكذا كانت نساء المسلمين ـ يخرجن الى القتال مع ازواجهن واخوانهن وآبائهن وهن يحملن الطعام والسويق والماء واللفائف والضماد ـ وتنصب لهن الخيام جانبا في مؤخرة الجيش ـ ليكون دورهن اشعال نار الحماس في همم الرجال ـ وتحضير الطعام ـ وسقي الماء والاعتناء بالجرحى والمصابين والمرضى من المسلمين ونقل ودفن الشهداء ـ ولكن عندما يشتد وطيس المعركة وتسمو النخوة في النفوس تأبى نفوسهن الا ان يشاركن في حمل الرماح والسيوف وعماد الخيم ـ والاشتراك الفعلي في القتال • وخلدت كتب التاريخ من سيرة المقاتلات البطلات في الحروب اكثر واعم من تخليد ذكراهن كطبيبات أو آسيات أو معالجات للجرحى وساهرات على المرضى من المسلمين ، وقد اهتم الاسلام بالوقاية الصحية والنظافة العامة ونظافة الجسد والاغتسال المستمر وجاء في الحديث الشريف :ـ

« اذا سمعتم بالطاعون بارض وانتم خارجها فلا تدخلوها ، واذا وقع في ارض وانتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه »[1]

وكثيرا ما كانت الاوبئة تفتك بالجيوش وتفني المقاتلين اكثر ما يفتك بها الاعداء •

---

(١) ـ ناجي معروف ـ اصالة الحضارة العربية ٣٤٣

وقد اولى الاسلام الوقاية الصحية والعناية بصحة المجاهدين وبالجيوش الاسلامية - ونظافتها واختيار آبار المياه الصالحة للشرب وطبخ الطعام .. ومع هذا وبعد ان كثر القتلى من جيـوش الروم وطال امد الحصـار لبعض القلاع والمدن - انتشرت بعض الاوبئة ومنها الطاعون - الذي اودى بحياة نخبة من قادة المسلمين - الصحابة - وكان ما سمي « بطاعون عمواس » نكبة حلت في ارض الشام وفلسطين - فمات به قائد الجيوش الاسلامية في بلاد الشام - ابو عبيدة عامر ابن الجراح (رض) ، واستخلف عياض بن غنم على حمص وما والاها من قنسرين ، ومعاذ بن جبل على الاردن ، ولم يلبث معاذ بن جبل الا اياما حتى توفي ، ومات يزيد بن ابي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة فأقر الخليفة عمر بن الخطاب معاوية على عمل يزيد - ومات في تلك السنة في طاعون عمواس خمسة وعشرون الفا سوى من لم يحص منهم[1] .

ومن اساليب الوقاية ما امر به الخليفـة عمر بن الخطاب ببناء القلاع والثغور على حدود الصحراء لتكون بمنجى عن تلوث بيئة المناطق الزراعية والانهار والمستنقعات ...

حيث لاحظ بأن المجاهدين من ابناء الحجاز والصحراء قد ذبل عودهم واصفرت سحنتهم عندما مكثوا لفترة طويلة في المناطق الزراعية الاهلـة بالسكان والوفيرة بالمياه والمستنقعات ......

(١) - اليعقوبي - تاريخ اليعقوبي - جـ٢ ص١٤٠

حروب العراق

خاضت الجيوش الاسلامية سلسلة من المعارك في العراق بدأ بها المثنى بن حارث الشيباني ـ وتبعه خالد بن الوليد ـ ومن ثم غادر خالد العراق لنجدة جيوش المسلمين في بلاد الشام وتركت القيادة مرة اخرى الى المثنى ـ واستمرت المناوشات والمعارك المحدودة غير الحاسمة هنا وهناك ـ وجميع هذه المعارك افرزت الجرحى والشهداء .

ففي معركة البويب ـ كثر الشهداء والجرحى بشكل يزيد على المعارك السابقة ـ وكان دور النساء في المعركة كبيرا في اسعاف الجرحى ودفن الشهداء ـ وبعد ان اشتد وطيس المعركة وارتث مسعود بن الحارثة اخو المثنى يومئذ وجماعة من قادة المسلمين ـ وبأصابة مسعود بن حارثة تضعضع من معه فقال :ـ

ـــ يا معشر بكر ـ ارفعوا رايتكم رفعكم الله ، ولا يهولنكم مصرعي[١]

(١) ـ ايام العرب ص٢٣٨

هكذا وبهذه الروح العالية والمعنويات السامية والتضحية الفذة صمد المسلمون امام جيوش الفرس التي تفوقهم عدة وعددا .

وفي اعقاب معركة البويب مات اناس من الجرحى من اعلام المسلمين منهم خالد بن هلال ومسعود بن حارثة - ولم تجد نفعا الاسعافات - والعلاجات التي اعطيت لهم - اما لان الاسعافات لم تكن جيدة أو ان الاصابات كانت بليغة .

ولا نعرف الكثير عن ماهية الاسعافات والعلاج التي قدمت للجرحى - واننا لنظن بأنها كانت بسيطة ولا تتعدى - التنظيف والضمادات والاعشاب التي سبق وذكرناها - والكي بالنار والتي توارثها عن عراف وكهان واطباء القبائل .

وفي معركة الجسر وبعد استشهاد ابي عبيد الثقفي وحمل اللواء المثنى بن حارثة الشيباني - وعبر الناس والمثنى يقاتل دونهم ، ويحول هو ورجاله بين الفرس وبينهم .

واصابت المثنى - وهو في موقفه ذاك ضربة رمح جرحته - واثبتت فيه حلقا من درعه ....

وعولج المثنى من ذلك الجرح - وعاش بعده فترة طويلة - « في بعض المصادر » وفي مصادر اخرى قد استمر مرضه بعد تلك الطعنة ولم تتحسن واستشهد بعد ذلك بأسابيع[1]

في تلك الفترة التي كان فيها الناس تستعد لملاقاة الفرس قبل التجحفل في ارض القادسية - ووصول سعد بن ابي وقاص الى العراق - مات المثنى متأثرا من جراحاته يوم الجسر[2] .

---

(١) - محمود شلبي - حياة عمر ص١٠١
(٢) - ايام العرب ص٢٣٧

اين تلك الاصابة أو الجراحات ـ حيث اختلفت بأختلاف المصادر ـ كما اختلف ان كان استشهاده بسبب تلك الاصابة ـ أو انه توفي لمرض اصابه ولا علاقة له بالجراح ـ فالارجح ان توفي متأثرا بالجرح الذي يكون قد تلوث مؤديا الى مضاعفات تسممية في جسده ولم تغن العلاجات والاسعافات التي قدمت له •

وعن شعيب عن سيف عن مجالد وعمر باسنادهما وسعيد بن المرزبان ـ قالوا بعث عمر الاطبة[1] • الى العراق من ضمن الامدادات التي ارسلها الخليفة عمر بن الخطاب (رض) الى الجيوش الاسلامية في العراق جاء ذلك في تاريخ الطبري وهو يتحدث عن ارسال الامدادات والرجال للعرب ضد الفرس في العراق ••••

ولكن لم تشر المصادر الرئيسة عن هذه الامدادات وانما ذكرت في المصادر والكتب الثانوية الى هؤلاء الاطبة اعتمادا على تاريخ الطبري نفسه ـ وكذا لم يشر هذا المصدر ـ ولا المصادر التي اخذت عنه ـ الى عدد هؤلاء الاطبة ـ وقد جمعهم جمع قلة ـ ومن هم ؟ وماذا فعلوا ـ وكيف كانوا يعالجون جراح السيوف واصابات الرماح واخراج السهام ••••

هذا مالم يشر اليه اي مصدر من المصادر التي وقعت تحت نظري لتكون كدليل على تواجد الاطباء في مرافقة الجيوش أو معالجة الناس المدنيين من الاشارات العابرة اليهم في بعض المصادر ـ وهي تذكر ـ فلان ـ الطبيب ، أو ابن الطبيب في اتنساب الاشخاص ـ والرجال منهم خاصة ـ كما جاءت الاشارة الى عبدة بن الطبيب التميمي ـوهو عبدة بن يزيد « الطبيب » بن عمرو بن علي من تميم من المخضرمين ـ شهد الفتوح وقتال الفرس مع

(١) ـ تاريخ الطبري ٣ : ٤٨٩

المثنى بن حارثة والنعمان بن مقرن بالمدائن وغيرها وهو صاحب المرثية المشهورة التي يقول فيها :ـ

وما كان قيس هلكه ملك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

وتوفي نحو سنة ٢٥ هجرية[1]

اذن كان عبدة بن الطبيب التميمي مع المثنى وربما كان طبيبا استمد المعرفة عن والده الذي لقب « بالطبيب » وقد يكون هو الذي اشرف على علاج وتمريض جراح المثنى بعد وقعة الجسر وكان قد استقر في سيراف ينتظر قدوم سعد .

ومرض المثنى مرضا خطيرا ، ويقول بعض الرواة ان الجراحة التي جرحها يوم الجسر انتفضت عليه ، وان رفض بعض الاطباء ذلك التشخيص والتأويل وهم يعتمدون بمرور عام على معركة الجسر[2]

والتعليل الاول محتمل كما يجوز التفسير الثاني فان الجراح قد اندملت ظاهريا ولكن قد حدثت مضاعفات وتقيحات داخل الجرح وامتدت بجراثيمها أو بسمومها الى بقية اجهزة واعضاء الجسم .

وتسلم سعد بن ابي وقاص القيادة العامة لجيوش المسلمين في العراق وانضمت اليه قوات المثنى وكان فيها « المعنى » اخو المثنى وزوجة الشهيد الراحل ـ السيدة سلمى ـ فخطبها سعد لنفسه تكريما لها وتكريما لزوجها الراحل الذي جاهد بنفسه من اجل عقيدة الاسلام وكرامة العرب وتحرير الارض .

---

(١) ـ اليعقوبي ـ تاريخ اليعقوبي ص٢٣٣

(٢) ـ فتوح البلدان ـ البلاذري ٦٣٣

احمد عادل كمال ـ القادسية ـ دار النفائس ص٢٨

وكانت من عادة العرب اثناء القتال ـ وعندما يقتل القائد ويترك زوجته يخطبها القائد الجديد لنفسه تكريما لها وحفاظاً على مركزها الاجتماعي والسياسي •

واختار القائد العام للجيش الاسلامي محلا مناسبا للخدمات الطبية حيث انزل سعد نساء المسلمين بالعذيب ووضع معها خيلا ترعاها وتحميها وانضم اليهم حماة كل الحريم وامر عليهم غالب بن عبدالله الليثي وبالامكان اعتبار « غالب بن عبدالله الليثي » أول امر طبابة جيش أو امر طبابة فيلق بالنسبة لمسمياتنا في الوقت الحاضر •[1]

وربما انزل الاطبة في هذا الموضع ـ العذيب ـ حيث اشرفت النساء بمعاونة الاطبة على اسعاف الجرحى وتضميد الجرحى •

لقد كانت معنويات المسلمين تزداد علوا ورسوخا كلما احتاج الامر الى ذلك وهنا نستطيع ان تقول ان النصر في هذه المعركة كانت العقيدة ركيزته والايمان عدته والتضحية اداته •

عبدالله بن ام مكتوم القرشي • صحابي رسول الله (ص) كان كفيفا ضريرا وهو الذي انزل الله فيه قوله تعالى :

« عبس وتولى ان جاءه الاعمى »[2]

وشريعة الله لا تفرض الجهاد على اعمى •

« ليس على الاعمى حرج »[3]

عبدالله الذي ملأ قلبه الايمان ـ لم يمنعه فقد بصره ولم يمنعه العذر الرباني ـ ولا العذر الطبي من ان يتخلف عن الجهاد • عبدالله شهد القادسية

---

(١) ـ احمد عادل كمال ـ القادسية ص٤٩
(٢) ـ سورة عيسى الاية ٢
(٣) ـ سورة الفتح الاية ١٧

ـ وهو كفيف ـ وهو لا يرى ولا يبصر بعينيه ـ ولكنه يبصر بعقله الذي تفتح للايمان .

قال احد المقاتلين :

« رأيت يوم القادسية عبدالله بن ام مكتوم » الاعمى وعليه درع يجر اطرافها وبيده راية سوداء .

فقيل له اليس قد انزل الله عذرك ؟ [1]

قال :

ــ بلى ولكنني اكثر المسلمين بنفسي[2]

وحادثة اخرى ـ وشهادة اخرى على عظمة رجال القادسية وتضحيتهم وعلو همتهم ـ قيل :ـ

مر المسلمون على رجل يوم القادسية وقد قطعت يداه ورجلاه وهـــو يفحص الارض ويقول :ـ

ــ « مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء الصالحين وحسن اولئك رفيقا » .

فقال له رجل :ـ

ــ « من انت يا عبدالله ؟ »

قال :

ــ رجل من الانصار !![2]

(وهو لا يريد ان يفصح بأسمه ترفعا عن الفخر أو الرياء)

---

(١) ـ احمد عادل كمال ـ القادسية ص١٨٨
(٢) ـ احمد عادل كمال ـ القادسية ص١٨٨

هكذا كان ايمان القوم وعقيدتهم وتضحيتهم ••• رجل اعمى له عذر سماوي مشروع بان لا يخرج للقتال ـ ولكنه وهو يرفع الراية حتى يكثر المؤمنين بنفسه ومعنوياته العالية •

ورجل تقطع اطرافه الاربعة وهو يلبي نداء ربه ولا يفصح عن اسمه وانما ينتسب الى عموم الانصار الذين ناصروا النبي وآزروه •

في يوم عماس قتل من المسلمين الفان من رثيث وشهيد ـ ومن المشركين عشرة الاف من رثيث وميت •

وقال سعد وهو يصدر توجيهاته :ـ

« من شاء غسل الشهداء ومن شاء فليدفنهم بدمائهم »

واقبل المسلمون على قتلاهم فاحرزوهم وجعلوهم وراء ظهورهم واقبل الذين يجمعون القتلى يحملونهم الى المقابر • ويبلغون الرثيث الى النساء وحاجب بن زيد على الشهداء

وكان الصبيان والنساء يحفرون القبور في اليومين التاليين ـ يوم اغواث ويوم ارماث •••

وفي يوم اغواث ، وهو اليوم الثاني من المعركة فدفن الفان وخمسمائة من اهل انقادسية عدا الايام الاخرى كان معسكر النساء بالعذيب « خلف الجبهة بنحو خمسة كيلو مترات[1] وكانت الحاجة ماسة الى كل رجل ، فقامت نساء المسلمين بتمريض الجرحى وحفر قبور الشهداء عجيب لهذه المرأة المسلمة ، تحفر قبرا لا تدري من يدفن فيه بعد قليل زوج أو أخ أو ابن أو قريب ، يكفي انه شهيد في حين ترك المجوس قتلاهم في ارض المعركة •

---

(١) ـ د • احمد كمال ـ العربي ص٢٤٩ ـ ٦ أغسطس ١٩٧٩

فدفن الفان وخمسمائـــة من اهل القادسيـــة عدا الايام الاخـــرى فمر حاجب وبعض اهل الشهادة وولاة الشهداء في اصل نخلة بين القادسيـة والعذيب وليس بينهما يومئذ نخلة غيرها • فكان الرثيث اذا حملوه فانتهى بهم اليها واحدهم بعقل ـ أي ان اصابته وان كانت بليغة ـ فأنه يدرك مايحيط به ـ سألهم ان يقفوا به تحتها يستروح الى ظلها •

فكانت هذه النخلة وظلها اشبه بمحطة ـ موقع اسعاف الوحدة أو محطة جمع الخسائر ـ بالمفهوم الحديث • ومن هؤلاء الجرحى الذين خلدوا هـذه الشجرة يدعى بجيرا واخذ يقول وهو مستظل بظلها :ـ

الا يا اسـلمي يا نخلـة بين قادس وبين العذيب لا يجاورك النخل[1]

وجاءوا برجل اخر من بني ظبة أو بني ثور يدعى ـ غيلان ـ فانشد :ـ

الا يا اسلمي يا نخلة بين جرعـة يجـاورك الجمـان دونك والرغل

وانشد جريح من بني تيم الله يقال له ربعي حيث قال :ـ

الا نخلة الجرحاء يا جرعة العدى سقتك الغوادي والغيوث الهواطل

وقال جريح اخر يدعى الاعور بن قطبة :ـ

ايا نخلـة الركبان لا زلت فانظري ولا زال في اكناف جرعائك النخل

وقال جريح رابع يقال له عوف بن مالك التميمي :ـ

ايـا نخلـــة دون العذيب بتلعـه سقيت الغوادي المدجنات من النحل

هذه لمحات عابرة من معنويات واقـوال الجرحى من المسـلمين وهم يمرون في هذه المحطة للراحة ـ محطة جمع خسائر ـ أو موقع تضميد متقدم لراحـــة الجرحـى واسـقائهم واطعامهم وربما تنظيف الجروح ـ وهم في طريقهم الى منطقة العذيب حيث يستقبلهم الاطبة والنساء ليكملـوا تداوي

---

(١) ـ الطبري ـ تاريخ الطبري ٣ : ٥٥٠ ، ٣ : ٥٥١
الجمان والرغل ـ نبتتان

جراحهم واسعافهم - ولم يتركوهم في ساحة المعركة ليلاقوا مصيرهم البائس كما كان يفعل الفرس في تلك المعركة بالذات .

ولم يتح للمسلمين منذ صباح امس - يوم عماس - حتى بعد ظهر اليوم - يوم القادسية - ان يجمعوا شهداءهم لقد رفعوا من ساحة المعركة في الايام السابقة الفين وخمسمائة شهيد ، اما في الايام عماس وليلة الهرير ويوم القادسية فقد استشهد منهم ستة الاف - استقبلتهم ملائكة الرحمن بالبشرى والسلام - حيث دفنهم اخوانهم بين خندق سابور ووادي مشرق .

فقد خرج صبيان المسلمين ونساؤهم ومعهم الاداوي « اوعية الماء » فانحدروا من العذيب مع العشاء يسقون من به رمق من المسلمين ويقضون على من به رمق من المشركين[1]

ولهذا يمكن اعتبار العذيب - محطة خليفة للاخلاء اقرب ما تكون الى منظومة - وحدة ميدان طبية - في المفهوم الحديث .

وفي اليوم الثالث « يوم اغواث »

اصبح الناس ، والجيشان في مواقفهم وبين الصفين من القتلى والجرحى ممن لم يتمكن الطرفان من اخلائهم - الفان من المسلمين وعشرة الاف من الفرس - وكانت نساء المسلمين يعنين بالجرحى ويمرضنهم ويبذلن من صنوف العناية ما يرفه عنهم وينسيهم الام جراحهم - ويقمن باعمال التمريض والتطبيب فقد اشتركن في هذه المعركة الحاسمة باعداد كبيرة منهن فكان لهن فضل كبير سجله الشعراء وخلدته كتب التاريخ[2]

وقد قالت شاهدة لهذه المعركة امرأة فاضلة من نساء المسلمين - المجاهدات وهي « أم كثير » زوجة همام بن الحارث « شهدنا القادسية مع

---

(١) - احمد عادل كمال - القادسية ص١٩٦
(٢) - محمود شلبي - حياة عمر ص١٣١ ، ١٢٧

ازواجنا فلما اتانا ان قد فرغ من الناس نعني توقف النزال شددنا علينا ثيابنا واخذنا الهراوي ثم آتينا القتلى فما كان من المسلمين سقيناه ورفعناه ، وما كان من المشركين ، اجهزنا عليه وتبعنا الصبيان نوليهم ونصرفهم به[1] .

فاذا اخذنا بعض ماورد في هذه الحوادث من نصوص واشارات وقارناها بتطبيقاتنا الحديثة لامكن اعتبار الصبيان والنساء وبعض الرجال هم حملة النقالات الذين يفرزون الشهداء - والجرحى ومن به رمق - الرثيث - وهم ينجزون اعمالهم بعد ان توقف الحرب اوزارها وينسحب المقاتلون من ساحة المعركة فينتشر الصبيان والنساء وبعض الرجال لنقل الشهداء الى حيث يواري عليهم الثرى - ويحملون الرثيث والجرحى الى الخيم المعدة لاستقبالهم حيث الاطبة والمرضات من النساء لاسقائهم ومداواتهم والاعتناء بهم .

وفيء النخلة هو محطة جمع خسائر أو موقع اسعاف وحده أو محطة تضميد متقدمة - وبالمقابل يمكن اعتبار منطقة العذيب مقر وحدة ميدان طبية أو المنطقة الادارية للجيش وفيها مقر الخدمات الطبية للجيش .

وعلى هذا السياق والمنطق يمكننا اعتبار الثغور التي امر الخليفة عمر بن الخطاب (رض) باقامتها بانها محطات القيادة الخلفية وهي مراكز عسكرية ثابتة من الجيش النظامي في مواقع سوقية مهمة تسيطر على خطوط المواصلات والتي تربط مركز الخلافة بالبلاد المفتوحة وكانت في اول اقامتها عبارة عن ثكنات عسكرية لاقامة الجند ثم تحولت مع الزمن الى مدن مهمة .

وبكل تأكيد وان لم تذكر كتب التاريخ الشيء الكثير حول المراكز الطبية فيها - فلابد وان تواجدت مراكز طبية بشكل من الاشكال لمعالجة المرضى الجند والسهر على الجرحى ممن تزمن معهم اثار الجراح وكذا معالجة

---

(١) - محمود شلبي - حياة عمر ص١١٣

عوائلهم واطفالهم ـ والاشراف على الجرحى الذين ينقلون الى المحطات الخلفية •

نشأت هذه المدن ـ بعد ان بعدت ساحات المعارك ومناطق تجمع النساء والاطفال ـ في المناطق الادارية والطبية ـ وان دور خطوط المواصلات والمعسكرات التي تؤمن للجيش قاعدة خلفية للراحة واعادة التنظيم ومعالجة الجرحى والمرضى وهكذا برزت فكرة انشاء الثكن ـ ومفردها ـ ثكنة ـ بضم الثاء وسكون الكاف وهي المراكز التي بدأ فيها الخلفاء الراشدون والامويون ومن ثم تبعهم العباسيون •

وقد بدأت كمعسكرات متعددة لاقامة جيوشهم الزاخرة ولتأمين راحتهم ـ ولحماية المناطق التي تم الاستيلاء عليها في صدر الاسلام •

البصرة

بناها القائد عتبة بن غزوان سنة ١٤هـ في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) •

الكوفة

مصرها القائد سعد بن ابي وقاص سنة ١٧هـ في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) •

القسطاط

اسسها عمرو بن العاص سنة ٢٢هـ في عهد الخليفة عمر بن الخطاب

القيروان

بناها عقبة بن نافع الفهري سنة ٤٥هـ في عهد الخليفة الاموي معاوية بن ابي سفيان •

الموصل

اختطها هرثمة بن عرفجة الازدي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب

(رض) سنة ٢٠هـ في الجانب الغربي من دجلة مما يقابل مدينة نينوى القديمة وتوسعت في العهد الاموي[1] • وهكذا جاءت جميع هذه الثكن والتي اصبحت فيما بعد مدنا مهمة بناها وانشأها القادة العسكريون لتكون مقرا خلفيا لراحة جندهم واعادة تنظيم جيوشهم ومستقرا ومنتجعا لمرضاهم وجرحى حروبهم

ينالون فيها العلاج والاستشفاء ودور النقاهة الى ان يبلوا من جراحاتهم ليعودوا الى الجهاد مرة اخرى •

واحد العوامل المهمة التي دفعت بالخليفة عمر بن الخطاب (رض) لاقامة هذه المعسكرات - اضافة الى الاسباب الاخرى انه تخوف ان تتفشى الامراض بين الجنود وتسري العدوى اليهم - حيث رأى سنة ١٧هـ ان العرب قد رقت بطونها - وجفت اعضاؤها وتغيرت الوانها - فسأل عن السبب فقيل له ، انهم قد تأثروا بوخامة الهواء ، فكتب الى سعد •

— ان ابعث سليمان وحذيفة رائدين فليرتادوا منزلا بريا بحريا ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر •[2]

أليس هذا التفاتا رائعا الى احدث اسلوب من اساليب الوقاية الصحية والاحتراس من تلوث البيئة وتأثيرها على صحة البدوي العربي الذي اعتاد شمس الصحراء وسعة افقها ورحابة ارضها ونقاء هوائها بعيدا عن اوبئة المدينة وتلوث هوائها - وبخاصة ان الجيوش عندما تعمم الاراضي الجديدة وما فيها تغير كلي عما اعتادوه عن هواء الصحراء ، وما يتواجد فيها من حيوانات ناقلة للامراض وحشرات - وامراض معدية قد تفتك بالجيوش اكثر ما تفتك بها اسلحة الاعداء •

---

(١) - بلدية الموصل ص٤ ، وكتاب البلدان محمد بن ابي بكر المسمر قندي

(٢) - الشهيد المرحوم رائد ركن نعمان ثابت - الجندية في الدولة العباسية ص١٧ - الكامل - لابن الاثير جـ٢ ص٢٠٤

الخدمات الطبية في جيوش الدولتين الاموية والعباسية

في اواخر خلافة الراشدين وحيث تضاعفت الجيوش الاسلامية وامتدت شرقا وغربا وشمالا وهي تخوض المعارك المتلاحقة لتحرير الارض العربية من ادناس المستعمرين ونشر العقيدة الاسلامية واشعاع نورها السماوي خارج تخوم الجزيرة العربية بعد ان عم نورها أواسط الجزيرة العربية ٠

في هذه الفترة وفي الدولة الاموية والدولة العباسية دخل تنظيم الجيوش على اسس ثابتة ووزعت الواجبات والمسؤوليات ونظم على الاسس الاتية :

امير الجيش : وهو القائد العام للجيش ويأتي بعد الخليفة ٠

خليفة الامير : وهو الذي يتولى المسؤليات والانابة عن الامير عند غيابه أو جرحه أو استشهاده وهو منصب نائب القائد العام

امراء التعبئة : وهو من يتولى قطعة تجمع كردوسين أو اكثر ٠

امراء الكراديس : والكردوس يحتوي على عدة سرايا .

العرفاء : وهم من تكون تحت امرتهم عدة من الحظائر (الاعشار) .

امراء الاعشار : وهم امراء الحظائر .

النقباء : وهم رؤوساء للجماعات وقد تكون للخدمات الادارية وغير الادارية .

الرواد : الرائد - وهو الذي يرتاد المواضع - الموافقة لنزول الجيش .

الوازع :

السعاة :

الاطباء : لمداواة الجرحى - حيث ذكرهم الطبري كما اسلفنا ص١٢٤ بالاطبة - وجمعهم جمع قلة لقلة عددهم انذاك .

ومع هذا فهي اشارة واضحة ومؤكدة على تواجد هؤلاء الاطبة لمرافقة الجيوش الاسلامية وان لم يذكر الاساليب التي استخدموها في العلاج واسعاف الجرحى ولكن وبكل تأكيد لا تخرج عما تعلموه وتوارثوه عن اطباء وعراف القبائل .

الصيادلة : لتركيب الادوية واعدادها وحفظها .

البياطرة : لمداواة الخيل التي يركبها الفرسان . والبغال التي تحمل المشافي السيارة والتي تنقل محامل العيال والنساء والجرحى[1] .

والجمال التي هي الاساس في حمل اثقالهم لما لها من قوة وصبر على الجوع والعطش وكانت الناقة تباع بجفنة من الذهب ايام القادسية . وان

(١) - نعمان ثابت - الجندية في الدولة العباسية ص١٢٣

النسوة في صدر الاسلام ونسوة بني امية كن يتدربن على اعمال الحرب ـ ومنهن اللائي يضمدن الجرحى ويحملن لهم الادوية ويمرضن المرضى ويعتنين بصحتهم كما تفعل الممرضات الان •

ليس هذا فحسب فانهن ينقلن الماء للمحار بين ويعددن لهم الطعام ويشجعن المقاتلين ويضربن وجوه الخيل والرجال بالعمد اذا انسحبوا ومن ثم واذا مادعت الحاجة فانهن يباشرن القتال •[١]

ومن شهيرات النساء في الطب والجراحة وطب العيون في اواخر العصر الراشدي وأوائل العصر الاموي الطبيبة زينب طبيبة بني اود •

وقد كانت عارفة بالاعمال الطبية خبيرة بالعلاج وان اشتهرت بمداواة آلام العين فأنها كانت على معرفة واسعة واطلاع بمعالجة الجراحات ومشهورة بين العرب •

وقد نقل صاحب الاغاني عن كناسة عن ابيه عن جده انه قال :ـ

ـــ أتيت امراة بن بني اود لتكحيلي من رمد كان اصابني فكحلتني ثم قالت :

ـــ اضطجع قليلا حتى يدور الدواء في عينيك فاضطجعت قليلا ثم تمثلت قول الشاعر :ـ

امخترمي ريب المنـــون ولم ازر   طبيب بنـــي آود على الناءى زينبـا

فضحكت ثم قالت :ـ

ـــ اتدري فيمن قيل هذا الشعر ؟

قلت : لا !

قالت : فيّ ـ وانا زينب طبيبة بني آود

---

(١) ـنعمان بن ثابت ـ الجندية في الدولة العباسيـة ص٢٥٢ سيرة ابي بكر ـ ص١١٧ ، ١١٨ ، ١٣٥

ثم قالت : اتدري من قاله ؟

قلت : لا

قالت : قاله عمك ابو سماك الاسدي(١) .

وان الوليد بن عبدالملك هو الذي انشأ البيمارستان للمرضى ودار الضيافة فاذا ما علمنا بانه في عهد الخليفة الوليد هذا كثرت الفتوحات الاسلامية وانطلق القادة شرقا وغربا لفتح الامصار وسارت الجيوش الاسلامية حتى وصلت تخوم الصين ، وعبرت مضيق جبل طارق لتمتد في سهول الاندلس ووديانها ــ وهكذا الزمت كثرة الفتوح هذه الى الاهتمام الكبير بالعناية بالجرحى مما جعلت الخليفة يهتم كل الاهتمام ببناء المستشفى الرئيس في دمشق وربما المستشفيات الاخرى في بقية الامصار(٢)

وجاء في بعض المصادر بان الجاحظ قد روى في كتابه « البيان والتبيين » وان لم نستطع الاهتداء الى هذه الاشارة ــ بأن الحجاج كان اول من وضع المحاميل لنقل الجرحى(٣) .

ويروي ان الخليفة الاموي عمر بن عبدالعزيز كتب الى امصار الشام :ـ

« ان ارفعوا الي ، كل اعمى في الديوان ، أو مقعد ، أو من به فالج أو من به زمانه تحول بينه وبين القيام الى الصلاة فرفعوا اليه ، فأجر لكل اعمى بقائد وآمر لكل اثنين من الزمني بخادم(٤) . »

هذا التفات رائع ورعاية انسانية مثالية الى العجزة والمقعدين والمعوقين

---

(١) ــ عمر كحالة ــ اعلام النساء جـ٢ ص٥٧

ابن ابي اصيبعة ــ عيون الانباء جـ١ ص١٦٦ ، ١٣٣

(٣) ــ ناجي معروف ــ اصالة الحضارة العربية ص١١٦

ــ الجاحظ ــ البيان والتبيين جـ٢ ص٢٣ ؟

(٤) ــ سيرة عمر بن عبدالعزيز ص١٥٤

ناجي معروف ــ اصالة الحضارة العربية ص٣٤٤

قد اخذ بها الخليفة المصلح عمر بن عبدالعزيز ـ وحتما ان الكثير من هؤلاء المقعدين هم من ضحايا الحرب التي خاضتها الجيوش العربية الاسلامية في صدر الدولة الاموية جعلت ان يأمر الخليفة لكل اعمى بقائد ولكل عاجزين بخادم يسهر على خدمتهما وقضاء حاجاتهما ويساعدهما في انجاز متطلباتهم اليومية اهتماما منه الى الكفالة الكاملة لمعيشتهم وسكناهم .

وباتساع الفتوح بطلت عادة خروج النساء مع الجيوش (وقد كن عند خروج الجيش يقمن بعناية الجرحى) ومن ثم اصبحت معالجة الجرحى من واجبات جماعات خاصة متخصصة لهذا الغرض[1]

ولا نعرف الشيء الكثير عن هؤلاء الجماعة الخاصة المتخصصة ـ من هم وكيف كانوا يعملون وكيف يوقفون النزف أو يضمدون الجراح ـ أو يعقمونها أو يمنعون عنها الجراثيم والتلوث ـ وبكل تأكيد انهم اخذوا بالمبادىء الاولية التي كانت معروفة بين القبائل وعرافهم وكهنتهم ـ ومن ثم اخذوا بوصايا التطهير والنظافة وغسل الجروح وكيها والتي امر بها الاسلام .

ومن ثم اضافوا اليها من معارفهم وتجاربهم الخاصة وتجارب الاخرين ونضرب مثالا : على سعة اطلاع الاطباء وحيلتهم العلمية في معالجة الجروح والنزيف بما يروى ـ عن الطبيب ـ الحكم بن ابي الحكم الدمشقي الذي عاش في العصر الاموي ـ انه سار وابنه في شوارع دمشق فمرا بحجام قد اجتمع عليه الناس وامامه رجل ينزف الدم من ذراعه نزفا شديدا وقد استنفد الحجام وغيره كل حيلة في ايقاف الدم فلم يتوقف ـ لقد استعمل الرفائد ونسيج العنكبوت ـ والوبر فلم ينقطع الدم ....

واستعمل الطبيب اخيرا نصف حبة فستق ولف فوقها الرفائد وغمسها في الماء البارد الى اليوم الثاني وانقطع النزيف وسقطت نصف الفستقة بعد

(١) ـ الجيش العربي في صدر الدولة العباسية ص١٣

ايام تاركة وراءها النسيج الذي بناه الجسم وفي هذه القصة تلاحظ مهـارة الاطباء في ذلك العصر والحيلة الجيدة في وقف النزيف واستعمال اساليب لا تزال يلجأ اليها احيانا[1] •

وبعد افول نجم الدولـة الاموية ـ وتسلم الدولـة العباسيـة مقاليد الحكم وغدت بغداد بعد دمشق عاصمة للعالم العربي والاسلامي ـ ومركزا للاشعاع الحضاري والعلمي ـ وكثر عدد الاطباء وتنوعت اختصاصاتهم ـ وزادت مهاراتهم ـ واهتمام الخلفاء بالعلوم ونقلها وترجمتها والاضافة اليها ابتداءً بأبي جعفر المنصور ـ وهاون الرشـيد والمأمـون ـ والمعتصم ـ والمقتدر •••

وانشئت المستشفيات العامة والخاصة والمتخصصـة ـ وشـلمت تلك النهضة العلمية الطبابـة العسكريـة والاهتمام بصحـة المقاتلين والاعتناء بالجرحى والمصابين •

فكان العباسيون اذا جهزوا جيشا ارفقوا معه الاطباء لمداواة الجرحى والمرضى وارفقوا معه الصيادلة لتركيب الادوية واعدادها •

وكان عدد الاطبـاء عظيما جدا ـ حتـى ان في بغداد وحدها كان من الاطباء في خلافـة المقتدر في أول القرن الرابع للهجرة ٨٦٠ طبيباً • ومن هؤلاء الاطباء من هو مختص بالجند يقيم معـه اذا قام ويرافقـمه في جميع اسفاره وخدماته • وكان للجيش العباسي مستشفيات سيارة يحملونها على الجمال والبغال وترافقه في تنقلاته وحروبه اينما حل أو ارتحل •

فقد كان في معسكر السلطان محمود السلجوقي مستشفى يحملـه

---

(١) ـ راجي عباس التكريتي ، طرائف الاطباء ١٩٧٨ ص ٦٣

(٤٠) جملا يستصحب العسكر حيثما توجهوا[1] .

كما اشارت كتب التاريخ التي سردت حوادث مفصلة عن الملحمة البطولية في معركة عمورية بأنه كانت هناك محامل خاصة تنقلها البغال مخصصة لحمل الجرحى[2]

وكان الجيش العباسي بوجه عام يتألف من الفرسان والمشاة أو الرجالة والمنجنيقيين والنشابين والنفاطين والزراقين والدبابين والعيارين ـ كما كان من تنظيمات الجيش شموله على المهندسين والاطباء والبياطرة .. كما كان هناك اهتمام كبير بصلاحية الجند للخدمة العسكرية وتقرر بعد اختيار دقيق يشرف عليه جماعة من كبار القادة[3]

وقد جاءت ادلة وبراهين على خروج الاطباء مع الجيوش الاسلامية على هيئة قصص وطرائف متناثرة في بطون كتب التاريخ ولم ينفرد بالحديث عنها مؤلف معين أو كتاب خاص .

ومن هذه الادلة التي تناقلتها كتب التاريخ على خروج الاطباء مع الجيوش الاسلامية وتضلعهم بالمعرفة والعلوم الطبية ومهارتهم حيث كان الاطباء في العصور السابقة ملمين باكثر فروع الطب والجراحة ـ يضاف الى ذلك فانه فيلسوف" وفقيه" واديب" ...

فقد حكى نظامي العروضي السمرقندي ـ وكان ينتمي الى الغور أنه وقعت سنة ٥٤٧هـ موقعة بين جيوش « سلطان العالم » سنجر السلجوقي

---

(١) ـ ابن ابي اصيبعة ـ طبقات الاطباء جـ١ ص٢٢٢
ابن خلكان ـ وفيات الاعيان جـ١ ص٢٧٤
الجندية في الدولة العباسية ص١٦٤

(٢) ـ الجندية في الدولة العباسية ص٢٧٤

(٣) ـ حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الاسلام جـ٤ ص٣٦٠
تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ص١٣ ، ١٤

وجيوش علاءالدين الحسين الغوري وان الدائرة قد دارت على الغور الذين تعرضوا لحقد السلاجقة وحنقهم واضطهادهم .

وقد اختفى نظامي العروضي - الطبيب - عن انظار السلاجقة في مدينة هراة ، حيث دعاه احد الاهالي لتناول العشاء في داره - ثم عبر له عن حزنه لمرض ابنته الوحيدة والتي كانت مصدر بهجته وسروره - وقال انها في ايام الحيض تنزف عشرة أو خمسة منا من الدم حتى تخور قواها وقد استشار كثيرا من الاطباء الذين تولوا علاجها ولكن دون جدوى - وقال ان الاطباء اذا اوقفوا الدم انتفخ بطنها وزاد المها ، واذا تركوه نزف وظهر عليها الهزال وتعرضت للهلاك .

وطلب نظامي عروضي الى الرجل ان يخبره حين يعود الحيض الى ابنته . ومن ثم تولى علاجها وتم شفاؤها كاملا[1]

واورد هذه القصة لابرهن على شيئين :-

أولهما على تواجد الاطباء العسكريين في الجيوش الاسلامية المتحاربة وثانيهما على مهارة الاطباء العسكريين ومقدرتهم في ذلك الزمان وحتى في الامراض النسائية والتي قد تعتبر خارج نطاق دائرة معارفهم .

وكان الخلفاء من بني العباس عندما يعدون جيوشهم أو يخرجون لقيادتها يخرج معهم الاطباء لعلاجهم وعلاج قادة الاجناد ومعالجة الجرحى ...

ومن هذه القصة التي تناقلتها كتب التاريخ والسير انه في احدى غزوات هارون الرشيد الى بلاد الروم - وفي بلاد الاناضول - طلب طبيب الخليفة المرافق للجيش ان يزور قبر جالينوس والذي اصبح قريبا من مسار الجيش فاذن له الخليفة وارسل معه خمسين فارسا لحمايته .

(١) - الدكتور حسن ابراهيم حسن - تاريخ الاسلام جـ٤ ص٥١٧ ، ٥١٨

وكذا عندما كان الخليفة هارون الرشيد في عسكره وهو في بلاد فارس ومرض المرض الذي مات فيه ـ وقد ثقل عليه المرض فاجتمع حوله الاطباء ولم يجدوا لانقاذه سبيلاً واظهروا يأسهم منه وكان فيهم جبرائيل بن بختيشوع[1]

وفي هذا اشارة واضحة ودليل ثابت على خروج الاطباء مع الجيش وقادته وملوكه عندما يخرجون للحرب •

وعندما اشتدت دعوة الخوارج وقوت شوكتهم بقيادة الوليد بن طريف الشاري زعيم الخوارج وفشل الكثير من قادة بني العباس في التغلب عليه وقد حصل العكس فقد كان يفتك بهم ويشتت شملهم ••

وبعدها انتدب الخليفة هارون الرشيد القائد العربي يزيد بن مزيد الشيباني •

وفي أول خميس من شهر رمضان عام/١٧٩هـ الموافق ٧٩٥م ـ التقى الخصمان من آل شيبان • وبعد قتال عنيف ونزال مرير تبارز القائدان وانتصر يزيد وقتل الوليد وكتب النصر للجيش العباسي على جيش الخوارج ••• وأول عمل قام به القائد العباسي ان جمع جرحى جيشه وفيهم ابنه (اسد بن يزيد) وارسلهم جميعا « قبله الى بغداد ـ وارسل معهم رأس الوليد وتوجه هو بعدهم ودخل بغداد منتصراً »[2] •

وهذا دليل اخر على الاهتمام بجرحى المعركة واعطائهم الاسبقية بالاخلاء الى العاصمة لايصالهم بسلام ومعالجتهم في المستشفيات التي كانت متوفرة بكثرة انذاك •

ومن طب وجراحة الحروب مما يذكر عن الرازي انه أول من استخدم « فتيلة الجرح » وامعاء « مصارين » الحيوانات بخياطة الجروح وأول من

---

(١) ـ الدكتور عبدالجبار الجومرد ـ هارون الرشيد جـ٢ ص٥٦١
(٢) ـ الدكتور عبدالجبار الجومرد ـ هارون الرشيد جـ٢ ص٤٠٥

استخدم الرصاص الابيض في مراهم الجروح[1]

وفي حرب بابك[2] ، خرج الافشين[3] وحمل المال والزاد ولم يبق في المعسكر بغل الا وضع عليه محمل للجرحى واخرج معه المتطببين وحمل معه الكعك والسويق وغير ذلك وجميع ما يحتاج اليه[4]

وبعد ان وقفت الحرب ـ وبعث الافشين بالبغال التي كان قد جاء بها معه وعليها المحامل ، فجعلت فيها الجرحى ومن كان به وهن من الحجارة ولا يقدر على المشي[5]

وهذه ايضا اشارات واضحة ونصوص صريحة الى اعداد الخدمات الطبية المرافقة للجيوش الاسلامية في حلها وترحالها واعداد العدة مسبقا لنقل الجرحى بعد اسعافهم ومن ثم اخلاؤهم الى الاماكن الامينة حيث تتوفر فيها الراحة والخدمات الطبية المتمكنة من علاجهم واسعافهم ومما جاء في كتب التاريخ ـ قال يوسف بن ابراهيم ، حدثني زكريا بن الطيفوري[6] قال :ـ

كنت مع الافشين في معسكره وهو في محاربة بابك فأمر بأحصاء جميع من في عسكره من التجار وحوانيتهم وصناعة كل رجل منهم فرفع ذلك اليه فلما بلغت القراءة بالقارىء الى موضوع الصيادلة قال لي :ـ

ـ يا أبا زكريا اضبط هؤلاء الصيادلة عندى اولى ما تتقدم فيه • فامتحنهم

---

(١) ـ عمر فروخ ص٢٧٨

(٢) ـ بابك ـ احد المنشقين في بلاد فارس على الخلافة العباسية

(٣) ـ قائد عباسي مشهور له حروب كثيرة اشتهر فيها وحارب بابك وانتصر عليه•

(٤) ـ الطبري ـ تاريخ الطبري ٩ : ٤١

(٥) ـ الحجارة ـ بقصد حجارة الطريق والمسير الشاق

(٦) ـ طبيب كانت له شهرة ومواقف طبية ومعروفة في بغداد في العصر العباسي •

حتى نعرف منهم الناصح من غيره ومن له دين ومن لا دين لـه فقلت :

ـــ اعز الله الامير ان يوسـف لقبوه الكيميائي كان يدخل على المأمـون كثيرا ويعمل بين يديه فقال له يوما : ويحك يا يوسف ليس في الكيمياء شيء !!

فقال له :

ـــ بلى يا امير المؤمنين وانما افة الكيمياء الصيادله !

ـــ ويحك وكيف ذلك ؟

فقال له :

ـــ يا أمير المؤمنين : ان الصيدلاني لا يطلب منه انسان شيئا من الاشياء كان عنده او لم يكن الا اخبره بانه عنده أو دفع اليه شيئا من الاشياء التي عنده وقال له هذا الذي طلبت • فان رأى امير المؤمنين ان يضع اسما لا يعرف ويوجه جماعة الى الصيادلة في طلبه ليبتاعه فليفعل •

فقال له المأمون •

ـــ قد وضعت الاسم وهو « سقطيثا » !

(وسقطيثا) ضيعه تقرب من مدينة السلام ووجه المأمون جماعة من الرسل يسألهم عن (سقطيثا) فكلهم ذكر انه عنده ـ واخذ الثمن من الرسل ودفع اليهم شيئا من حانوته •

فصـاروا الى المأمـون باشياء مختلفـة فمنهم من آتى ببعض البذور ومنم من آتـى بقطعـة حجر ، ومن اتـى بـوبر ـ فاستحسن المأمون نصح يوسف عن نفسه واقطعه ضيعة على النهر المعروفة بنهر الكلبة فهي في ايدي ورثته • فان راي الامير ان يمتحن هؤلاء الصيادلة بمثل محنة المأمون فليفعل •

فدعا الافشين بدفتر من دفاتر « الاسرو شتيه » فاخرج منها نحوا من عشرين اسما ووجه الى الصيادلة من يطلب منهم أدوية مسماة بتلك الاسماء .

فبعضهم انكرها وبعضهم ادعى معرفتها واخذ الدراهم من الرجل ودفع اليه شيئا من حانوته فامر الافشين باحضار جميع الصيادلة فلما حضروا كتب لمن انكر معرفة تلك الاسماء منشورات اذن لهم فيها بالمقام في عسكره ونفى الباقين عن المعسكر ولم يأذن لاحد منهم في المقام ، ونادى المنادي بنفيهم وبأباحة دم من وجد منهم في معسكره[1] . وتؤكد هذه القصة بان المأمون سنة ٢١٨هـ - ٨٣٣م قد امتحن كافة الصيادلة في معسكرة وكذا فعل المعتصم .

وتورد هذه القصة على ما فيها من طرافة لندلل على تواجد الاطباء في المعسكر في مرافقة الجيش وبخاصة كطبيب مثل ابي زكريا الطيفوري وهو من اطباء بغداد المشهورين والتي تناقلت كتب التاريخ والسير والطب سيرته وحياته وطرائفه وبتواجد هذا الطبيب العالم يؤكد على تواجد عدد كبير اخر من اطباء الجيش ومنهم من له شهرة وبراعة في عمله .

وهذا دليل اخر على تواجد الصيادلة في المعسكر والاهتمام بمراقبتهم ومحاسبتهم ونفي من يجهل اصول المهنة والتزامها الادبي - وطبعا لا يمكن ان يتواجد هكذا عدد كبير من الصيادلة دون ان يتواجد عدد اكبر من الاطباء والجراحيين والعاملين بصناعة اليد .

---

(١) - ابن ابي اصيبعة - عيون الانباء ٢ : ٩٢
الحكيم راجي عباس التكريتي - طرائف الاطباء الطبعة الاولى ص٧٤
عمر فروخ . ص٢٩٥

الجراحـة والحـرب

منذ بدء الخليفـــة على ارضنا هذه والحياة بكاملها في صراع مستمر : الوحـوش مع بعضـــها ••• والانســـان مع اخيـه الانســـان من جهـــة ومع الوحوش المفترسة من جهة أخرى •• مما يستوجب معرفة معينة لمعالجة اثار هذا النزاع أو ذلك الصراع لتخفيف الالم أو لقطع النزيف أو خياطـة جرح •••

وهكذا بدأت الجراحة في اولى اساليبها ـ الجراحة العامة أو جراحة ـ الحرب بالمعنى الاوفى •••

والعرب ـ دولها القديمة ـ وعشائرها وقبائلها كانت في صراع مستمر وغزو متواصل مع اعدائها ومع بعضها ومن هذا الصراع والنزاع المتواصل والغزو الدائم كثر الجرحى والقتلى •••• مما استوجب العلاج لهذه الجراح وقطـع النزيف وتخفيف الالام ـ ومن هنـا برز صنـــاع اليد العرب ••• الجراحون ـ ولكن ليس بالعدد والنبوغ الذي برز فيـه الاطباء ••• ربما كان سبب ذلك لتأثرهم بجيرانهم الرومان ـ والغساسنة ـ والاحباش الذين

اعتنقوا الديانة المسيحية - وكانت الكنيسة والى عصور قريبة تحرم الجراحة - واخراج الدم من جسم الانسان ....

والسبب الثاني - انه نوع من الترفع وبخاصة ما امتاز به العرب من شموخ وانفة جعلهم يترفعون عن الجراحة في ايامهم الاولى وتقليلهم من شأنها يرجع الى انهم كانوا يعتبرونها صناعة يدوية - اما الطب فكان عندهم من نتاج العقل والعقل اعلى منزلة من اليد[1]

فمن اقدم الكتب الطبية التي كتبت باللغة العربية هو كتاب « فردوس الحكمة » للطبري وقد خصص جزءاً واحداً فقط تحدث فيه عن الجراحة . وكذا اشار الرازي الى معلومات مهمة في الجراحة وبشتى انواعها في موسوعته الطبية « الحاوي » ولكن ليس بالقدر الذي تحدث فيه عن الامراض الباطنية والعيون - والصدر - والامراض المعدية وبقية فروع المعارف الطبية .

وكذا اختصت المقالة السابعة من كتابه « المنصوري »[2] وان فضل استعمال خيط الشعر في العمليات الجراحية في القرون الوسطى يرجع الى الرازي[3] .

ولا يمكن للجراحة ان تزدهر وتتطور ما لم يتطور ويزدهر علم اخر ملازم لها - وهو علم التخدير - وكان للعرب فضل كبير على هذا العلم هو في غاية الاهمية - واطلقوا عليه اسم المرقد (المخدر) العام في العمليات الجراحية .

---

(١) - د ياسين خليل - الطب والصيدلة عند العرب ص١٢٣
(٢) - د ياسين خليل - الطب والصيدلة عند العرب ص١٢٤
(٣) - لا يزال البدو - العرب الرحل في منازعاتهم وحروبهم وخياطة جروحهم يستعملون خيوط الشعر - يقطعونها من رؤوس فتياتهم ذوات الشعر الطويل حيث يخبطون بها تلك الجراح .

وكم كان التخدير العربي فريداً في نوعه صادقا في مفعوله رحيما بمن يتناوله[1] فقد استخدم العرب في الجاهلية المخدرات كالحشيش والافيون والزؤان وست الحسن (هيو سيامين) وهم الذين اخترعوا الاسفنجة المخدرة والتي لم تكن معروفة قبلهم وانما هو فن عربي خالص •

حيث كانت توضع هذه الاسفنجة في عصير من الحشيش والافيون والزؤان وست الحسن ثم تجفف في الشمس واذا ما اريد استعمالها ثانية ترطب وتوضع على انف المريض فتمتص الانسجة المخاطية المواد المخدرة ويذهب المريض في نوم عميق يحرره من اوجاع العملية الجراحية[2] •

واستعانوا بالخيوط المصنوعة من امعاء الحيوانات في خياطة الجروح •

في ذلك الوقت بالذات كانت الجراحة نفسها محتقرة في اوربا وينظر الى الجراحيين نظرة مقيتة ـ وهي متروكة تمارس من قبل الحلاقين •
والمدارس الطبية تتحاشى تعليم الجراحة ـ ففي سنة ١٦١٣م اصدر مجلس (تورس البابوي) قرارا يفرض على المدارس الطبية إهمال تعليم الجراحة في حين كان العرب يحترمون الجراحة الطبية بوصفها قسما من الطب قائما بذاته بعد ان فهموا روح الاسلام فهما دقيقا واوصى بها الرسول الكريم(ص) في مناسبات عدة •

وعرف العرب بطريق التجربة ان الجراحة في بعض الحالات اجدى وسيلة في حسم الداء مما جعلهم ان يزيدوا من اهتمامهم بالطب الجراحي[3]

ومن عمق معرفتهم بالتخدير كعلم وتقديرهم له مما يسر لهم العمل

---

(١) ـ زنغريد هونكة / شمس العرب تسطع على الغرب ٢٧٩ ، ٢٨٠

(٢) ـ ابو الفتوح التوانسي / من اعلام الطب العربي مذاهب وشخصيات ص٥٠
عيون الانباء في طبقات الاطباء

الجراحي وساعد كثيرا في تطور علم الجراحة ومن العوامل المهمة التي ساعدت على نجاح وتطور علم الجراحة لدى العرب المسلمين هـو اهتمامهم بالتعقيم والنظافة وغسل الجراح بالماء المغلي مما سهل عمليـة شفاء تلك الجراح ـ بشكل سريع وجعلهم يعتمدون عليها كثيرا .

وشددوا على منع التلوث وعلاقة ذلك بالاوساخ والذباب الذي ينقل الكثير من الجراثيم ـ وان لم تكن الجراثيم مكتشفـة انذاك ولكنهم قد عرفوا فعالها وتأثيرها في الجراح وتقيحها واشاروا اليها بشـكل غير مباشر حتى تداولوها بنصائحهم واشـعارهم .. وفي هذا الصـدد قال شيخ اطباء بغداد في وقته ـ ابو الحسن هبةالله ابن التلميذ وهو يعطي الحكمة والنصيحة ويضرب بذلك المثل لما تحدثه الذبابة من تأثير سيء على الجرح ومـا تتركـه من اثار ضارة قد تؤذي الانسـان اكثر من اذى الاسد بقوتـه وسطوتـه وشراسته حيث قال :ـ

لا تحقرن عدوا لان جانبـه ... ولـو يكـون قليل البطش والجلد
فللذبابـة في الجـرح المـد يـد ... تنـال ما قصرت عنـه يد الاسد[1]

انها لملاحظة علمية دقيقة الى تأثير الذبابة على الجرح الطري وما تحدثه فيه من اضرار قد تقصر عنه يد الاسد بقوته ووحشيته .

وقد لاحظ الاطباء العرب ان الفساد الذي يصيب احد الاعضاء مثل الاطراف قد يسري ويلحق ضررا بالغا باليد كلهـا أو بالرجل كلهـا . ولذا فاذا اصاب العفن احد الاطراف ولم تنجح معـه جميع الادويـة والعلاجات فان افضل سبيل هو قطع ذلك العضو الذي اصابه العفن وبسرعة لئلا ينتقل

---

(١) ـ ابن ابي اصيبعة ١٩٥٦ ، دار الفكر ـ بيروت جـ٢ ص٢٨٣

د ياسين خليل ص١٤٩

العفن الى سائر اجزاء العضو ، وان يكون القطع الى الحد الذي انتهى اليه الفساد[1]

فالجراح الاندلسي الكبير ابو القاسم الزهراوي والمتوفى عام ١٠١٣م قد ادخل تجديدات كثيرة ليس على علم الجراحة عامة بل ايضا في مداواة الجروح ، وفي التشريح واجراء العمليات[2]

فاذا وصف الزهراوي طريقة العمل في قطع العضو الذي اصابه العفن والفساد فانه يصف الاسلوب الذي يجب ان يتبع قبل البدء في العملية الجراحية •

« وصفة قطع العضو او نشره ان تشد رباطا في اسفل الموضع الذي تريد قطعه وتشد رباطا اخر فوق الموضع ويمد خادم الرباط الواحد الى الاسفل ويمد خادم اخر الرباط الاعلى الى فوق وتجرد انت اللحم بين الرباطين بمبضع عريض حتى ينكشف اللحم كله ثم يقطع أو ينشر • وينبغي ان تضع من جميع الجهات خرق الكتان لئلا يمس المنشار الموضع الصحيح فيعرض للعليل الم زائد وورم حار ، فان حدث نزف دم من خلال عملك فاكو الموضع بسرعة أو احمل عليه بعض الذرورات القاطعة للدم ثم عد الى علاجك حتى تفرغ ثم اربط العضو المجروح برباط يصلح له وعالجه حتى يبرأ[3]

وصف دقيق لممارسة الجراح عمله في ربط اسفل واعلى موضع القطع ـ وكذا محاولة تجنب ان يذهب الجراح كثيرا الى الموضع السليم ـ ومداراة النزف الافضل بعدم حدوثه وان حدث فالاسراع بالكي بالنار ـ والآن يلجأ الجراحون الى نفس الفلسفة الكي ولكن بتيار الكهرباء ويبقى الكي هو

---

(١) ـ ابن سينا ـ القانون في الطب ـ جـ٣ ص١٨٥ •

(٢) ـ شمس العرب ـ ص٢٧٧

(٣) ـ د • ياسين خليل ص١٤٩

الكي سواء بعمود من الحديد قد احمي بالنار أو بقطب حديدي موصل بالكهرباء ويتم كي الاوعية الدموية حتى ينقطع النزيف واذا لم يجد الكي نفعا فعندئذ هناك يمنع النزف وربما كانت تصلح كمعقمات ، وليس هذا فحسب ـ وانما اشترط الزهراوي معرفة الجرائحي لعلم التشريح ليقف على منافع الاعضاء ومعرفة العظام والاعصاب والعضلات والعروق وغير ذلك فمن غير معرفة بالتشريح لا يمكن للجراح ان ينجز عمله بالشكل الصحيح بل لا يمكن ان يكون جراحا فلا يمكن للانسان ان يهتدي بطريقه في الظلام الدامس أو يسير وسط الزحام وهو معصوب العينين وقد ذكر الاطباء العرب بعض المحاذير الجراحية في مؤلفاتهم الطبية عند الكلام عن صناعة اليد « علم الجراحة » وابرز هذه المحاذير والشروط :

اولا : ان يتجنب الجرائحي عند الفصد او البط او وصل شق من اصابة عصب أو شريان بضرر ، لان ذلك يؤدي الى عطب يصيب المريض أو يودي في حالة النزف الشديد الى الموت ..

ثانيا : ان ينظر الجرائحي في الجروح والاورام غير الخبيثة فلا يقدم على خياطة جرح اصابه قيح وتهيج والتهاب الا بعد ازالة هذه الاعراض بوساطة الادوية لتنقية الجرح .

ثالثا : ان يتجنب الجرائحي القيام باعمال الجراحة لعلل لا يمكن شفاؤها لكي لا يخاطر بسمعته من جهة ، ولا يسرع في موت المريض عند اجراء العملية من جهة اخرى .

رابعا : ان يتجنب الجرائحي وقوع اوساخ أو مواد غريبة في شق الجرح لان ذلك يمنع شفاء الجرح بسرعة .

هذه الشروط والتعليمات التي سطرها الاطباء العرب المسلمون ـ لا تزال من الشروط الحية الفعالة التي يمارسها الجراح ويلتزم بها اذا

مارغب في اسراع شفاء عملية الجراح الحربية منها وغير الحربية • وطبعا غدت الان اكثر حيوية واهمية بعد ان اكتشفت الجراثيم التي تعبث فسادا بالجروح اما ما ذكره الاولون فكان اعتمادهم على ملحوظاتهم الدقيقة واستقرائهم للحالات واعتمادهم على المنطق العلمي السليم •

وكما ذكر الجراح الدمشقي « ابن القف » في كتابه « العمدة في صناعة الجراحة » •

« ان يحترز الجرائحي من وقوع شيء بين شفتي الجراحة فانه يمنع التقاءهما وذلك الشيء اما شعر أو دهن أو غبار »

واذا حدث في الجرح عفونه تمنع من خياطته ومعالجته فعلى الجرائحي عند ئذ ان يقطع الجزء المتعفن ثم يعالج الجرح بعد ذلك ، وفي كل الاحوال يجب المحافظة على الجرح من التلوث ، لان الجرح الذي يسيل منه القيح لا يندمل حتى تخرج منه الرطوبات المتعفنة[1]

لم يذهب (ابن القف) بعيدا بل كان قريبا كل القرب من المنطق العلمي المعاصر عن تلوث الجروح وسبب القيح في تأخير شفاء تلك الجروح ، وان الشعر والدهن والغبار وخيوط القماش ـ اذا دخلت في اعماق الجرح فأنها تعيق عملية الشفاء وبخاصة اذا كانت تلك المواد غير معقمة أي أنها ملوثة وتحمل بين ثناياها الجراثيم المسببة للقيح ، وقد لجأ الطبيب الجرائحي الى معاملة الجروح بالمداواة أو الخياطة سواء كانت هذه الجروح ناتجة عن ضربة سيف أو آلة قاطعة أو كانت بسبب شق اجراه الطبيب في عملية جراحية مثل اخراج الحصى من المثانة وغير ذلك •[2]

---

(١) ـ د • ياسين خليل ص١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠

(٢) ـ د • ياسين خليل ص١٣١

وبعد ذكر الشروط التي يجب ان تتوفر في العمليات الجراحية سواء تلك الناجمة من ضربة سيف ام طعنة رمح ام التي شقها الجراح بسكينة ..

وما يجب توفره من وقاية واحتراس من تلوث الجرح أو من دخول الاوساخ وخيوط الشعر ، والاتربة بين شقيه ـ يتناول الاطباء العرب المسلمون خياطة الجروح ويصفون الاساليب التي يجب ان تتبع في هذه العملية المهمة حتى لا تؤثر على سرعة شفاء تلك الجروح . ويذكرون في ذلك ان لخياطة الجروح بصورة عامة اربعة شروط اولها يتصل بنوعية الخيط وثانيها بالمسافات بين الغرزات ، وثالثها بالبعد والقرب من حافة الجرح ورابعها بنوع الابرة المستخدمة .

وهذه الشروط على التوالي :ـ

« احدها ان يكون الخيط معتدلا في الصلابة واللين فان الصلب ربما خرق الجلد واللين سهل القطع سريعه . وثانيها ان تكون الغرز معتدلة في القرب والبعد بعضها من بعض فان البعيدة لا تضبط الاحشاء على ما ينبغي والشديدة القرب كثيرة الالم .

وثالثها ان لا يكون مغرز الابرة قريبا من حافة الجرح فتخرم ولا بعيدة عنه فيتعذر انضمام الشفتين .

ورابعا ان تكون الابرة لرأسها ثلاثة حدود وهي التي يخيط بها الفراء فان مثل هذه الابرة تكون سهلة الدخول في الجلد »[1]

ومن وصف الابرة والخيط المستعملين في خياطة الجرح ووصف كل منهما ـ نعرج الى الالات والادوات الجراحية التي كان يستعملها الجرائحيون وهي كثيرة ومتنوعة وافضل من عدّدها ووصفها وادخل الكثير من التحسينات

---

(١) ـ د . ياسين خليل ص١٣٢
ابن القف ص١٢٧

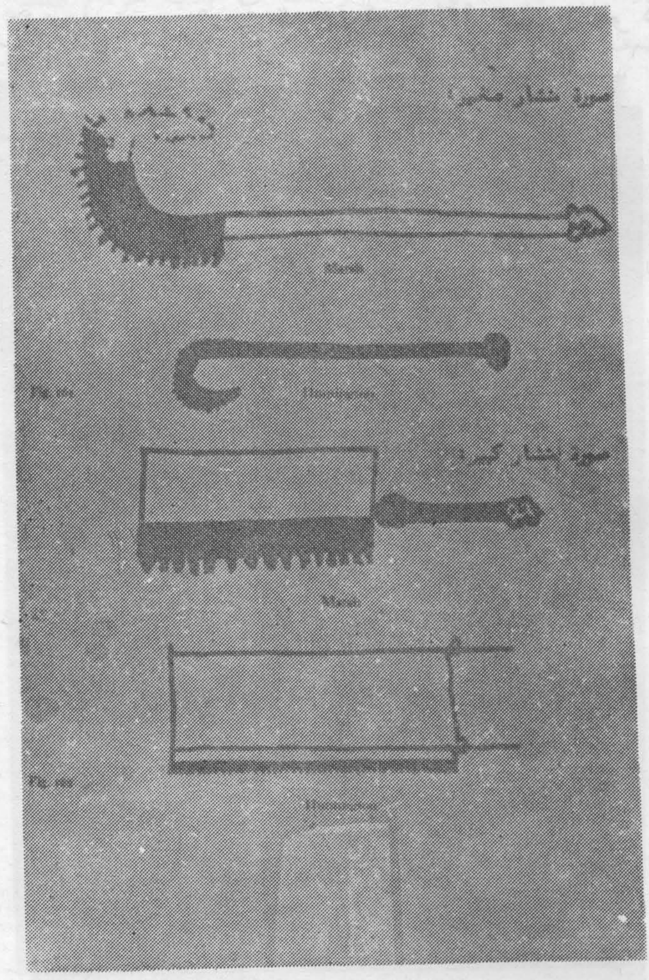
اليها بل ادخل الكثير منها لاول مرة في عالم الجراحة هو الجراح العربي أبو القاسم الزهراوي الاندلسي - الطبيب والجراح والمؤلف وقد اشتمل مؤلفه



على اكثر من مائتي شـكل للالات والادوات - الجراحيـة التي كان العالم يستعملها في ممارسة اعمال الجراحة •

والزهراوي أول من لجأ الى ربط الشرايين لمنع النزيف وأول من وضع -

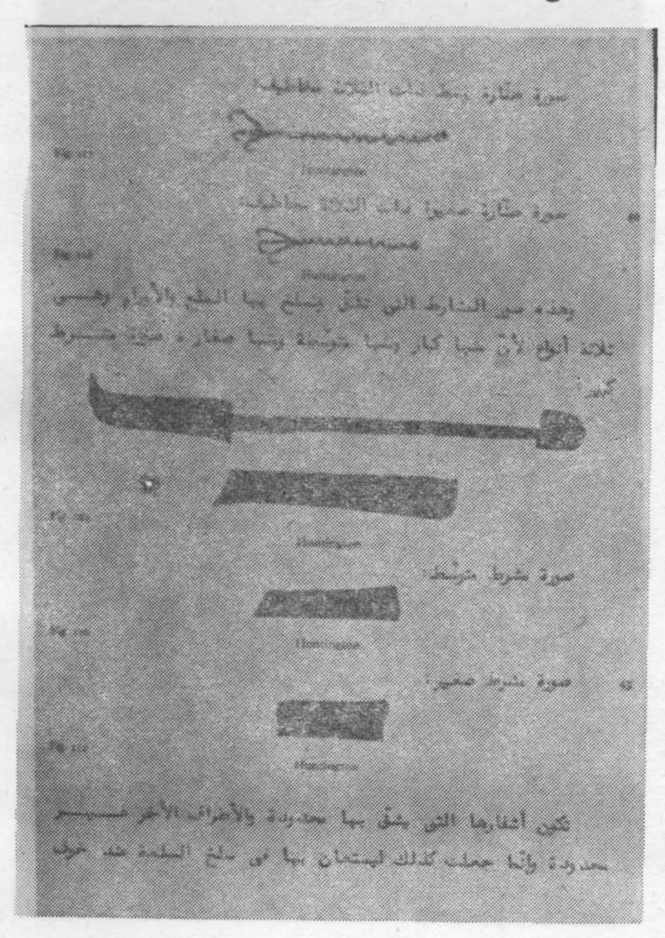
اصول علم الجراحة حتى ساعدت مؤلفاته الجراحيـة على وضع **الاسـاس للجراحة في** اوربا[1]



وقد جاء في الفصـل الرابع والثمـانين في علاج **الجراحات من** كتـاب الزهراوي « التيسير لمن عجز عن التأليف »

(١) ـ زكريا هاشم زكريا ـ فضل الحضارة الاسلامية والعربيـة **على العالم** ص٤٠٩ ، ٤١٠ .

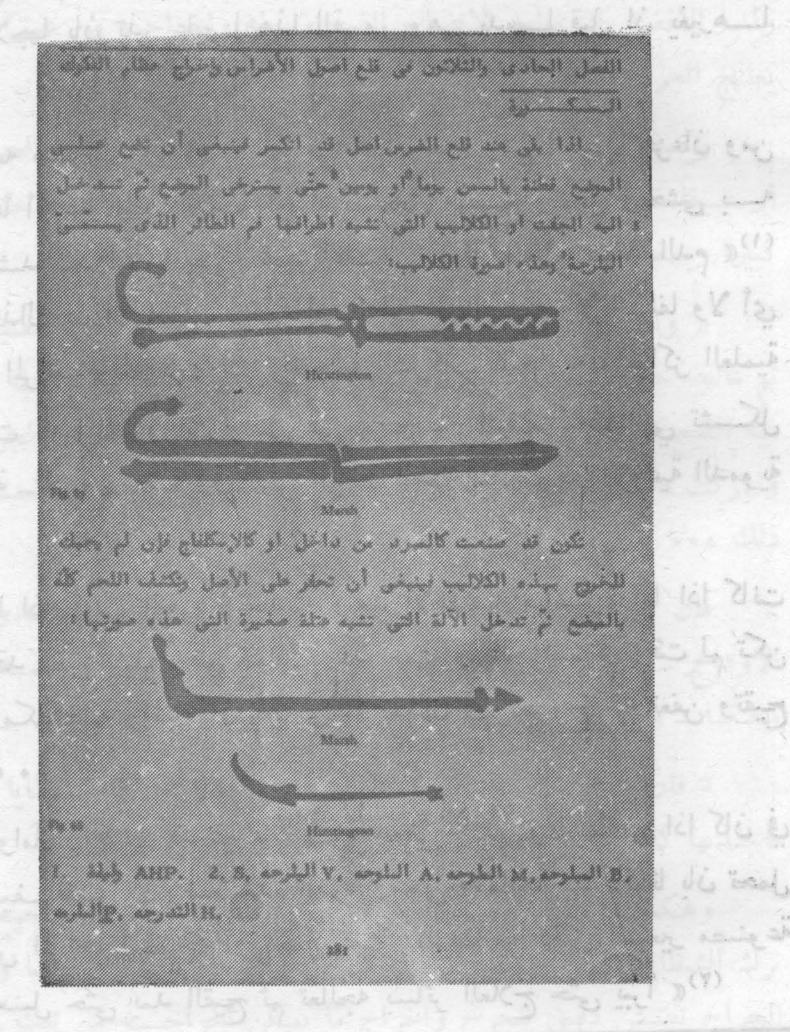
« ان الجراحات تختلف بحسب الشيء الذي يكون بـه الجراحة وبحسب الموضع الذي يقع عليـه الجرح فالاشيـاء التي تكون بهـا الجراحات كبيرة كصكة حجر أو قطع سيف أو طعنة رمح أو عود أو سهم ونحو ذلك ...



« واما الجراحات بحسب المواضع من الجسم فكالجرح الذي يقع على الرأس أو العنق أو الصدر أو البطن أو الكبد ونحوها من الاعضاء[١]

1- Spink, M.S. & Lewis, G.L. Albucasis, on Surgery and instroment 1973 P. 525.

فان كان الجرح كبيرا وكان من قطع سيف أو نحوه ولم تجتمع شفتاه بالرفائد فاجمعه بالخياطة على ما انا واصفه في خياطة جراح البطن ، فان كان الجلد كشف العظم وتعلق ولم يكن امتساكه الا في معلاق يسير فاقطعه



الفصل الحادي والثلاثون في قلع اصل الأضراس وقلع عظام الفكوك المكسورة

اذا بقي عند قلع الضرس اصل قد انكسر فينبغي أن تضع على الموضع قطنة بالسمن يوما أو يومين حتى يسترخي الموضع ثم تدخل اليه الجفت او الكلاليب التي تشبه اطرافها فم الطائر الذي يسمى البلارجة وهذه صورة الكلاليب :

تكون قد سنخت كالسرد من داخل او كالاشتباك ولم تجبه للخروج بهذه الكلاليب فينبغي أن تحفر على الأصل وتكشف اللحم كله بالمبضع ثم تدخل الآلة التي تشبه عتلة صغيرة التي هذه صورتها :

281

1- Spink & Lewis P. 529.

ثم عالج الجرح بادوية تجبر لحما صلبا عوض الجلد فان حدث في الجلد عفن ولم يلصق بالعظم فاقطع المتعفن كله وارم به ثم عالجه « فان كان في هذه

الجراحات شريان أو عرق ينزف ولم ينقطع بالادوية ففتش على الشريان فان اصبته لم يبترفابتره بالمصنع واربطه وان دعت الضرورة اذا لم ينفع ماذكرناه فاكوه حتى ينقطع الدم فان كانت هذه الجراحات صغارا بساطا فأمرها سهل هين • يكتفي بعلاجها بان تذر عليها هذا الذرور وهي بدمها قبل ان يغيرها الهواء •

وصفه هذه الذرور ان يؤخذ من اللبان جزء ومن الشيان جزءان ومن الجير المطفأ أو غير المطفأ ثلاثة اجزاء يسحق الجميع وينخل ويحشى به الجرح ويشد شدا جيدا حتى يلصق عليه لصوقا جيدا وينعقد الدم »[1] لم يكن انذاك هناك ادنى معرفة بالمضادات الحياتية ولا السلفا ولا أي شيء من المراهم والمعقمات التي انتجتها الشركات التجارية والمراكز العلمية وانما كانت هذه الذرورات والتي هي مزيج من الكيميائيات التي تشكل طبقة عازلة ـ وربما معقمة وفي نفس الوقت قاطعه للنزيف من الاوعية الدموية الدقيقة •

هذا اذا كانت الجروح حديثة وبعد الاصابة مباشرة اما اذا كانت الجروح قد مضى عليها بعض الوقت وقد لعبت بها الجراثيم في وقت لم تكن الجراثيم مكتشفة وانما كان يعزى ما يحدث في الجروح من تعفن وتقيح الى الهواء •

« واما ان كانت قد غيرها الهواء بعض التغير ولا سيما اذا كان في زمن الصيف فليس في وضع هذه الذرور معنى ومعالجة بما ذكرنا بان تحمل عليه بعض المراهم المنضجة أو تحمل عليه عصيدة من دقيق الشعير مصنوعة بالماء والعسل حتى يمد القيح ثم تعالجه بسائر العلاج حتى يبرأ »[2]

1- Spink & Lewis P. 529.
2- Spink & Lewis P. 531.

وهذا منطق علمي عملي سليم حتى يومنا هذا فاذا ما تلوث الجرح وتعمق القيح في عمق الجرح فليس من المنطق العلمي في شيء ان تضع فوقه الذرور أو الدهون حتى المضادات القوية في وقتنا الحاضر قد لا تجدي نفعا وانما الافضل ان تعامل لانضاج القيح وربطه واخراجه من عمق الجرح ثم يعالج الجرح بالتنظيف والتعقيم والمضادات المؤثرة .

ويذهب الى اسلوب علمي حديث اخر ، وهو ان كان الجرح صغيرا أو عميقا فلم ينصح بالخياطة وانما نصح بالخياطة ورتق الجرح عندما يكون كبيرا ويصعب تضميده وجمع حافتيه بالتخييط .

« واما ان كان الجرح كبيرا فاستعمل الخياطة أو ضم شفتيه بالرفائد ثم عالجه حتى يبرأ فان كان للجرح غور وحدث فيه مخبأ في اسفله قد اجتمع فيه القيح فبطه في اخفض مكان فيه ، فان كان قد انقطع في الجرح شريان وادركت دمه ينزف فابتره أو اربطه أو اكوه إن دعت الضرورة الى ذلك ... »

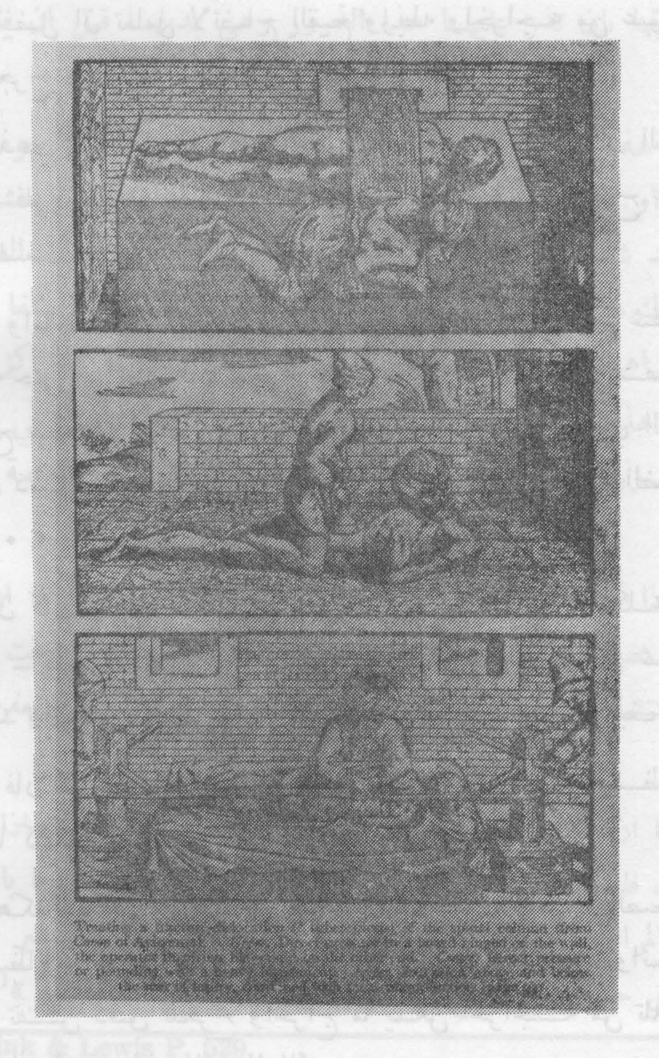
فان كان الجرح قد قطع بعض خرزات الحلقوم أو كله وسلمت الاوداج - فاجمع شفتي الجلد ورده على شكله الطبيعي ثم شده شدا محكما - واتركه اياما ثم عالجه بالمراهم التي فيها قبض وتجفيف حتى يبرأ .

« فان كان الجرح قد اثر في العظم ففتشه فان كان فيه شظايا من العظم فاجتذبها كلها أو ما يمكن منها »(١)

وهكذا يذهب الزهراوي بعيدا في الاسلوب العلمي الصحيح في عدم ترك الشظايا واجزاء العظم لانها تتعارض وعملية الشفاء وانما واجب على الجراح تفتيش دقيق للجرح واخراج ما يمكن اخراجه من تلك - الشظايا قبل خياطته أو ضماده ولفه بالرفائد .

1- Spink & Lewis 533.

وفي جراحة الصدر وما بين الكتفين ، ان كانت طعنة من رمح أو سكين ورأيت لها غورا فانظر فانخرج منها الريح اذا تنفس العليل فاعلم انه قتال فانلم يكن لها غور وكانت طرية بدمها فلا تجعل فيهـا من أول وهلـة الذرور ولا



تشدها لئلا يحتبس الدم في غورهـا فيرتدع الى القلب فيقتل العليل ولكن اجعل فيها مرهما جذابا وحلّه في النهار مرتين فان لم يحضرك مرهم فاجعل

في فم الجرح قطنة بالية لتمص ما يخرج منها من الرطوبات واجعل نوم العليل على الجرح ليسيل ما يجتمع فيه »

« فان كان الجرح من قطع سيف او سكين وكان بسيطا في سطح الصدر او الظهر فعالجه بما تقدم فان كان قد اثر في العظم وقطع منه شظايا ففتش الجرح وبادر باخراج تلك الشظايا ان كانت منبرئة فان لم تكن منبرئة فاتركها حتى يعفن الجرح فانه يسهل اخراجها[1]

وقد جاء في الفصل الخامس والثمانين في جراح البطن وخروج الامعاء وخياطتها :ـ

« الخرق الذي يعرض للبطن قد يكون كبيرا وقد يكون صغيرا ووسطا فالكبير قد يخرج منه معاء او عدة أمعاء فيكون ادخالها وخياطتها أشد واعسر والخرق الصغير ايضا قد يعسر من وجه اخر فيلزم ان يكون ردها اعسر ، والمعاء ان لم تبادر في ادخاله الى موضعه من ساعته انتفخ وغلظ فعسر ادخاله فلهذا صار افضل الخروق الخرق المتوسطة لانه لا يعسر معه رد المعاء كما يعسر في هذين النوعين .

واعلم ان خياطة البطن على اربعة وجوه الخياطتان الاثنتان عاميتان تصلح في خياطة البطن وفي سائر الجراحات الا انها اخص بخياطة البطن وانا واصفها بـ ...

« فاقول انه اذا كان الجرح صغيرا وخرج منه شيء المعاء وعسر رده فذلك لاحد وجهين اما لصغر الخرق كما قلنا واما لان المعاء عرض له نفخ من قبل برد الهواء فاذا كان كذلك فينبغي ان تسخنه بان تغمس اسفنجة أو خرقة رطبة في الماء الفاتر وحده أو قد طبخ فيه اذخر وسعدى وسنبل وتنطل

1- Spink & Lewis, 531.

به المعاء حتى ينحل النفخ وقد يفعل ذلك الشراب الذي قبض وهو افضل من الماء وحده في تحليل النفخ ، فاذا رأيت النفخ فبل المعاء بماء قد طبخ فيه خطمي أو خبازى فانه يسلس بذلك دخوله بايسر سعي فان تعذر رجوعه بعدهذا العلاج فشق في الخرق قليلا بالآلة التي تشق بها النواصير ، والعلاج الاول اذا تمكن افضل من الشق وانما يضطر الى الشق بعد الضرورة وعجز الحيلة »[1]

واعلم ان الخرق اذا كان في وسط البطن فان خياطته اعسر من سائر مواضع البطن ، واما مداواة الجرح فحكمه في مداواته حكم سائر الجراحات وذلك انك اذا ادركت الجرح طريا بدمه قبل ان يغيره الهواء وردت المعاء وخطته واحكمته فاحمل عليه الذرور الملحم فان كان الجرح قد غيره الهواء فاحمل عليه بعض المراهم التي تحضرك حتى يقيح وتسقط الخيوط ويلتحم الصفاق والمراق ثم تعالجه كعلاجك سائر الجراحات حتى يبرأ ، فان لم تحضرك ادوية فاحمل عليه منذ يبتدىء بالقيح القطن البالي وابدله مرتين في النهار كما اعلمتك يبرأ . فانك لا تحتاج الى علاج اخر في اكثر الاحوال اذا كانت الجراحات بسيطة[2]

هذا وصف جيد لمختلف جراحات البطن وكيفية التعامل معها ان كانت صغيرة أو كبيرة وكيف تعالج الامعاء ان خرجت من تلك الجروح ـ وفيما اذا اصابها التعفن والتغير وحيث كان يعزى السبب الى الهواء ـ بالرغم من ان الهواء هو الذي يحمل الجراثيم وحيث لم تكن الجراثيم مكتشفة انذاك كان التعليل ان الهواء هو الذي يسبب الفساد ـ واذا ما اصاب البرد تلك الامعاء فتغمس اسفنجة أو خرقة نظيفة بماء حار وحده أو ان توضع فيه

1- Spink & Lewis 537.

2- Spink & Lewis 547.

(٢) ـ ابن القف ص١٢٧

بعض النباتات التي تساعد في الحفاظ على دفء وحيوية تلك الامعاء ومن ثم يصف الاسلوب الاسهل والانفع في ادخال الامعاء فيما اذا كان الجرح صغيرا أو كبيرا - ومن ثم يصف الاسلوب الامثل في خياطة جروح جدار البطن حسب الطبقات التشريحية لذلك الجدار - الصفاق - المراق والجلد .

وجاء في الفصل السابع والثمانين في قطع الاطراف ونشر العظام ..

(قد تعفن الاطراف اما من سبب من خارج واما من سبب من داخل فاذا عالجت ذلك الفساد بعلاج الادوية ولم ينجح العلاج ورأيت الفساد يسعى في العضو لا يردعه شيء فينبغي ان تقطع ذلك العضو الى حيث بلغ الفساد لينجو العليل بذلك من الموت أو من بلاء عظيم هو اعظم من فقد العضو)[1]

وقد اشرنا في صفحات سابقة لوصف الزهراوي لافضل اسلوب في كيفية قطع العضو Amputation واذا اجتمع من العظم المكسور ورم أو جرح ، فان على الجرائحي ان لا يستعمل الرباط في حالة الورم الى ان يهدأ كما يشترط ان يقطع النزف في حالة الجرح بالادوية ..

او بالكي اما اذا ظهر عفن فيجب معالجته واذا كان الجرح كبيرا فيجب ان تستعمل الخياطة بجمع شفتي الجرح ثم يتم علاجه بالادوية »

وقد فطن الاطباء العرب الى ان بعض الكسور يجتمع معها شظايا وجروح ، وفي هذه الحالات لا يجوز خياطة الجرح الا بعد استئصال الشظايا واستخراج العظام الصغيرة وفي بعض الحالات التي يكون فيها مع الكسر شظايا من غير ان يحدث جرح في العضو المكسور فينبغي ان ينظر المعالج هل هناك ضرورة لشق الجرح أو العضو واستخراج العظام الصغيرة او يكتفي بمعالجة الكسر وشده برفق لان الشد بقوة يؤدي الى ورم العضو

1- Spink & Lewis 577.

وعفونته وفي حالة شق العضو يكون على المعالج ان يستخرج الشظايا الصغيرة أو ان يقطع تلك الاجزاء الناسخة ثم يسوي الكسر بعد ذلك ويعالجه[1]

اسلوب علمي وعملي غاية في الاهمية البحث عن الشظايا في موضع الجرح سواء اكانت تلك الشظايا هي من خارج الجرح أم انها من شظايا العظام المفتتة وان بقاء تلك الشظايا مما يعرقل عملية شفاء الجرح وربما اثر حتى على التئام الكسور وسرعة انجبارها ولذا ركز الزهراوي على ضرورة التخلص من هذه الشظايا كلما كان ذلك ممكنا ٠

ومن الامثلة العلمية التي ساقها الزهراوي في كتابه من خلال تجاربه في خياطة الجروح والنتائج التي حصل عليها ٠

« لقد خِطتُ جراحة عرضت لرجل في بطنه كان قد جرح بسكين وكان خرق الجراحة ازيد من شبر وكان قد خرج من معائه نحو شبرين من المعاء الاوسط وكان الخرق في وسط ـ فرددته بعد ان اقام معاؤه خارجا من الجرح اربعا وعشرين ساعة فالتحم الجرح في نحو خمسة عشر يوما وعالجته حتى برىء وعاش بعد ذلك سنين كثيرة ، يتصرف في جميع احواله وكان الاطباء يحكمون عليه انه لا يبرأ البتة ٠

ومن العجب اني لم اعالجه بمرهم لاني كنت في موضع لا يوجد فيه شيء من الادوية فكنت اضع على الجرح القطن البالي مرتين في النهار واتعهد غسله بماء العسل حتى يبرأ[2]

من الاسلحة الفتاكة في ذلك العصر والتي كانت تشكل معضلة كبيرة للذي يصاب بها ـ هي السهام ـ بانواعها واشكالها البسيطة منها والمركبة ـ السليمة منا والمسمومة المعقمة منها والملوثة

---

(١) ـ الدكتور ياسين خليل ١٥١

(٢) ـ الدكتور ياسين خليل ١١٣

ويتناولها الزهراوي في كتابه التيسير .. في الفصل الرابع والتسعين في اخراج السهام : ـ

« السهام قد تختلف بحسب انواعها وبحسب المواضع التي تقع فيها من الجسم . واما اختلافها بحسب أنواعها فان منها كبارا وصغارا ومنها زجاج مجوف وزجاج مصمته ومنها ما لها ثلاث زوايا واربع زوايا ومنها مالها السنة ومنها مالها شظايا »

أي ان الزهراوي يصف انواع واشكال تلك السهام والمادة المكونة لها قبل ان يخوض باثارها الطبية وما تتركه في العضو من اثار وتخريب ـ حيث من غير معرفة تلك الالة ـ لا يمكن الاستدلال على الاثر والجرح الذي تحدثه في الانسجة ـ وحتى يومنا هذا تهتم الدول بمعرفة انواع الاسلحة وما تتركه من اثار في الجسم حتى انها تحاول جاهدة ان تحصل على اسلحة العدو وتجربها على الحيوانات ـ وتفحص تلك الحيوانات لترى اثار ذلك السلاح في الانسجة الرخوة والصلبة .

وقد كان الزهراوي سباقا لهذه الناحية المهمة في وصف السهام والاسلحة التي تتحارب بها الجيوش في وقته ، ومن وصف السهام يعرج لوصف التغيرات التي تحدث في الاعضاء الرخوة منها والصلبة :ـ

« واما التي تكون بحسب الاعضاء التي تقع فيها فتكون على ضربين :ـ

اما ان تكون الاعضاء من اعضاء رئيسة مجوفة مثل الدماغ والقلب والكبد والرئة والكليتين والمعاء والمثانة ونحوها ، فمتى وقع سهم في احد هذه الاعضاء وظهرت لك علامات الموت التي انا واصفها لك بعد ، فينبغي تجتنب اخراج ذلك السهم منه فان الموت يلحق صاحبها في اكثر الاحوال) .

(وما لم تظهر لك هذه العلامات الرديئة ولم يكن السهم توارى في غور العضو فاخرجه وعالج الجرح • ومن علامات الدماغ فانه يعرض من ذلك صداع شديد وهدر ودوار وحمرة في العينين وحمرة اللسان وتشنج واختلاط عقلي وقذف مرّه وربما خرج الدم من المنخريين أو الاذنيين وربما انقطع الكلام وذهب الصوت وخرج من موضع الجرح رطوبة بيضاء تشبه العصيدة ويجري منها مثل مائية اللحم ، فان ظهر لك هذه العلامات فامسك عن علاج العليل واخراج السهم ان كان لم يخرج)

هذا وصف فيه من الدقة والشمولية والصحة والعلمية ما يجعله يطابق الوصف الحديث لاصابات الدماغ ، كما وانه يعطي تناذرا[1] صائبا لهذه الحالات من اصابات الجمجمة والدماغ •

« واما علامات السهم اذا واقعت القلب وكان قريبا من الثدي ـ الايسر حس به كأنه قد انغرز في شيء صلب لا في شيء فارغ ـ وربما كانت للسهم حركة تشبه حركة النبض ويسيل من الجرح دم اسود ويتبع ذلك برد الاطراف وعرق بارد وغشي فاعلم ان الموت ـ نازل لا محال »

(وعلامة السهم اذا جرح الرئة خروج دم زبدّي من الجرح والاوعية التي في العنق تتورم ويتغير لون العليل ويتنفس تنفسا عاليا ويطلب استنشاق الهواء البارد ، فان واقع السهم الحجاب الذي في الصدر فانه يكون قريبا من الاضلاع الصغار ويكون التنفس عظيما مع وجع شديد وتنهد ويتحرك جميع اعضاء المنكبين) •[2]

« وان واقع السهم الكبد اتبع ذلك وجع شديد وخرج من الجرح دم يشبه الكبد في حمرته • وان واقع السهم المعدة فربما خرج من الجرح شيء

---

(١) ـ تناذر ـ التنبؤ بمستقبل الحالة المرضية تناذر القوم : انذار بعضهم البعض شرا

2- Spink & Lewis, Albucasis P. 611.

من الغذاء شيء غير منهضم وامره ظاهر ، وان واقع السهم البطن ونشب فيه وخرج شيء من البراز من الجرح أو الثرب أو معاء قد انخرق فلا مطمع في علاجه ولا في اخراج السهم .

فان كان السهم واقع على المثانة وخرج البول وبرز منها شيء الى الخارج واشتد الالم على العليل فاعلم انه هالك ..

واما سائر الاعضاء كالوجه والعين والحلق والكتف والعضد وفقار الظهر والترقوة والفخذ والساق ونحوها من الأعضاء فقد تسلم على الامر الاكثر متى لم يصادف السهم شريانا أو عصبا ولم يكن السهم مسموما ، وانا اخبرك ببعض هذه ما شاهدته من امر هذه السهام لتستدل لذلك على علاجك .. »

ويشرح ابن القف وهو الجراح العالم والممارس للطريقة العلمية انذاك في اخراج السهام والازجه .

« السهام تارة تتخذ من خشب وتارة تتخذ من قصب وهو اردىء من الاول ، فان القصب لايخلو من سميه واما الازجة فانها تتخذ من جواهر مختلفة وذلك لانها تتخذ تارة من حديد وتارة تتخذ من نحاس وتارة تتخذ من رصاص وتارة تتخذ من قرن وتارة تتخذ من عظام وتارة تتخذ من حجارة وتارة تتخذ من قصب وتارة تتخذ من خشب »

فهو كجراح يصف جوهر المواد المصنوعة منها السهام حتى يسهل على الجراح المعالج التعامل معها وبعدها يتطرق الى اشكالها :ــ

« واما اشكالها فتارة تكون مستديرة وتارة تكون مبسوطة ثم هذه منها مالها شعبتان وما ليس لها شعب وتارة تكون مثلثة اي يكون لها ثلاث زوايا وتارة تكون مربعة اي لها اربع زوايا ومن الازجة ما يتحرك بشيء شبيه باللولب فاذا مدت الى خارج انبسطت وتعذر خروجها ثم من السهام

ما تكون الازجة مغروزة فيها ومنها ما تكون مداخلة في الازجة وهو ان تكون اطرافها انبوبية والسهم داخل الانبوب ، والمغروزة على نوعين ،

منها ما يستوثق في تركيبه ومنها ما لا يكون كذلك فاذا جذب السهم الى خارج فارق السهم الازج وابقى في البدن ثم هذه منها ما تكون مسمومة ومنها ما لا تكون مسمومة ويعرف المسموم من لون اللحم الواقع فيه السهم فانه يكمد ويسود ويترهل وربما تغيرت رائحته »

واما كيفية خروجها فعلى نوعين :ـ

احدهما بالجذب والاخر بالدفع والاول تارة يكون باليد وهو اذا كان وقوعه في عضو لحمي ، فان لم يجب للخروج في حاضر الوقت فينبغي ان يترك اياما حتى يتعفن اللحم الذي حوله السهم ثم يجذب فانه يخرج بسهولة .

وان كان وقوعه في عظم أو كان السهم قد خرج وبقي الازج في اللحم فخروجه يكون حينئذ بالكلبتين المبردية الرأس وذلك ليشتد مسكها للنصول وينبغي ان تراعي عند ذاك امرين :ـ

احدهما ان يهز الازج عند القبض عليه هزا يعرف به مقدار الغرازة وليكن هذا الهز الى الجهات الاربعة على استقامة يتسع على الازج الموضع ويتمكن من خروجه فان لم يخرج بهذا القدر فيترك اياما ثم يعمل ما ذكرناه فانه يخرج بسهولة .

والثاني :

ان يحتال في ان تكون هيئة الخروج حال خروج الازج كهيئته عند دخوله ، فان خروجه على هذه الصورة يكون اسهل وامكن فان كانت له السن يخاف منه ان تنشعب في الخروج فينبغي ان يدخل انبوبة في الازج

بحيث ان تتصل بالالسن وتمنعها من التشعب فان لم يكن هذا فيشق على الالسن ثم يدخل الانبوب ويمسك بالالسن ويجذب السهم مع مسك الانبوب ثم بعد ذلك يداوى بما يداوى الجروح •

فان كان الازج مسموما ويعرف بما ذكرنا فينبغي تقوير اللحم الذي حوله جميعه والا يسرى السم الى ما هو اكثر من ذلك ثم بعد ذلك يخرج الازج ثم بعد ذلك يلطخ الموضع جميعه بالطين الارمني مذاب بماء الورد وان كان بقي من اللحم شيء فيعفن ويخرج جميعه ثم بعد ذلك يداوي بما يداوي به الجروح ويعطي العليل ما يقوي قلبه كبعض المفرحات أو - شراب التفاح والنينوخر بماء ورد وماء الخلاف أو سكر لسان الثور أو يعطي شيئا من الترياق الكبير فهو اجود من الجميع أو ترياق الاربعة ان لم يتهيأ الكيبرويلين طبعه بالحقن اللينة ويغذى بامراق الدجاج اللطيفة • واما الدفع فتارة يكون باليد وتارة يكون بالادوية والنوع الاول هو المستعمل في صناعة الجراحة واما النوع الثاني فكما حكي عن التيوس البرية ، انه متى وقع فيها السلا والسهام اتت الى المشكطرا مشيع وهو نوع من الفوتنج تأكل منه اكلا فان النصل عند ذلك يندفع من الباطن الى الظاهر ويخرج ولذلك سمي النعنع التيسي •

واما الدفع باليد فهو اذا خرج الازج الى الجانب المقابل للعضو المجروح وفي مثل هذه الصورة اذا كان السهم بعد طافيا فينبغي ان يدفع - طرفه دفعا مستقيما وان يضرب طرفه بمطرقة ضربا على الاستقامة فان الازج يخرج من الجانب الاخر وحينئذ يجذب السهم ويخرج ويمسك الازج بالكلبتين المذكورة ويجذب الى الخارج وان كان السهم قد سقط فيدفع الازج بشيء اخر دفعاً مستويا فاذا خرج يجذب كما ذكرنا فان كان الازج قد غار في عضو لحمي كالفخذ فيفتش على طرفه باللمس حيث حصل الالام عند الغمز على الموضع فهناك رأس الازج ففي هذه المواضع ينبغي ان يشق

على طرفه ويجذب بالكلبتين المذكورة ثم بعد ذلك تعالج بعلاج الجراحة ثم القروح ان احتجت الى ذلك والله اعلم[1] »

وابن سينا بما عرف عنه طبيبا وشاعراً أو فيلسوفاً وسياسياً لكنه لا يهمل ان يبحث هذا الموضوع وبنوع من الشمول والاسهاب حول الوخز والخزق واخراج ما يحتبس من الشوك والسهام والعظام :ـ

« الوخز والخزق متقاربان من حيث ان كل واحد منهما نفوذ من جسم حاد صلب في البدن وانما يختلفان في حجم الجسم النافذ فيشبه ان ـ الوخز لما دق وصغر الخزق « بالزاي معجمه » حجم وعظم ويشبه ان يكون الوخز مع صغر النافذ يقتضي فصد المنفذ كأنه لا بصدد الجلد ، ومثل هذه فانه خفيف المضرة ان لم يتعرض له • وترك صلح بنفسه ولو في ردیء اللحم ، اللهم الا ان يكون في شديد رداءة اللحم فانه ربما تورم موضعه وحدث به ضربان خصوصا اذا كان ذلك الغرز والوخز قد اشتد فصار نخسا فاصلا الى اللحم ومثل هذا اكبر علاجه ان يسكن ورمه ووجعه ولا يحتاج الى تدبير جراحة وتدبير الاورام ما فيه الكفاية[2]

والذي لا بد ان يذكر في هذا الموضع من امر الوخز الخزق هو التدبير في اخراج ما احتبس في البدن من الشيء الواخز والخازق في البدن شوكا كان أو نصلا وما شابه ذلك وهذا الاخراج قد يكون بالالات ـ المنشبة بالشيء الجاذبةله وقد يكون بالعصر وما يشبه، وقد يكونبخواص ادويةجاذبة تخرج ما يعجز عنه الكلبتان وسائر الالات • فاما القانون فيما يخرج بالالات المنشبة مثل استخراج النصول بالكلبتين المبردية الرؤوس ليشتدد نشوبها •

(١) ـ ابن القف العمدة في الجراحة جـ٢ ص١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣
(٢) ـ ابن سينا (القانون) ص١٦٠

فالقانون فيه ان يتوخى انكسار المقبوض عليه فيها ، وان يكون طريقها الى المنزوع موسعا لا يمنع جودة المتمكن منه وان يطلب اسهل الطرق لاخراجها . وان كان نافذا من جانبيه فيوسع الجانب الذي هو اولى بان يخرج منه توسيعا بقدر الحاجة واما الحيلة في ان لا ينكسر فهو ان لايحرك تحريكا قويا بغتة بل يقبض عليه فيهز هزا يعرف به قدر انغرازه وتشبثه أو قلقه عنه ثم يجذب جذبا على الاستقامة وكثيرا ما يحتاج الى ان يترك اياما ليقلق فيه ثم يخرج[1] ولم يكتف ابن سينا بما عرفه من علوم طبية وفلسفية وانما يشير بكتاباته الى علوم الاخرين وخبرتهم وتجاربهم وهو يقول :

« وقد قال بعض العلماء بهذه الصفة قولا نورده على وجهه ان انتزاع السهام ينبغي ان يتعرف انواع السهام فان بعضها يكون من خشب وبعضها يكون من قصب وازجتها تكون من حديد ومن نحاس ومن الرصاص ومن القرون ومن العظام ومن الحجارة ومن القصب ومن الخشب وبعضها يكون له ثلاث زوايا واربع زوايا ومنها ماله السن ، لسانان أو ثلاثة ومنها ما يكون له زج ومنها ما لا يكون له زج ، والذي له زج فربما كان زجه مائلا الى خلف لكي ما اذا مد الى خارج تعلق بالجسم وفي بعضها يكون الزج مائلا الى قدام ليندفع - ومنها ما تكون ازجته تتحرك بشيء شبيه بلولب فاذا مدت الى خارج تنبسط فتمنع السهم من الخروج وبعضه يكون ازجه عظيما . يكون له طرف قدر ثلاث اصابع وبعضها قدر اصبع وتسمى ذبابية . بعضها يكون بسيطاً وبعضها يكون قد زيدت عليه حدائد ،قاق فاذا خرج السهم بقيت تلك الحدائد في عمق الاجسام ، بعضها يكون :جه مغروزا في السهم وبعضها لزجه انابيب تدخل في السهام وبعضها تستوثق في تركيبه وبعضها لا يستوثق منه فاذا ما جذب الى الخارج فارق السهم الزج فيبقى الزج في الجسد وبعضها يكون مسموما وبعضها لايكون

١ - ابن سينا - القانون - جـ٣ ص١٦٠

مسموما فالسهم يخرج على نوعين احدهما الجذب والاخر الدفع وذلك ان السهم اذا نشب في ظاهر الجسد يكون اخراجه بالجذب ويستعمل ايضا الجذب اذا نشب السهم في عمق وكان يتخوف من المواضع التي تكون قبالة السهام ان جرحت عرض الجسد يكون اخراجه بالجذب ويستعمل ايضا الجذب اذا نشب السهم في عمق وكان يتخوف من المواضع التي تكون قبالة السهام ان جرحت عرض منها نزف دم مهلك أو اذى شديد ويخرج السهم بالدفع اذا نشب في اللحم وكانت الاجسام التي تستقبلها قليلة ولم يكن هناك شيء يمنع من الشق - لا عصب ولا عظم ولا شيء اخر يشبه هذه الاشياء ، فان كان المجروح عظما فانا نستعمل حينئذ الجذب فان كان السهم ظاهراً جذبناه وان كان خفياً فينبغي كما قال ابقراط ..

ان امكن المجروح ان يصبر نفسه على الشكل الذي كان عليه عندما جرح فينبغي ان يستدل به على السهم وان لم يمكنه ذلك فينبغي ان يستلقي على ما يمكنه من الشكل وان يستعمل التفتيش والعصر وان نشب في اللحم فليجذبه بالايدي أو بخشبته ان كانت لم تسقط سيما ان لم تكن من قصب فان كانت سقطت الخشبة فليخرج الزج بكلبتين أو بمنقاش وبالالة التي يخرج بها السهام ..

وينبغي في بعض الاوقات ان تشق اللحم شقا اكثر اذا لم يمكن ان يخرج الزج من الشق الاول، وان صار السهم الى قبالة العضو المجروح ولم يمكن ان يخرج من الجانب الذي منه دخل فينبغي ان تشق تلك المواضع التي قبالته ويخرج منها اما بالجذب واما بالدفع ان كانت خشبة الزج فيه وان كانت الخشبة سقطت فليدفع بشيء اخر ويدفع به الزج الى خارج وينبغي ان لا يقطع بدفعنا اياه عصبا او شريانا وان كان للزج ذنب فانا نعلم ذلك من التفتيش وينبغي ان يوضع ذلك الذنب في انبوب الالة التي بها

يدفع السهم ويدفعه بها فاذا خرج الزج ورأينا فيه مواضع محفورة ويمكن ان يصير فيها حدائد اخر دقائق فليستعمل التفتيش ايضا • فان اصبنا شيء من هذه الحدائد اخرجناه بهذه الحيل ، فان كان للزج شعب مختلفة ولم تجب الى الخروج فينبغي لنا ان نوسع الشق ان لم يكن بالقرب من ذلك الموضع عضو تتخوف منه ، حتى ان انكشف الزج اخرجناه برفق ومن الناس من يجعل تلك الشعب في انبوب لئلا يخرج اللحم •

ثم ان كان الجرح ساكنا ليس به ورم حار استعملنا الخياطة اولا ثم العلاج الذي ينبت اللحم وان كان قد عرض للجرح ورم حار فينبغي ان نعالج ذلك بالتنطيل والاضمدة •

واما السهام المسمومة فينبغي ان تقور اللحم الذي قد صار اليه السهم ان امكن ويعرف ذلك من اللحم من تغيره عن اللحم الصحيح فان اللحم المسموم يكون رديء اللون كمدا وكأنه لحم ميت فان انغرز السهم في عظم اخرجناه بالالة فان منع من ذلك شيء من اللحم فينبغي ان تقوره أو تشقه فان كان السهم قد انغرز في عمق العظم فانا نعلم من ذلك من ثبات السهم وقلة حركته اذا نحن حركناه فينبغي لنا ان نقطع بمثقب ثقبا حوله ان كان للعظم ثخن ويتخلص السهم بذلك • فان كان السهم قد انغرز في شيء من الاعضاء الرئيسية كالدماغ أو القلب وفي الرئة أو البطن أو الامعاء أو الرحم أو الكبد أو المثانة وظهرت علامات الموت فينبغي ان نمتنع من جذب السهم فانه يكون من ذلك قلق كثير ولئلا يصير علينا موضع كلام من الجهالة مع قلة نفعنا للعليل • فان لم تكن ظهرت علامات رديئة اخبرنا بما تتخوف من العلاج فان كثيرا ممن اصابه ذلك سلم غير رجاء سلامة عجيبة وكثيرا ما يخرج جزء من الكبد وشيء من الصفاق الذي على البطن والثرب والرحم كلها فلم يعرض من ذلك موت على انا ان تركنا السهم ايضا في هذه الاعضاء

الرئيسية عرض الموت على كل حال ونسبنا الى قلة الرحمة وان انتزعنا السهم فربما سلم العليل احيانا •

في هذا الكلام لابن سينا يصف فيه شيخ الاطباء وصفا دقيقا في كيفية التعامل مع السهام والازج التي تصيب مختلف الاعضاء الظاهرة منها والباطنة وكذلك يحذر من ان تصاب الشرايين أو الاعصاب اذا اخرجنا تلك السهام وهذا يشمل ضمناً ان يكون الجراح المعالج والذي يتعامل مع السهام والازج على معرفة كاملة بالتشريح والا كيف له ان يعلم اذا ما دفع السهم ليخرجه من الجانب الاخر بانه قد يقطع عصبا أو ـ شريانا أو ان يتلف عضوا مهما ، وكذا يشير الى تفتيش المنطقة التي وقع فيها الازج • تفتيشا دقيقا حتى لا تترك بعض من تلك الازج في منطقة الاصابة ليس هذا فحسب وانما يسبق ذلك بوصف دقيق لمختلف السهام والازج وانواعها والمواد المصنوعة منها واشكالها واحجامها وهذا ما يجعل الجراح متمكنا اذا ما تعامل معها ، وكذا يصف علامات السهام المسمومة وما تتركه في منطقة الاصابة من تلف العضلات وتغير لونها وكيف يجب ان يكون تقوير منطقة الاصابة حتى لا ينتشر السم الى بقية اعضاء الجسم •

وكذا يشير ويوضح الى العامل السلوكي في التعامل مع الجريح المصاب بتلك السهام التي تصيب اعضاء حيوية **يؤدي اخراج السهام الى موت** مفاجيء ومحقق وحتى لا يترك الكلام المجال لالسنة السوء من الجهال التقول فانه ينصح بعدم اخراج السهام الا في الحالات التي يكون فيها الجراح بحالة صحية جيدة فان اخراج السهام والازج تعطي نصيبا وان كان قليلا من الحياة فعلى الجراح ان يقدم على اخراج تلك السهام أو الازج واعطاء فرصة الشفاء للجريح من تلك الاصابة •

اما علي بن عباس وهو طبيب متمرس ومؤلف بارع ولم يعرف عنه

بانه قد تعاطى صناعة اليد فهو يشير في كتابه « كامل الصناعة » في البــاب الرابع والعشرين في كيفية اخراج الازجة والشوك والسلا :

« اما الازجة والشوك والسلا اذا دخلت في بعض الاعضاء وصارت الى موضع لا يمكن اخراجه بالحديد فينبغي ان يوضع على الموضع الذي قد دخل فيه الزراوند المدحرج مدقوقا ناعما معجونا بالاسـق ويلزم ذلك اياما أو يؤخذ اصل القصب الفارسي الرطب ويسحق ناعما ويخلط بعسل ويلزم الموضع أو يـؤخذ علك الاثياط وزخت ويذوبان ويخلط معهما آذان الفار مسحوقا ناعما فانه يجذبه ويخرجه الى حيث يمكن اخراجه بالكلبتين وغيرها ونحن نبين في الموضع الذي تذكر فيه العمل باليد كيف يكون اخراج ذلك بالكلبتين[1] »

وهكذا فان علي بن عباس يتعامل مع السهـام والازج تعاملا طبيا اكثر من تعامله جراحيا حيث يصف الادويـة والمـواد التي تسـاعد اخراج تلك السهام أو الازج ان تعذر اخراجها باليد أو الكلبتين المبردية الرأس اي الالة الحادة الرقيقة التي تستطيع ان تمسك رأس السهم أو الازج فهو ينصـح بالتعامل معها بوضع المراهم والمروخات التي تساعد في اخراجها .

ان الشيخ الطبيب الفيلسوف (ابن سينا) عرف عنه طبيبا وفيلسوفـا ورياضيا وشاعرا وسياسيا ولكن لم يعرف عنـه جراحا أو انـه قد تعاطى الجراحة أو عمل صناعة اليد ، وقد جاءت بعض كتبه شارحة لبعض حالات الجراحات وكيفية معالجتها وربطها ـ ومعالجة النزف الذي قد يحصـل عنها واكثر ما ذكر ذلك في كتابه الموسوعة (القانون في الطب) حيث افرد لها بعض الفصول العلمية الواضحة الدقيقة في تعبيرها وعلميتها فهو يقول :ـ

---

(١) ـ على بن عباس ـ كامل الصناعة جـ٢ ص٤١٩

« من الاعضاء ـ اعضاء اذا وقع فيها جراحة عظم الضرر وقتل في الاكثر وربما لم يقتل في النادر »

(كالمثانة والكلى والدماغ والامعاء الدقاق والكبد مع انه يمكن ان يسلم عليها اذا كانت خفيفة واما القلب فلا يتوقع السلامة مع حدوث جراحة فيه)[1] .

« واكثر من يعرض له جراحة في بطنه فاذا عرض له تهرع « وتهوع » او فواق أو استغلال بطن مات »[2]

هذا وصف علمي دقيق لتناذر الحالات التي تصيب الاسلحة الاعضاء المختلفة المتعارف عليها سابقا من سيف أو سكين أو رمح أو ازجة ، واعطاء لمحة مستقبلية للجريح المصاب ، فاصابة القلب المباشرة قاتلة واصابة الاعضاء الاخرى حتى اصابة الدماغ قد لا تحمل بين ثناياها علامات الموت . وكذا المعدة اذا اصيبت مباشرة وتمزق داخل البطن فان الموت سيلحق بصاحبه المصاب . ومن ثم ينتقل بوصفه الدقيق لشكل الاصابات :ـ

« الجراحة اللحمية لا تخلو اما ان تكون شقا بسيطا مستقيما أو مدورا أو ذا اضلاع أو شقا من نقصان شيء من اللحم وقد يكون غائرا نافذا وقد يكون مكشوفا ولكل واحدتدبير ويشترك الجميع في حبس الدم وقد جعلنا له بابا وربما كان سيلان قدر معتدل من الدم نافعا للجراحة يمنع الورم والتبتير والحمى فان من افضل ما يعني في الجراحات ان تمنع تورمها فانه اذا يعرض ورم تمكن من علاج الجراحة واما اذا كان هناك ورم أو كان رض أو فسخ اجتمع خلله مع الجراحة دم يريد ان يرم أو بتقيح لم يكن معالجة الجراحة ما لم يدبر ذلك فيتعالج الورم »[3]

---

(١) ـ ابن سينا القانون في الطب جـ٣ ص١٤٧
(٢) ـ ابن سينا القانون في الطب جـ٣ ص١٤٧
(٣) ـ ابن سينا ـ القانون في الطب جـ٣ ص١٤٧

من هذه الاشارات الواضحة الصريحة نستدل على عمق وبعد التفكير ودقة المعرفة والملاحظة العلمية التي كان يتمتع بها الاطباء العرب المسلمون • وتأثير الورم والتقيح على سرعة أو عرقلة شفاء الجرح وكانوا حريصين كل الحرص على الحفاظ على الجراحة من غير ورم ـ واذا ما حدث الورم أي اذا ما حدث الورم ولعبت الجراثيم فعلتها والتي لم تكن معروفة ولا مكتشفة الا بعد ان اكتشف المجهر بعد ذلك بعدة قرون ولكن هذا الربط العلمي المنطقي الطبي بين الجرح ـ والورم ـ والتقيح والحمى وتعذر الشفاء ـ والى يومنا هذا هي الشغل الشاغل لدى الجراحين والاطباء • في كيفية السيطرة على شفاء الجروح من غير تلوث ـ من غير قيح ـ أي من غير ورم سواء الورم والاحتقان الذي يرافق عملية الشفاء • بالرغم من اكتشاف ومعرفة الجراثيم (الميكروبات) وانواعها وتصنيفها وانواع المجاهر المختلفة المتنوعة ذات التكبير العظيم ومعرفة انواع كثيرة من المضادات ـ البنسلين ـ السلفا •••• مع عدد لا حصر له من انواعها ولكن طبق القاعدة المهمة النظافة ـ نظافة الجرح والتعقيم وحفظ الجرح من غير تلوث ـ ومن غير ورم ومن غير تقيح وهو مادعى اليه الزهراوي وابن سينا وابن القف وعلي ابن عباس ـ وجميع من كتب في هذا المجال •

وقد ركز ابن سينا على علاج الورم قبل الاهتمام بعلاج الجرح لوحده « وفي تدبير الجرحات ذوات الاورام والاوجاع فتحتاج هذه الجراحات الى الرفق وان يعتقد ان الجراحة لا تندمل البتة ما لم يسكن الورم ولا يتم ذلك الا بما فيه تجفيف وتبريد في اول الامر وارخاء في الثاني وان تستعمل فيه علاج الاورام في الجملة ومما هو خاص بذلك مع عموم نقصه في كل عضو من الرأس الى القدم وان يأخذ رمانة حلوة فتطبخ بشراب عفص ويضمد الموضع »[1]

---

(١) ـ ابن سينا ـ القانون في الطب جـ٣ ص١٤٩

« وفي تدبير كلي ّ في جراحات الاحشاء من باطن وظاهر الغرض فيما يتوهم انه شق وصدأ من باطن ان يلحم ولا يترك الدم يجمد في الباطن وان يمنع نزف الدم والادوية النافعة في الغرضين الاولين مثل البلابس اذا طبخت في الخل أو يسقى في القنطوريون الكبير واما ما يسقي بسبب منع النزف فمثل وزن دانق ونصف من بزر البنج بماء العسل »[1]

وهنا يصف ابن سينا علاج الورم (القيح) أي التلوث وكيفية السيطرة عليه وكذا يصف معالجة النزف ويصف حبوب البنج مع العسل .

« واما الجرح والشق الظاهران فقال العالم ، ان انحرف مراق البطن حتى تخرج بعض الامعاء فينبغي ان تعلم كيف يضم المعي ويدخل ، فان خرج شيء من الثرب فيحتاج ان تعلم هل ينبغي ان يربط برباط وثيق أم لا ؟ وهل تخاط الجراحة ام لا ؟ وكيف السبيل في خياطته[2] هذا هو العالم والطبيب والفيلسوف وبتواضع العلماء يشير الى العلماء من يملكون المعرفة (الخبرة العلمية) في الجراحة وصناعة اليد ، ولم يشر صراحة الى اسم ذلك العالم أو الجراح الذي اعتمد عليه »

« والسبب في انتفاخ المعي هو برد الهواء فلذلك ينبغي ان تغمس اسفنجة في الماء الحار وتعصرها وتكمد بها والشراب القابض اذا سخن ايضا كان نافعا في هذا الموضع وذلك انه يسخن اكثر من اسخان الماء ويقوي الامعاء فان لم يحلل هذا العلاج انتفاخ المعي فليستعمل توسيع الجراحة وارفق الالات لهذا الشق الالة التي تعرف بمبط النواصير ، فاما سكاكين البط الحادة من الوجهين المحددة الرأس فلتحذر ....»[2]

---

(١) ــ ابن سينا ــ القانون في الطب جـ٣ ص١٤٩
(٢) ــ ابن سينا ــ القانون في الطب جـ٣ ص١٥٠
(٣) ــ ابن سينا القانون في الطب جـ٣ ص١٥٠

ومن ثم يعطي ابن سينا وصفا جيدا في كيفية خياطة البطن والجروح العظيمة ـ حيث يقول :ـ

« وان يكون قصدك دائما ان تجعل الناحية التي فيها الجراحة ارفع من الناحية الاخرى فان هذا امر يعم جميع هذه الجراحات واما حفظ الامعاء في مواضعها التي لها خاصة بعد ان ترد الى البطن اذا ـ كانت الجراحة عظيمة فتحتاج الى خادم جزل وذلك انه ينبغي ان يمسك موضع تلك الجراحة كله بيده من خارج فيضمه ويجمعه ويكشف منه شيئاً بعد شيء للمتولى لخياطتها ويعمد الى ماقد خيط منها ايضا فيجمعه ويضمه قليلا حتى يخيط الجراحة كلها خياطة محكمة ... وانا واصف لك اجود ما يكون من خياطة فاقول :ـ

« انه لما كان الامر الذي تحتاج اليه هو ان تصل ما بين الصفاق والمراق فينبغي لك ان تبتدىء فتدخل الابرة من الجلد من خارج الى داخل فاذا انفذت الابرة في الجلد وفي العضلة الذاهبة على استقامة في طول البطن كلها ، تركت الحافة من الصفاق في هذا الجانب لا تدخل فيها الابرة وانفذت الابرة في حافته الاخرى من داخل الى خارج فاذا اخذتها فانفذها ثانية في هذه الحافة نفسها من المراق من خارج الى داخل ودع حافة الصفاق الذي في هذا الجانب وانفذ الابرة في حافته الاخرى من داخل الى خارج ودع حافة الصفاق الذي في هذا الجانب ... »

(وافعل ذلك مرة بعد اخرى الى ان تخيط الجراحة كلها على ذلك الحال)

فاما قدر البعد بين الغرزتين فيجب ان يتوخى الاسراف في السعة والضيق ، فاما السعة لاتضبط على ماينبغي والضيق ينغرز ، والخيط ايضا ان كان وتريا اعان على التغرز وان كان رخوا انقطع فاختر بين اللين

والصلب ، وكذلك ان عمقت الغرز في الجلد وان كان ابعد من التغرز الا انه يبقى من الخيط داخل الجراحة لا يلتحم فاحفظ الاعتدال ههنا .. واجعل غرضك في خياطة البطن الزاق « الصاق » الصفاق بالمراق[1] وكذا يتطرق ابن سينا في كيفية ربط الجراحات مستندا الى عالم في هذا الموضوع وهو مشابه لما جاء به قول الجراح الزهراوي

فهل اعتمد احدهما على الاخرام انهما اعتمدا على مصدر واحد اخر .

« اما الجرح والشق الظاهران اذا اردت ان يلتحما فاعمل بما قاله عالم من اهل هذه الصناعة حيث قال :

« اذا اردت ان يلتحم مثل هذا الشق فالزمه رباطا يبتدىء من رأسين لا غير من الربط فان كان عظيما احتجت ان تلزمه رفائد وان كان الموضع ممتلئا احتاج الى الخياطة ايضا والرفائد المثلثة خير في جميع شقة الجرح من المربعة لانها تضبط على الشق فقط »[2]

وفيما يخص الادوية فقد تطرق ابن سينا لذكرها تحت فصل في الادوية الملحمة للجراح :

« قد تكون من المعدنيات وتكون من النباتات ومن الحيوانات : ومن المعدنيات مثل الاسفنداج بدهن الاس والشمع ومن النباتات اوراق شجر ورق البلوط الذكر ضمادا وورق الخلاف وورق الكرنب وورق شجر التفاح وقشر لحائه وورق لسان الجمل والحلفاء منقعا بخل أو شيء من شراب وخصوصا اذا خلط به ورق شجر الصنوبر . ومن الحيوانات اللبن الحامض جدا ملصق للجراحات العظيمة »[3]

---

(١) ـ ابن سينا ـ القانون ـ جـ٣ ١٥١
(٢) ـ ابن سينا ـ القانون ـ جـ٣ ١٥٣
(٣) ـ ابن سينا ـ القانون ـ جـ٣ ص١٥٣

والاصابات مهما كانت انواعها واحجامها ومسبباتها ومواقعها فان العامل المهم في كيفية التعامل مع تلك الاصابات ـ هو النزف الذي يحدث من تلك الاصابات ـ وهذا مالم تغفله كافة الكتب والمؤلفات القديمة ـ ويشير ابن سينا الى ذلك :ـ

« وان تعلم ان اول ما يجب ان يتفقد ان تعرف هل العرق شريان أو وريد بالعلامة المذكورة فتحفل بالشريان وتعتني بـه اكثر مما تفعل ذلك بالوريد ... »

(.... ويجب ان تعلم انه اذا صحب الجراحة ورم وتعذر كثير من هذه الاعمال فلم يمكن الربط بالخيوط ولا ادخال الفتائل ولا الشد العنيف وانما يمكن حينئذ استعمال التغذية والقبض والتخدير وتخثير الدم)(١)

واذا ما اصابت الجراح الاعصاب المحيطية فيشير الى ذلك ابن سينا في فصل في جراحات العصب ما يجري مجراه وقروحها :ـ

« ان العصب لشدة حسه واتصاله بالدماغ تعرض له من الجراحات ـ اوجاع شديدة جدا والام عظيمة جدا كالتشنج واختلاط العقل ... وعطش وسهر وجفوف لسان خاصة اذا حدث هناك ورم »(٢)

وحول الاصابات المختلطة ـ الجراح مع كسر العظم يقول ابن سينا :ـ

« واذا اجتمع كسر وجراحة فليرفق المجبر بالجبر رفقا شديدا وليبعد الجبائر عن موضع الجراحـة وليضـع على الجراحـــة ما ينبغي من المراهم وخصوصا الزفني وقوم يأمرون بان يبتدأ بالشد من جانبي الجرح ويترك لجرح مكشوفا وهذا يحسن اذا كان الجرح ليس على الكسر نفسه ثم يجب

---

(١) ـ ابن سينا ـ القانون في الطب جـ٣ ص١٦٥
(٢) ـ ابن سينا ـ القانون في الطب جـ١ ص١٨٠

ان يكون عليها ستر اخر يغطيه عن الهـواء ، وان كان على الكسر فيجب ان يحتال في تشكيل الشد بحبله حتى يقع وينقى من كل جانب ويخلى يسيرا عن الجرح نفسه بهيئة موافقة وتبل الرفائد بشراب اسود عفص وهذه الحيلـة هي ان يوضع طرف الرباط على شفة الجرح ثم يربط الى خلف ويؤتي برباط اخر ويوضع على الشفة الاخرى السافلة ثم يلتحم سائر الربط على ماينبغي • حتى يبقى الجرح نفسه مفتوحا وما عداه مستوثقا منه قد علا رباط ونزل رباط ووقع على موضع الكسر شد شديد ويبقى الجرح مفتـوحا لك ان تكشفـه متى شئت ذلك ان تجعل على الجبائر ثقبا بحذاء ذلك ليصـل دواء الجراحة اليهـا ويمكن اخراج الصديد عنهـا ويكـون ذلك بحيث يمكن التغطية عليهما جميعا بعد ذلك •

فان ترك الجرح مكشوفا رديء وخصوصا في البرد بل يجب ان يكون غير مضغوط فقط ، واذا صح الجرح استعملت الجبائن ان كانت قد احـرت ومكنت الجبارة من ذلك الموضع »(١)

وفي هذا الوصف العلمي عندما يكون هناك تـداخل الكسر مـع الجرح المفتوح ـ حيث يشير ابن سينـا الى اجراء عملي بتجبير الكسـر مع ترك المجال مفتوحا لمعالجة الجروح والسيطرة على تنظيفها واخراج القيح الذي قد يتجمع من تلوث الجرح ـ وهذه طريقة علمية سليمـة ومتبعـة الى يومنـا هذا في علاج الكسـور والجروح المختلطـة • وفي وصـف وعلاج الجراحات وعلاماتها يتطرق اليها علي بن عباس في كتابه كامل الصناعة •

« واذا قلنا عند ذكرنا اصناف الامراض ان تفرق الاتصال اذا كان في اللحم قيل له جرح فاذا تقاوم عهده فمنها ما هي مفردة بسيطة ومنها ما هي مركبة مع غيرها فاما الجراحات البسيطة فهي اما قطع واما شق فقط من

---

(١) ـ ابن سينا جـ٣ ص٢٠٣

غير ان يذهب معه شيء من اجزاء العضو وهذا القطع والشق منه ما هـــو
صغير ومنه ما هو عظيم مفرد لا يتبعه اعراض بتة والشق العظيم منـــه ما هو
خال ناشف ومنه ما يحدث فيه صديد ووسخ وهذا يكون في القرحة بسبب
ضعف العضو عن هضم ما يصل من الغذاء وذلك ان كل عضو له فضلتان
احداهما لطيفة تنحل من المسام والاخرى غليظة يتولد منها الوسخ على الجلد
والصديد الحادث من القروح يكون من الفضلة الرقيقة الغليظة اذا لم تكن
الحرارة الغزيرة تلطفها وتحللها والوسخ يكون من الفضلة الغليظة وما كان
من الجراحات والقروح كذلك فامره ظاهر بين ليس يحتاج فيه الى الاستدلال
فاما القرحة المركبة فمنها ما هي مركبة مع سـبب أو مع مرض أو مع عرض
اما مع سبب فاذا كان هنـــاك مادة تنصب الى القرحــة وعلامات ذلك كثيرة
الرطوبة في القرحة وسيلانها واما المرض كان من سوء مزاج ـ طب وعلامته
ان تكون القرحة يابسة قحلة ناشفة واما المرض الالي فمنــه مرض النقصان
وهــو نقصان اللحم في القرحة وسقوط جزء من العضو ومنه مرض تفرق
الاتصال بمنزلة قطع العصب وكسر العظم واما تركيب القرحة مع العرض
فبنزله الوجع الذي يكون معها وكل واحد من القروح البسيطة والمركبــة
تقاومت وجاوزت لها اربعين يوما قيل لها ناصور لان الناصور على الحقيقــة
هو ما كان من القروح له غور وفمه ضيق وقعره واسع وفيه لحم صـــلب
ابيض ولا يكون معه وجع وتراها في بعض الاوقات يابسة قحلة وفي بعض
الاوقات كثيرة الرطوبة وكثيرة ما تسيل الرطوبة منها دائما وربما انقطعت
احيانا وينسد فم الناصور واحيانا ينفتح وربما انتهت النواصير الى العظم فعفنته
وربما انتهت الى عصب أو الى عرق والى بعض الاعضاء الشريفة فأكلتها واما
بتجويفاتها فربما كان بتجويفها يمتد الى استقامة وربما مر على تأريب وتعويج
وربما كان الناصور الواحد له افواه كثيرة وفيما ذكرنا من نوع تفـرق
الاتصال الذي يكون في اللحم اعني الجراحات والقروح كفاية لمن اراد ان

يعرف اختلاف احوالها ليعالجها صوابا على ما ينبغي »[1]

وفي هذا الكلام الذي بدأ فيـــه علي بن عباس عن الجروح وانواعها وشدتها ولكنه عرج بعد ذلك الى وصفها الطبي وتقرحاتها وتلوثها وحدوث القيح - ولا غرابة في ذلك وهو الطبيب والذي لم يتعاط الجراحة أو صناعة اليد وانما كرس جهده وعلمه كاتبا وممارسا طبيا وهكذا جاء شرحه للجروح من وجهة نظر طبية خالصة .

وفي الجروح التي تشمل جدار البطن وخروج المعي يتطرق اليها علي بن عباس - وهو يمزج علمه الطبي الكبير ببعض علمه النظري في الجراحة .

« اذا وقعت جراحة بالبطن وخرقت الصـفاق وخرج المعي والثرب - فينبغي ان تنظر فان كان قد نال الموضع ورم وانتفاخ فضمد الموضع بشراب اسود قابض مسخن حتى يذهب الـورم والنفخ فان لم تجد هذا الشـراب فبل اسفنجة حارة وضمد بها المعي والثرب فان النفخ يذهب وتعالج الـورم بما يسكن فاذا فعلت ذلك فاكبس الثرب والمعي الى داخل فان كان الهواء باردا فينبغي ان تدخل العليل الحمام وتعلقه بيديه ورجليه حتى ينجذب ظهره الى اسفل وان لم يمكن دخول الحمام فليمرخ الموضع بدهن بنفسج وشمع مغتر ثم رم ادخال المعي والثرب فان لم يدخل ذلك وكان قد بقي من النفخ فينبغي ان تزيد في الشق وتوسعه قليلا بمقدار ما يدخل المعي والثرب . واعلم انك متى لم تدخل المعي والثرب من يومه فانه يخضر ويسود فينبغي ان تقطع ما قد اخضر واسـود بعد ان تربط العروق والشرايين التي فيـــه بخيط ابريسم دقيق على ما وصفت لك في رباط الشريان الذي في الاصدغ وغيره ثم تقطع ما تريد قطعه وادخل المتبقي الى داخل ثم خيط مراق البطـن بخيط معتدل فيما بين الصلابـة واللين فان الخيط الشـديد الصلابـة ربما خرق الجلد والشديد اللين ينقطع ولتكن الخياطة عقدا متقاربة ، ولا تكن

---

(١) - علي بن العباس - كامل الصناعة جـ١ ص٣١٥

الغرز قريبة من حافة الجرح فينخرم ولا يعيده من حافتيه فيمتنع من انضمام الشفتين وان تغرز الابرة من خارج الجلد في العضلة التي على المراق في الصفاق من داخل العضلة ثم تخرج الابرة الى خارج ثم تمد الخيط وتعقده ثم تقطعه ثم تغرز الابرة في موضع اخر قريبا من ذلك وتفعل مثل ذلك الى ان تأتي على الجرح كله وتذر عليه الذرور الاصفر وتشده بالرفائد اياما »[1]

وفي هذا الوصف يناظر وصف ابن سينا مع وصف علي ابن عباس - ويشابهه الى حد كبير وصف الزهراوي .

فاذا علمنا ان هذه الاسفار التي وصلتنا في الطب والجراحة تناولت بكثير من الدقة والتفصيل مختلف اصابات الحرب وجراحها ومضاعفاتها واستخراج السهام والازجة بل ووصف جميع انواع الاسلحة لتعطي معلومات وافية للمعالج لنوع السلاح واوصافه واسلوب اخراج كل نوع من تلك الانواع لعلمنا بان الاطباء والجراحين كانوا على بينة كاملة علميا وعمليا عندما يتناولون علاج الجراح واصابات الحروب وتدارك اخطارها ومضاعفاتها وتقرحاتها حيث نحن نعلم وحتى يومنا هذا بان قلة بل اقل من القلة هم الذين يسجلون علومهم وممارستهم وخبرتهم اما الغالبية العظمى فأنهم وان كانوا على علم ومعرفة جيدة في ممارسة صناعتهم الطبية والجراحية ويزاولونها سلما وحربا من غير ان يسجلوا تلك العلوم اما لكثرة مشاغلهم ، حيث لم يسمح لهم وقت العمل لخط خبراتهم أو انهم على معرفة جيدة علميا ونظريا ولكن لا قدرة لهم على الكتابة وقسم اخر قد سجل بعض تلك الملاحظات ولكن جاءت عليها ويلات اصحابها من حرق أو تلف أو تأكلها الايام ، ولم يصلنا منها الا القليل الذي يلقي الضوء الكامل والدليل الواضح على انتشار العلوم العسكرية وكل ماله علاقة بالاسلحة واصابتها ومضاعفاتها واساليب علاجها وعلاج اخطارها ومضاعفاتها .

---

(١) - علي بن عباس - كامل الصناعة جـ٢ ص٤٨٢

المستشفيات الحربية

لم يذكر التاريخ غير النزر اليسير عن المستشفيات سواء المدنية منها والعسكرية •

كان الصراع متواصلاً والقتال دون توقف والحروب لم تخمد فترة الا ويشتعل اوارها من جديد وذكر الكثير عن الانسان البدائي والعصر الحجري والبرونزي والحديدي وما كان يستعمل الانسان في هذه العصور من اسلحة وأدوات ليدافع بها عن نفسه حينا ويعتدي على الاخرين في اكثر الاحيان علما بان الاثار ورسوم الكهوف لم تصور كثيراً الادوات الانسانية التي كانت شائعة ومستعملة على مر العصور •• هل كان هناك اطباء ؟ هل كانت هناك ادوات طبية ؟ وهل كانت مستشفيات ؟

هذا ما تجنبته كتب التاريخ وعجزت عن ان تدونه فانها انحازت الى القوة والقسوة وتخليد الوحشية بين بني الانسان •

في بلاد الرافدين مهد الحضارة الانسانية وبعدها حضارة وادي النيل وقبلهما حضارة الجزيرة العربية ، وربما كانت جميعاً حضارات بادت وانقرضت وجاءت بعدها حضارات الصين والاغريق ..

ولكن لم تحدثنا قصص الاولين عن الدور الانساني الذي عاشه الانسان الاول ، الدواء ، الطب ، المستشفيات ، نعم هناك غزوات ، ومعارك واجتياح جيوش ، وخطط قد تكون كذبا أو صدقا أو انها محرفة على ما يهواه المنتصر ولكن هناك تأريخ !! وهناك أوليات يمكن الرجوع اليها وتحليلها واستنطاقها ، اما ما هو دور الجراحة والطب في هذه الحروب ، وكيف كان يعامل الجرحى وكيف يسعفون وينقلون ، بل ويلفظون انفاسهم الاخيرة ، أو ان تطحنهم ماكنة الحرب وتسحقهم سنابك الخيل ...

ان أول خيمة طبية هي تلك التي امر بها الرسول الكريم (ص) التي نصبت في ساحة المسجد وعولج فيها سعد بن معاذ اما قبل ذلك ، لا نعلم شيئاً ، وعدم معرفة الشيء ليس بالدليل القاطع على عدم وجوده ، توجد اشياء واشياء كثيرة ، ولانعلم عنها شيئا ولم تدونها كتب التأريخ ولاقصص واساطير الاولين .

وما بعد الاسلام ـ صدر الاسلام ، الخلفاء الراشدون ، الامويون ، العباسيون بلاد الاندلس ، المغرب العربي ، في هذه الفترات المتلاحقة ، المتعاقبة المتداخلة نلاحظ ، مع استقراء التأريخ وقلة ماحدثنا في المجال الذي نبغيه فيما يتعلق ، بالمستشفيات ، والمستشفيات الحربية بشكل خاص ، والطب العسكري ، نلاحظ ... ان القادة والسلاطين الذين اهتموا ببناء المستشفيات : الوليد بن عبدالملك ، عضد الدولة ، صلاح الدين الايوبي ، نورالدين الزنكي .. ابن طولون ...

وقد اتاحت المستشفيات الفرصة للاطباء العرب ، للتعرف على الامراض ،

وانـواع العلاجات ، والجراح ، وتطـوير معلوماتهـم وخبراتهم العلميــة والنظرية ، وكثرت المستشفيات الثابتـة والمتنقلـة من مكان الى آخر وقد زودت بما تحتاجه من الادوية والادوات •• ونشأ هذا النوع من المستشفيات نتيجة لاسباب كثيرة في مقدمتها الحروب وضرورة معالجة المصابين بسرعة تقليل الخســائر ، وكذا في منع انتشــار الاوبئـــة والامراض في المنـاطـق البعيدة •[1]

نعود مرة اخرى الى تلك الخيمة التي نصبت في ساحة المسجد كنواة لأول مستشفى ميدان مسجلة في التاريخ •

وكانت فيه مشرفة تقوم بخدمة الجرحى[2]

وأول المستشفيات المسجلة في الاسلام والمسجلة في بطون الكتب المستشفى الذي بناه الوليد بن عبدالملك سنة (٩٨هـ ـ ٧٠٦م) وقد جاء هذا موافقا لكثرة الفتوح الاسلامية في عهد هذا الخليفة ، وقد كثرت المستشفيات في ايام الخلافة العباسية بدأ بها هارون الرشيد ، والمعتضد ، والمقتدر ومعز الدولة ، وصلاح الدين الايوبي ••

بنى صلاح الدين المستشــفى الناصـري في القــاهرة وبيمارســـتان الاسكندرية وعمت المستشفيات في سائر الاقطار وخصوصا في ايام الايوبيين والمماليك في الشام والعراق ، وســـورية ، وفلسطين خاصة للحاجة الملحة التي اوجدتها الحروب الصليبية فامتلأت مدن الشـــام في ايام الايوبيين والمماليك بالمستشفيات من انطاكيــة شمالاً الى غزة جنـوباً وكان اشهرهـا

---

(١) ـ د • ياسين خليل ص٦٣

(٢) ـ الدكتور حسن ابراهيم حسن ـ تأريخ الاسلام جـ١ ص٥١٢

البيمارستان النوري الكبير في دمشق بناه نورالدين محمود سنة (٥٦٩هـ ـ ١١٧٣م)[1]

وفي مصر اهتم اكثر الخلفاء والحكام بالطب وبناء المستشفيات واشهرهم ولعا بذلك ابن طولون الذي اهتم بالشؤون الصحية ، وهو الذي بنى المارستان للمرضى في ارض المعركة وقسمه الى اقسام جعل كلا منها ... خاصا بفرع من فروع الطب سنة ٢٥٩هـ . وجعل له حمامين واباحه للناس على اختلافهم من غير تميز بالاديان والمذاهب[2]

وان صلاح الدين الايوبي في القاهرة قد اختار احد قصوره الفخمة وحوله الى مستشفى كبير سمي المستشفى الناصري وانتقى في اختياره ذاك قصرا بعيدا عن الضوضاء .

وقد وصف الرحالة المعروف ابن جبير اثناء زيارته القاهرة سنة ٥٧٨ ـ ١١٨٣م هذا المستشفى بانه قصر رحب يديره مدير مقتدر ويلي المدير امناء يسهرون على راحة المرضى ليلا ونهارا ويعطونهم الغذاء والجرعات الموافقة .[3]

وتوافرت في مستشفيات الخلفاء والسلاطين والجيش كل اسباب الرفاهية التي كانت تتوافر في قصورهم وكانت تفتح ابوابها للفقراء ولكل ابناء الشعب بدون تميز فعندما انتهى المستشفى المنصوري في القاهرة طلب السلطان المنصور (قلاوون) قدحا من العصير من المستشفى فشربه وقال :

---

(١) ـ امين اسعد خيرالله الطب العربي ص٨٤
(٢) ـ الدكتور حسن ابراهيم حسن جـ٣ ص٣٩٢
(٣) ـ الدكتور احمد الشطي ـ العرب والطب ـ ص٩٨

« أني وهبت هذا المستشفى الى اندادي واتباعي وخصصته للحكام والخدم ، للجنود والامراء ، للكبار والصغار ، للاحرار والعبيد للرجال والنساء على السواء »[1]

وفي البيمارستان العضدي المنسوب الى عضد الدولة والذي اشار الى بنائه الرازي وكان أول ساعور له - أي انه كان أول مدير لادارة ذلك المستشفى وكان فيه من الجرائحيين أبو الخير وابو الحسن بن تفاح وجماعته ومن المجبرين المشار اليهم (ابو الصلت)[2]

وقد ذكرت المصادر المتوفرة التي وصلت الينا وخلصت من غوائل الدهر وصروفه ومانجا من كتب التاريخ باوراقه بعد ان سلخت الظروف جلده وما اضيف اليها من كتاب التاريخ المحدثين - ان هناك عدة انواع من المستشفيات أولها المستشفيات الثابتة - وهي كثيرة ومتنوعة ومنتشرة هنا وهناك في ارجاء الدولة الاسلامية المتباعدة الاطراف .

والمشافي المتنقلة - وكانت هذه ايضا على انواع منها مشاف للاسعاف الاولي ومشاف حربية ومشاف محمولة . فمشافي الاسعاف الاولي ما ذكر منها على غرار خيمة رفيدة في غزوة الخندق . ومشاف محمولة تنقل عند حدوث اوبئة وامراض في مناطق لا تتوفر فيها مشاف ثابتة .

المشافي الحربية

اهتمت الدول الاسلامية بجيوشها واستحدثتها ونظمتها على اسس رصينة بعد ان امتدت الفتوحات وعظمت تلك الجيوش - وبخاصة بعد الخليفة

---

(١) - زيغريد هونكة ص٢٢٩

(٢) - ابن ابي اصيبعة ص٣٤٩

الثاني ـ الفاروق عمر بن الخطاب (رض) ومن جملة الاهتمامات والعناية بالجرحى فقد ادخلت الطبابة والصيدلة والبيطرة وجعلته من صميم تنظيم الجيش ، وبعدها شكلت المستشفيات العسكرية المرافقة للجيوش حيث كان للجيش مشاف حربية يشرف عليها جراح خاص ملحق بالخليفة ومما يذكر في هذا المجال ان (ابن مطران) كان مقرباً من صلاح الدين الايوبي ورافقه في كل حروبه وكانت له خيمة حمراء تشبه خيمة صلاح الدين ولها مدخل كبير تعرف به وكانوا يحولون الجرحى الى النساء لتمريضهم اذا اتاح لهم الحظ ان يعيشوا وكانت هذه المستشفيات متحركة تنقل على ظهور الجمال والبغال ولذلك يمكن القول بانه كان للجيوش مستشفيات خاصة بها تشبه وحدات الميدان الطبية وكانت النساء تقوم بتمريض الجرحى من الجنود حتى يشفوا .[1]

ومن المستشفيات والمستوصفات السيارة التي تناقلت اخبارها كتب التاريخ ـ بيمارستان السلطان محمود السلجوقي الذي كان يحمل على اربعين جملا وبيمارستان الوزير شمس الملك نظام الملك الذي كان يحمل الاته وخيمه وادويته والاطباء والغلمان والمرضى مائتان من الجمال .[2]

وكان للجيش اطباء مخصصون ما عدا اطباء الخليفة والقادة والامراء وكانت هذه المستشفيات متحركة تنقل على ظهور الجمال والبغال وتشير اغلب المصادر مرة اخرى الى المستشفى الذي كان يستصحب جيش السلطان محمود السلجوقي المحمول على اربعين جملا .

وكانت النساء تقوم بتمريض الجرحى من الجنود حتى يشفوا وفي ذلك الوقت بالذات كانت خدمة الجرحى في جيوش اوربا تقع على عاتق

---

(١) ـ الدكتور احمد الشطي ـ العرب والطب ص٩٥
(٢) ـ ناجي معروف ـ اصالة الحضارة العربية ص٣٤٥

زملائهم أو تسند الى الموسسات اللاحقات بالجيش[1]

بينما كان العباسيون اذا جهزوا جيشا ارفقوا معه الاطباء لمداواة الجرحى والمرضى وارفقوا الصيادلة لتركيب الادوية واعدادها ٠

وكان عدد الاطباء عظيما جدا حتى ان بغداد وحدها كان فيها من الاطباء في خلافة المقتدر في أول القرن الرابع للهجرة ٨٦٠ طبيبا ٠

وكان منهم من خاص بالجند يقيم معه اذا قام ويرافقه في جميع اسفاره وخدماته الفعلية وكان للجيش العباسي مشاف سيارة ـ يحملونها على الجمال والبغال[2]

البيمارستان المحمول (المتنقل)

وهو المستشفى الذي ينقل من مكان الى مكان بحسب ظروف الامراض والاوبئة وانتشارها وكذا الحروب وكان هذا النوع من المشافي معروفا لدى خلفاء العرب والاسلام وملوكهم وسلاطينهم واطبائهم بل الراجح ان يكونوا هم أول من انشأه وهو عبارة عن مستشفى مجهز بجميع ما يلزم المرضى ومداواتهم من اطعمة واشربة وملابس واطباء وصيادلة وينقل من بلد الى آخر من البلدان الخالية من المستشفيات الثابتة ٠٠

ومن المشافي المتنقلة التي كان يستعملها السلاطين في تنقلاتهم وحروبهم ما رواه ابن خلكان وابن القفطي حيث قالا ٠٠٠

---

(١) ـ امين خيرالله ص٧١
المقريزي جـ٢ ص٢٤٠ ، ابن خلكان جـ١٠ ص٢٧٤ ، ابن ابي اصيبعة جـ١ ص٢٤٠

(٢) ـ ابن الاثير جـ٧ ص٦٠
طبقات الاطباء جـ١ ص٢٢٢
وفيات الاعيان جـ١ ص٢٧٤
الجندية في الدولة العباسية ـ نعمان ثابت ص١٦٤

ان ابا الحكم المغربي عبدالله المظفر بن عبدالله المرسي نزيل دمشق كان طبيبا ببيمار ستان متنقل يحمله اربعون جملا[1]

وأول من فعل ذلك الوزير علي بن عباس ثابت ابن الجراح في ايام الخليفة المقتدر باشارة من سنان بن ثابت ابن قره سنة ٣٣٥هـ رئيس اطباء بغداد حيث ارسل توقيعا يقوم له فيه ..

(فكرت - مد الله في عمرك - فيمن بالسواد من اهله وانه لا يخلو من ان يكون فيه مرضى لا يشرف متطبب عليهم لخلو السواد من الاطباء فتقدم - مد الله في عمرك - بانفاذ متطببين وخزانة من الادوية والاشربة ..

يطوفون بالسواد ، ويقيمون في كل صقع منه مدة ما تدعو الى مقامهم ويعالجون من فيه ثم ينقلون الى غيره)[2]

ثم اتسع نطاق المستشفيات النقالة فكانت تصحب الخلفاء والملوك في تنقلاتهم ، كما كانت تصحب الجيوش وكان السلطان الظافر برقوق (سنة ٨٠١هـ - ١٣٨٩م) يصطحب مستشفى محمولا كبيرا جدا .

وكان احد ارياض قرطبة « ضواحيها » في الاندلس يدعي ربض المرضى لكن لايرد ذكر صريح للمستشفيات في الاندلس وفي المغرب[3]

وقد اشار امين اسعد خيرالله الى هذا النوع من المستشفيات وذكر بانها تنقل الى الامكنة المختلفة حيث لا يوجد اطباء ولا سيما في القرى المجاورة للمستشفيات فيعالجون المرضى عامة[4]

---

(١) - الدكتور احمد الشطي - العرب والطب ص٩٥ ، ٩٦
(٢) - ناجي معروف ص٣٤٩
(٣) - عمر فروخ ص٢٩٣
(٤) - امين اسعد خيرالله ص٧٠

وكذا اشارت المستشرقة « هونكة » بان هذه المستوصفات المتنقلة المحمولة بين القرى والى جانبها مستوصفات خاصة بالجنود[1]

وتطرق الى هذا النوع من المستشفيات ـ احمد عيسى في حديثه عن تاريخ البيمارستان في الاسلام وقال :ـ

هو المستشفى الذي ينقل من مكان الى اخر حسب الحاجة بالنسبة الى مقتضيات العمل عند انتشار الامراض والاوبئة أو بسبب الحروب[2]

وينقل عادة من مكان الى اخر ومن بلد الى بلد حيث لا يوجد بيمارستانات ثابتة أو التي يظهر فيها وباء أو مرض معد واتسع نطاق استعمالات هذه المستشفيات فكانت تصحب الخلفاء والملوك في سفراتهم ورحلاتهم كما كانت تصحب الجيوش في حالة الحرب[3] .

---

(١) ـ زيغريد هنكة ص٢٣١

(٢) ـ احمد عيسى ـ تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص١١

(٣) ـ فروخ ـ تاريخ العلوم عند العرب ص٢٩٣
مصطفى السباعي ـ من روائع حضارتنا ص١٤٤
حكمت نجيب عبدالرحمن ـ دراسات في تاريخ العلوم ص٧٥

الطب العسكري فى الحروب الصليبية

كانت الحروب الصليبية احد منافذ الحضارة التي انتقلت فيها الحضارة والعلوم من العالم العربي الاسلامي الى ربوع اوربا قاطبة ـ جاءوا غزاة طامعين مخدوعين بتحرير ارض فلسطين من الظلم والظلام الاسلامي واذا بهم يجدون الانسانية والعدل ونور العلم مشعة في المشرق الاسلامي فنهلوا من علومها واستفادوا من حضارتها ونقلوا من كتبها الى عالم اوربا السادر في ظلامها الدامس وهمجيتها القديمة ونزاعاتها التي لا منقطع لها .

والتخلف في العلوم احد مظاهر اوربا انذاك وبخاصة العلوم الطبيية والفلسفة والرياضيات والفلك والكيمياء والهندسة .

ففي عام ١٢١٨ صحب الطبيب الجراح هوغو البولوني من اعمال ايطاليا فرسان الله « كما ادعوا » الايطاليين وحل معهم في الارض المقدسة .

وكان قد بلغ السبعين من عمره بعد ان امضى في خدمة سلالة البورغونيوني حكام مقاطعة لومبارديا في ايطاليا لقاء اجر ينيف على الستمائة ليرة .

وكان عليه ان يصحب فرقة بولونية - مقاطعة في ايطاليا - الى الحرب ومن ثم حضر حصار دمياط وما نتج عنه من ازمة جوع وبرد وتفشي الامراض كافيا ليشغله شغلا دائما اضافة الى الجرحى الذين تكدسوا من المعركة مع جيش السلطان العتيد .

وظل هوغو فون لوكا يضمد جراح مواطنيه ويجبر كسورهم باساليبه البسيطة مدة ثلاث سنوات ، وكان يرى ان كثيرا من الاسياد يفضلون الذهاب الى جانب الاعداء للتداوي بالرغم من زجر الكهنة لهم وتحريم رجال الكنيسة ، ولم ينفع معهم لا وعيد ولا تهديد .

وفي خلال هذه السنوات الثلاث ، توافرت له اكثر من مناسبة للتعرف على هؤلاء الجراحين المسلمين الذين كثر فيهم المدح والذم في آن واحد ، ورؤية عظمتهم وزيارة مستشفاهم العسكري الذي كان يحمله الى ساحة المعركة ثلاثون أو اربعون جملا .

ان ما رآه هوغو في معالجة الجروح كان بمثابة الصدمة له ، ورأى في لحظة واحدة خطأ ما تعلمه واخذه عن ابقراط - وكأنها حكمة منزلة - وشاهد البنيان السالف ينهار لحظة واحدة - فما تعلموه عن ابقراط من ان القيح الجيد المرغوب منه مفيد وتغطية الجروح بالمواد الزلالية وعملية رعاية القيح في الجروح ... لم يكن هذا الا" اخطاء فاحشة في الطب دفع ثمنها الكثيرون حياتهم واثبت الاطباء والجراحون العرب خطأها ويجب تجنب الجروح القيح جهد المستطاع .

حيث كان الاطباء المصريون يداوون الجراح بنجاح كبير حين يلفونها بضمادات ساخنة مشبعة بالخمرة القوية ويتركونها على حالها غالبا خمسة أو ستة ايام تشفى بعدها بسرعة وكأنها لم تكن . وقد اثبتت الابحاث المعاصرة بان الخمرة المركزة المعتقة خالية من الجراثيم ومعقمة للجروح .

حتى جراح الاعصاب والشرايين كانت تتماثل للشفاء بوساطة هذه الوسائل .

لقد لاحظ هوغو بأم عينيه كيف ان الاطباء العرب كانوا يعمدون الى تخدير الجرحى بالحشيش ونبات السيكران وغيرها قبل ان يلجأوا الى البضع - يبضعون طرفا من اطرافهم دون ان يشعر هؤلاء الجرحى بالألام قط ..

وعاد هوغو الى وطنه عام/١٢٢١م وقد تفتحت افاقه العلمية ومداركه وكان قد بلغ من العمر منتهاه ومع هذا سعى الى نشر معارفه الحديثة بين قومه - وسلك مسلك العرب في كثير من فنون التداوي - فنال شهرة واسعة وسعى اليه القوم من كل حدب وصوب للاستفادة من علومه الحديثة التي تعلمها من الشرق وفتحت فتحا جديدا للمعرفة والعلوم الطبية والجراحية كما انه علم ابناءه واحفاده على ما قد تعلمه من العرب - واوصاهم بمنع كل التهاب وكل تقيح لدى معالجتهم الجروح . وحثهم على معالجة الكسور بطرق سهلة واستعمال التخدير عن طريق الاسفنجة المخدرة لدى العمليات الجراحية[1]

ولما مرض الملك الانكليزي رتشارد (قلب الاسد) اكبر خصوم صلاح الدين بعث اليه صلاح الدين الايوبي طبيبه الخاص لمعالجته ، ورفه عنه بان ارسل اليه الفواكه والثلج[2]

وكان انشاء المستشفيات في اوربا خلال القرن الثالث عشر ناتجا عن اثر الحروب الصليبية فقد كانت هذه المستشفيات - كما يقول الدكتور (ميرهوف) :-

---

(١) - هونكة - شمس العرب تسطع على الغرب ص٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١
(٢) - القاضي بن شداد - النوادر السلطانية ص١٥٨
محمد العروس المطوى - الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ص١١١

« على ما يبدو تقليدا للمستشفيات الفخمة التي شاهدها الصليبيون في الشرق[1]

ومن الاطباء الذين نالوا شهرة واسعة في الطب وشاركوا في الحروب الصليبية ـ هو « موفق الدين عبداللطيف البغدادي » وهو أبو محمد عبداللطيف بن اللباد الموصلي البغدادي ولد عام ١١٦٢م ودرس في كتب ارسطو وجاء الى مصر في ايام ابن سناء الملك ، ثم سافر الى القدس والتحق بحاشية صلاح‌الدين الايوبي ، وعين له راتبا ثلاثين دينارا في الشهر ولكنه وبعد موت صلاح‌الدين عاد الى مصر واخذ يجلس للتدريس في الجامع الأزهر »[2]

وللمقارنة بين ما بلغ اليه الطب العربي الاسلامي في فترة الحروب الصليبية ومستوى الطب لدى الجيوش الصليبية الغازية وانحطاط علومهم ومعرفتهم الطبية ما رواه المقاتل المعاصر لتلك الفترة « اسامة بن منقذ » عن عجيب طب الصليبيين في كتابه ـ الاعتبار ـ :

ان صاحب القنيطرة ـ الصليبي ـ كتب الى عمي يطلب منه انفاذ طبيب يداوي مرضى من اصحابه ـ فارسل اليه طبيبا نصرانيا يقال له :

ثابت : فما غاب عشرة ايام حتى عاد فقلنا :ـ

ـ ما اسرع ما داويت المرضى ! !

قال :

ـ احضروا عندي فارسا قد طلعت في رجله دملة وامرأة قد لحقها ـ نشاف ، فعملت للفارس لبيخة ففتحت الدملة وصلحت ، وحميت المرأة

(١) ـ زكريا هاشم زكريا ص٤١٧

(٢) ـ الدكتور رمزي مفتاح ـ كلية الطب ـ احياء التذكرة (في النباتات الطبية والمفردات العطارية ص٤٩)

ورطبت مزاجها ، فجاءهم طبيب افرنجي فقال لهم :

— هذا ما يعرف شيئا يداويهم

وقال للفارس :

— ايما احب اليك تعيش برجل واحدة أو تموت برجلين ؟ !

قال المريض :

— بل اعيش برجل واحدة !

قال مدعي الطب الصليبي :ـ

— احضروا لي فارسا قويا وفأسا قاطعا .

فحضر الفارس والفأس وانا حاضر ، فمد ساقه على قرمة خشب وقال للفارس :

— اضرب رجله بالفأس ضربة واحدة اقطعها فضربه وانا اراه ضربة واحدة ماانقطعت وضربه ضربة ثانية فسال مخ الساق ومات من ساعته.

وابصر المرأة فقال :

— وهذه امرأة في رأسها شيطان قد عشقها احلقوا شعرها ؟

فحلقوه وعادت تأكل من مأكلهم الثوم والخردل فزاد بها النشاف .

فقال :

الشيطان قد دخل في رأسها فاخذ الموس وشق رأسها صليبا وسلخ وسطه حتى عظم الرأس وحكه بالملح ، فماتت في وقتها فقلت لهم :

— بقى لكم اليّ حاجة ؟

قالــوا .

— لا ؟

فجئت وقد تعلمت من طبهم مالم اكن اعرفه :

من هاتين الطريفتين الطبيتين ندرك مدى الفرق الشاسع بين ما كان يتمتع به الاطباء العرب من معرفة طبية واسعة وادراك لنوع الاصابات والالتهابات الموضعية وكيفية مداراتها ومعالجتها بالاسلوب التحفظي الى ان ينضج الخراج ويفتح لا ان يقطع ـ وحتى يومنا هذا والنصيحة الطبية لمثل هذه الحالات هو معالجتها تحفظيا الى ان تنضج ومن ثم تفتح اذا لم تفتح بالللبائخ ..

وكذا تلك المرأة التي اصابها النشاف ، وقد عالجها الطبيب العربي بحذق ومنع عنها الاطعمة التي تزيد من وطأة مرضها وتحسنت حالها الى ان جاء الطبيب الصليبي ـ فاعتقد بدخول الشيطان الى رأسها وعالجها بالمشرط وعجل بوفاتها .[1]

وقد جاء هذا الحديث في كتاب (الاعتبار) لمؤيد الدولة وأبو مظفر اسامة بن منقذ بن مرشد الكناني المولود في قلعة (شيزر) على نهر العاص في ٢٧ جمادي الاخر سنة ٤٨٨هـ الموافق ٤ تموز سنة ١٠٩٥م وقد سماه والده بهذا الاسم تيمنا باسم اول قائد عربي عهد اليه امر فتح الشام .

كما وان مذكراته الموسومة بكتاب (الاعتبار) ما هي الا مرآة تنجلى فيها المدينة الشامية والفروسية الاسلامية .

عاش اسامة بن منقذ فارسا شهما محاربا شجاعا صرف اولى ايام شبابه في البلاط النوري بدمشق وفي قصر الخليفة الفاطمي بالقاهرة ، وبعض كهولته في دار الاتابكة بالموصل ..

حيث عايش احداث القرن الثاني عشر الميلادي التي شملت الغزوات الصليبية الثلاث الاولى ، وشهد من الحروب اكثرها ودوّن طرائفها في

---

(١) ـ اسامة بن منقذ ـ الاعتبار ص١٣٢
تحقيق فيليب حتى ١٩٣٠ جامعة بريستون
زيغريد هونكه ـ شمس العرب تسطع على الغرب ص٢١٥ ، ٢١٦

مذكراته « الاعتبار » وكيف عالج العرب المسلمون جرحاهم وما وصفوه من علاج اثناء الضرب والطعان والاشخاص الذين اصيبوا وعولجوا وتم شفاؤهم فجاء كتابه وثيقة مهمة لتبرهن على الدور المهم الذي مارسه الاطبـاء المسلمون في معالجة الجرحى الذين منّ الله عليهم بالشفاء التام - وسنسرد هنا بعض القصص معتمدين على كتاب الاعتبار مباشرة في نقل هذه القصص والنوادر الطبية الطريفة • ومما رواه المقاتل العربي اسامة بن منقذ في كتابه الاعتبار عن طرائف تخص الجرحى ومعالجة واسعاف هؤلاء المصابين والتي تلقي الضوء الكاشف على قدرة الاطباء والجراحين العرب في معالجة مختلف اصابات الحرب بشكل جيد وشاف لأغلب تلك الاصابات يقول :-

— اننا كنا التقينا نحن وشهاب الدين محمود بن قراجا صاحب حماة ذلك الوقت - وكانت الحرب بيننا وبينه والمواكب واقفة والطراد بين المتسرعة • فجاء الي رجل من اجنادنا وفرساننا المعدودين يقال له جمعة من بني نمير وهو يبكي •

فقلت له :

— ما لك يا ابا محمود ؟ اهذا وقت بكاء ؟

قال :

— طعنني سرهنك بن ابي منصور !

قلت :

— واذا طعنك سرهنك اي شيء يكون ؟

قال :

— ما يكون شيء الا يطعنني مثل سرهنك !؟ والله ان الموت اسهل عليّ من ان يطعنني لكنه استغفلني واغتالني ! ؟ فجعلت اسكنه واهون الامر عليه ، ولكنه ردّ رأس فرسه راجعا •

فقلت :

ـ الى اين يا ابا محمود ؟

قال :

ـ الى سرهنك ـ والله لاطعنه او لأموتن دونه •

فغاب ساعة ، واشتغلت انا بمن مقابلي ، ثم عاد وهو يضحك فقلت :

ـ ما عملت ؟

فقال :

ـ طعنته والله ، ولو لم اطعنه لفاظت روحي فقد حمل عليه في جمع من اصحابه فطعنه وعاد[1]

وهذه تروي لنا حماسة الجندي الذي يطعن في المعركة ويأسف ان الذي طعنه دون مستواه القتالي ولكن يضمد جرحه ويتحمل الامه ويهجم على عدوه ليثأر لنفسه ويعود منتصرا مرتاح النفس بعد ان طعن الذي طعنه بالذات •

وقصة اخرى يرويها ، اسامة في كتابه عن كردي يقاتل لجميل عليه فيقول :ـ

« ومن الناس من يقاتل للوفاء فمن ذلك ان رجلا من الاكراد يقال له فارس وكان كأسمه فارسا واي فارس ، فحضر ابي وعمي رحمهما الله وقعة كانت بينهما وبين سيف الدولة خلف بن ملاعب حمل عليهم فيها وغدر بهم وقد حشد وجمع وهم غير متأهبين لما جرى •

وسبب ذلك انه راسلهم وقال :ـ

« نمضي الى اسقونا وفيها الفرنج نأخذها »

(١) ـ اسامة بن منقذ ـ الاعتبار ـ ص٣٦

فسبقه اصحابنا اليها وترجلوا وزحفوا الى الحصن ثقبوه .

وهم في القتال وابن ملاعب وصل فاخذ خيل من كان ترجل من اصحابنا ووقع القتال بينهم بعدما كان للافرنج واشتد بينهم القتال :

فقاتل فارس الكردي قتالا عظيما وجرح عدة جراح وما زال يقاتل ويجرح حتى اثخن بالجراح وانفصل القتال فاجتاز به ابي وعمي رحمهما الله وهو محمول بين الرجال فوقفنا عليه وهنأه بالسلام فقال :ـ

« والله ما قاتلت اريد السلامة لكن لكم عليّ جميل وفضل كبير وما رأيتكم في شدة مثل هذا اليوم فقلت اقاتل بين ايديكم واجازيكم عن جميلكم واقتل قدامكم »[1]

ومن ثم تم نقله وعلاجه وقضى الله سبحانه انه عوفي من تلك الجراح .

اضرب هذا المثل للاشارة الى اسلوب علاج الجراح المتطور الذي يعالج فيه المقاتل والذي يثخن بالجراح ويشرف على الهلاك ـ ولكنه ينقل الى محل يعالج فيه ويمن الله عليه بالشفاء .

ومن الاساليب المتبعة في الجراحة كذلك مارواه اسامة في كتابه هذا حيث قال :

« وجرح عمي عز الدولة رحمه الله في ذلك اليوم عدة جراح منها طعنة طعنها في جفن عينه السفلاني من ناحية المآق ونشب الرمح في المآق عند مؤخرة العين فسقط العين وسقط الجفن جميعه وبقى معلقا بجلده من مؤخرة العين ، والعين تلعب لا تستقر ، وانما الجفون التي تمسك العين .

فخاطها الجرائحي وداواها فعادت كحالها الاولى لا تعرف العين المطعونة من الاخرى[2]

(١) ـ اسامة ـ الاعتبار ص٩٥
(٢) ـ اسامة بن منقذ ـ الاعتبار ـ ص٥٥

هكذا كان الطب والجراحة لدى العرب المسلمين ابان الحروب الصليبية رجل يطعن عدة طعنات ويعالج من غير تلوث أو التهاب ـ وطعنة العين وبعد ان تخرج وتبقى معلقة بالمآق ـ يعاد علاجها وخياطتها وتغدو لا فرق بينهـا وبين العين السليمة ـ فانها لجراحة تجميلية متقدمة ودقيقة ان يتم شفاؤها من غير ان يصيبها التلوث والتقيح وكذا يروي اسامة عن والده وقال :ـ

« وكان الوالد ـ رحمه الله ـ كثير المباشرة للحرب وفي بدنـه جراح هائلة ، ومات على فراشه »[1]

يباشر الحروب ويجرح كثيرا ويعالج ويتم شفاء تلك الجراح وبعدها يموت ميتة طبيعية لمرض لا علاقة له بالحرب والجراح •

ويروي حادثة اخرى عن طعنـة نجلاء اصابت صـدر المقاتل واخترقت ذلك الصدر واعتقد الجميع بانه سيموت ولكنه يعالج ويشفى ، وكما جاء في كتاب الاعتبار •

بان الفارس يسلم بعد ان قطع شريان قلبه وقال ، وشاهدت فارسا من رجالنا يقال له ندى بن تليل القشيري • وكان من شجعاننا ، وقد التقينا نحن والافرنج وهو معرى ما عليه غير ثوبين فطعنه فارس من الافرنج في صدره فقطع هذه العصفورة التي في الصدر وخرج الرمح من جانبه •

فرجع وما نظنه يصل منزله حيا ، فقدر الله سبحانه ان سلم وبرأ جرحه لكنه لبث سنه اذ نام على ظهره لا يقدر يجلس ان لم يجلسه انسان باكتافـه ثم زال عنه ما كان يشكوه وعاد الى تصرفه وركوبه كما كان[2]

اليس هذا بدليل واضح ان يتمكن الجراح من معالجة مثل هكذا جريح

---

(١) ـ اسامة بن منقذ ـ الاعتبار ـ ص٥١

(٢) ـ اسامة بن منقذ ـ الاعتبار ـ ص٤٢

يخترق الرمح صدره ويعتقد القوم بانه سيموت ولكن يعالج الجراح وينام على ظهره ويمن الله عليه بالشفاء .

ورجل يصارع القوم وينازلهم وهـو بسـاق واحدة جاء في كتـاب الاعتبار .

— انه كان في اصحابنا من بني كنانـة رجل أسـود يقال لـه علي بن فرج طلعت في رجله حبة فتخبثت وتناثرت اصابعـه وانتنت رجله فقال لـه الجرائحي :ـ

— ما لرجلك الا القطع والا تلفت .

فحصل عنده منشارا ونشرها حتى قطعها من نصف ساقه وداواهـا فبرأت . وكان رحمـه الله من اجل الرجال واقـواهم . فكـان يركب وفي سرجه ركاب واحد وفي الجانب الاخر سير تكون فيه ركبته ويحضر القتال ويطاعن الفرنج وهـو على الحال ، وكنت اراه رحمـه الله لا يستطيع رجل يشابكه ولا يقايضه[1]

نروي هذه القصة لتوضيح خبرة الاطباء والجراحين العرب بتشخيص الحالات العفنة واحتمال امتداد الالتهاب الى بقية الساق واعضاء الجسم ـ وهكذا نصحوه بالقطع ـ وتم قطعها بنجاح وامان ـ ومن ثم يصاغ الى تأهيل المصاب لاستعمال ركوب الخيل ومنازلة الرجال والتغلب عليهـم وصـنع ركاب خاص بالساق المقطوعـة وان تثبت بسير للحفاظ على الموازنـة اثناء الصدام والمبارزة مع الفرسان .

ومما رواه اسامة عن خياطة الجراح في رجل ظن انه مات لكثرة جراحه فقال :

— فانني رأيت يوم تقاتلنا نحن والاسماعيليـة في حصن شيزر وذلك بعد

(١) ـ اسامة بن منقذ ـ الاعتبار ص١٤٦

فراغنا ذلك اليوم من القتال صاح انسان من جانب الحصن « الرجال » وعندي جماعة من اصحابي معهم سلاحهم فبادرنا الى الذي صاح فقلنا « مالك ؟ »

فقال :ـ

ـ احس الرجال هاهنا ، فجئنا الى اصطبل خال مظلم فدخلناه فوجدنا فيه رجلين معهما سلاحهما فقتلناهما ووجدنا رجلا من اصحابنا مقتولا . وهو على شيء فرفعناه ووجدنا تحته رجلا من الباطنية قد تسجى ورفع المقتول على صدره ، فحملنا صاحبنا وقتلنا الذي تحته ووضعنا صاحبنا في الجامع بالقرب من ذلك المكان وفيه جراح عظيمة ولا نشك انه ميت .

وكان المسكين اجتاز بذلك الاصطبل فسمع حسا ، فادخل رأسه ليحقق السماع فجذبه واحد منهم وضربوه بالسكاكين حتى ظنوا انه قد مات . فقضى الله سبحانه ان خيطت تلك الجراح في رقبته وفي جسمه وعاد من الصحو الى ما كان عليه . فتبارك الله مقدر الاقدار وموقت الاجال والاعمار[1] وفي هذا دليل ـ وبعد حكمة الباري ـ ان الطب والجراحة كانت على مستوى عال من القدرة والكفاءة ليتمكنوا من خياطة الجراح وشفاء الجريح بعد ان اثخنت الجراح فيه وظن انه ميت لا محالة .

وقصة اخرى يرويها ويدلل فيها على قدرة الباري عز وجل وامكانية الجراحين وقابليتهم في اجراء العمليات الدقيقة . حيث قال :ـ

شاهدت ما يقرب ذلك وهو ان الافرنج لعنهم الله اغاروا علينا ثلث الليل الاخر واصبحت انا واقفا في ـ بندر فنين ـ قرية عند المدينة فرأيت ثلاثة شخوص مقبلة ! اما اثنان فكالناس واما الوسط فما وجهه كوجوه

---

(١) ـ اسامة بن منقذ ـ الاعتبار ـ ص١٦٢

الناس ، فلما دنوا واذا الوسطاني منهم قد ضربه افرنجي بسيف في وسط انفه فقطع وجهه الى اذنيه ، وقد استرخي نصف وجهه صار على صدره ، وبين النصفين من وجهه فتح قريب من شبر وهو يمشي بين الرجلين فدخل البلد وخاط الجرائحي وجهه وداواه فالتحم الجرح وعوفي وعاد الى ما كان عليه الى ان مات على فراشه . وكان يبيع الدواب ويسمي ابن غازي المشطوب ، وانما سمي المشطوب بتلك الضربة[1] .

فانها لجراحة تجميلية متقدمة ان يخاط الوجه بهذه الدقة والمعرفة بعد ان شق سمعه أو بصره ويمارس عمله بالتجارة والبيع ، ويتكلم اسامة عن نفسه فيقول ، فلا يظن ظان ان الموت يقدمه ركوب الخطر ولا يؤخره شدة الحذر ، ففي بقائي أوضح معتبر ، فكم لقيت من الاهوال وتقحمت المخاوف والاخطار ولاقيت الفرسان ، وقتلت الاسود ، وضربت بالسيوف وطعنت بالرماح وجرحت بالسهام .

وانا من الاجل في حصن حصين الى ان بلغت تمام التسعين فرأيت الصحة والبقاء[2]

وقد اشار الدكتور امين اسعد خيرالله في كتابه ـ الطب العربي ـ بان معارف الاطباء في الجيوش الصليبية قاصرة جدا وكانت دليلا ـ واضحا على تقهقر اوربا في العلوم والطب ازاء تضلع العرب في ذلك العصر وطالما لجأ الامراء من الصليبيين الى اطباء العرب ـ وخصوصا النصارى منهم .

وقد اشار الكاتب الانجليزي السير ولترسكوت في روايته « الطلمسان » الى احترام الامراء الصليبيين لاطباء العرب[3]

(١) ـ اسامة بن منقذ ـ الاعتبار ـ ص١٦٣
(٢) ـ اسامة بن منقذ ـ الاعتبار ـ ص١٦٣
(٣) ـ الدكتور امين اسعد خيرالله ـ الطب العربي ص٢٢٧

الطب العسكري فى المغرب العربي

لم ينفصل المغرب العربي عن مشرقه ولا شرقه عن غربه ـ وانما كان هناك اتصال دائم وترابط وثيق في اللغة والتنقل والتاريخ والسياسة والعلوم والحضارة ـ مهما تقلبت الاجواء السياسية وتباينت العلوم وتغير الحكام في هذا القطر أو ذاك وفي هذه البقعة أو تلك من ارجاء الوطن العربي •••

فكان هناك تجاوب مستمر وتفاعل وانتقال لمختلف ضروب المعرفـة بين الشرق والغرب العربي ـ فما يحدث في شرق الوطن يتجاوب له غربه •

وما يكتب في غرب الوطن يتلاقفه ابناء الشرق ـ وهكذا كان هنـاك تفاعل وتلاحم مستمران على مدى الازمان والاحقاب التي مرت على عالمنا العربي ••

وكانت وسـائل وعـوامل كثـيرة اثرت في ذلك التفاعـل والتلاحم والانصهـار الحضـاري على مدى الايـام ـ التنقل وراء الكلأ والتجارة والقوافل التي تقطع بطاح الصحراء وتلال الرمال ••

وكانت الحروب والغزوات والفتوح احدى تلك الوسائل التي تنقل معها المعرفة والعلوم والثقافـــة والطبائع والعادات بالقدر الذي تحمل معها القوة والحقد والخراب وسفك الدماء والدمار .

وتسير مع الجيوش الغازية أو المحررة أو القاصدة وراء الكلأ والمرعى سواء اتجهت من الشرق الى الغرب أو من الغرب الى الشرق ـ الجمال والبغال والدواب وهي تحمل المؤن وعدة الحرب المتيسرة انذاك من رماح وسيوف وسهام ...

وكذا تحمل معها الاطباء والمضمدين والآسيات .. ولفافات الضماد ـ والكثير من النباتات الجافـة واوراق الاشجـــار وربما جذورها اليابســـة لاستخدامها في تضميد الجراح ومعالجة المرضى .

وبهذا الانتقال ـ من محل الى اخر ـ ومن منطقة عربية الى منطقة عربية اخرى كانت تنقل معها الخبرة والمعرفة ـ بين تلك الجيوش ـ المتحاربـة المتناحرة والاقوام الغازية .

ومثلما نمت وترعرت المعارف الطبية ، وضمادات الجراح في الشرق العربي ووسط الجزيرة العربية بالانتقال عبر الاجيال وعن الاباء والاجداد في العشيرة والواحدة والقبيلـة الواحدة ـ فقد اقتبسـوا واكتســـبوا من مخالطتهم للاقوام الاخرى .

وحدث مثل هذا التطور وانتقال المعرفة في مغربنا العربي وبخاصـــة ان الكثير ممن سكن المغرب العربي هم اقـوام وقبائل عربيـة نزحـوا من الجزيرة العربية واتخذوا من شمال افريقيا موطنا ومقاما لهم .

ونقلوا معهم بداية معرفتهم بضماد جروحهم واخراج السهـام وقطع النزيف وجبر العظام .

وهكذا كان ـ في المغرب العربي كما كان في مشرقه اناس من المنتسبين الى علوم الدين ومن رجال الجيش يتعاطون شيئا من التطبيب بما عرفوه من التجربة وبما اخذوه بالتقليد الموروث •

ومن جملة هؤلاء المتطببين الذين وردت اسماؤهم في كتب التراجم والسير مثل ـ ابي العرب ـ والمالكي ـ والدباغ ـ وابن ناجي ضمن التعريف بهم • فيقول ابن ناجي مثلا في ترجمة ابي الاسود موسى القطان •

« كان فقيه البدن يعني طبيبا »

حيث اطلق في المغرب العربي على هؤلاء المتطببين ـ فقهاء البدن ـ واحدهم ـ فقيه البدن ـ وكذا في ترجمة وحمان بن معافي ونصر بن فتح وسواهم •

وليس من شك ان مثل هؤلاء المتطببين كانوا موجودين بين الاجناد يباشرون المرضى والجرحى من المقاتلين في ميادين الغزوات والحروب • وان كنا لا نعرف الكثير عن مدى معلوماتهم الطبية ولا عن وسائل علاجهم غير ما ذكرنا عن خبرتهم بالفصد والكي وجبر العظام المكسورة وبما الفوه من المعالجة من قديم الزمان • وبديهي انه كان يوجد فقيهات البدن ـ في المدن العربية في الشمال الافريقي مثيلات للرجال المتطببين ، وهن من نساء العرب الفاتحين ومن جاء بعدهم من العرب ، فكن يعالجن ازواجهن وغيرهم من المصابين من اقاربهن بتضميد الجراحات بالاعشاب المناسبة والعقاقير المألوفة مما ورثن من خبرة وتجربة عن امهاتهن وعجائز العشيرة ••

ومن بديهيات التكوين الانساني ومنذ ظهور الانسان على سطح الارض وحتى يومنا هذا كان ولم يزل ان من وظيفة المرأة بل ومن رسالتها الكبرى في المجتمع هو تمريض الاولاد والاقارب ..

فالام هي المعينة لمعالجتهم في الصغر وحتى في الكبر لما اودع الله في طبيعتها من الصبر والاناة على ذلك ولما خصتها الطبيعة به من عاطفة الحنو والشفقة والرقة في تعاملها مع الاطفال والمرضى(١)

ومثلما نشأ الطب وتطور بهذا الشكل وقد ادى ذلك الى نشوء المشافي التي كانت تضم المرضى والجرحى وكانت تسمى (البيمارستانات) ومثلها الدار التي انشئت بالقيروان في ناحية تسمى (الدمنة) تقرب من المسجد المعروف بمسجد السبت ، وصار علما فاقتصر في تعريفه .. على كلمة (الدمنة) واسقط اسم (بيرستان) أو (مرستات) وربما عرف بأسم (حارة المرضى) .

وقد عرف من نشاط الامير (زيادة الله الاكبر) انه كان في مقدمة من زار من الامراء مؤسسة (الدمنة) وهو الباني الاول لمرستان .. القيروان ، وهو أول من اقدم على اتخاذ مدينة سوسة (دار صناعة) لتجهيز الاساطيل الحربية ، ومن هذا الاعمار والاصلاح بالقضايا الحربية والانسانية واهتمامه باقامة مرستانا في تلك المدينة لايواء المرضى من العسكر البحري وكان هذا في حوالي العقد الثاني من القرن الثالث للهجرة(٢) .

وان لم تصل تفاصيل اكثر عن نوع الخدمات التي قدمت للعسكر البحري (القوة البحرية) في ذلك الوقت والفحوصات التي كانت تجرى

---

(١) ـ حسن حسني عبدالوهاب ـ المعالم ٢ : ٢٣ ، ٢/ : ٢١٨
٢ : ٢١٤

ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية ـ مكتبة المنار ـ تونس ١٩٦٥

(٢) ـ حسن حسني عبدالوهاب ـ ورقات الحضارة العربية بافريقية ص٢١٤

لاولئك الذين ركبوا البحر ومخروا اعماقه وحاربوا الغزاة والطامعين فاننا لا نعرف شيئاً عن الاطباء الذين خدموا في تلك المستشفيات ـ وتقديرا لواقع حال العلوم في العالم العربي الاسلامي ـ من معرفة واسعة لعلوم الطب والفلسفة والجراحة والتشريح •

وقد تحدث « رينو » عن اهتمام الاطباء في المغرب بالتشريح والعمليات الجراحية ـ حيث لاحظ ان هذه العمليات لا تتمخض في الغالب عن ذيول مخطرة لندرة الاستعصاءات الناتجة عن التعفن او الاصداء والتقيح •
واستعمل الاطباء المغاربة في ـ تضميد القروح الزيت المغلي أو القطران الساخن والحناء والفحم وصمغ الصنوبر لأستئصال جراثيم التعفن •

وعند حدوث نزيف يستعملون لايقاف الدم الصوفان والمساحيق المستخلصة من اليقطين ودقيق الفول واللفافات للضغط على موضع النزف ، فاذا اعياهم الامر حاولوا الالتئام بخياطة حافتي الجرح في شكل منحرف وكذلك يلجأون الى كي العرق اما بقضيب محمي واما بقطعة خشب محماة ثم يضمد الجرح بالجاوى[1]

ومن هذه الملاحظات التي ابداها الكاتب (رينو) نجد ان الاطباء والجراحين المغاربة ينحون ويسلكون نفس المنهج العلمي في الحفاظ على الجراح من التلوث ومنع تقيحها والحد من عمل الجراثيم وان لم يعرفوها وانما كانت تجاربهم وملاحظاتهم هي المحاكاة والدليل المنطقي لاعمالهم التي اعتمدوها في الحفاظ على جراح مقاتليهم من ان تتلوث وتتعفن ـ وخير ما يمنع التلوث هو الاسلوب الذي كان شائعا في الجزيرة العربية وامتد الى المغرب العربي ـ قبل الاسلام وبعده ـ هو النار ـ والكي بالنار ـ باي اسلوب ـ الكي المباشر أو الزيت المغلي أو القطران الساخن والفحم وصمغ الصنوبر •

---

(١) ـ عبدالعزيز بنعبدالله ـ الطب والاطباء بالمغرب ص٧٠

وهذا المنهج العلاجي الذي اعتمده الجراحون والاطباء المغاربــةهــو نفس النهج الذي سلكه الاطباء العرب في الجزيرة العربية والعراق وسوريا وفلسطين في منع التلوث والحفاظ على الجروح نظيفة بعكس ما كان يحدث في اوربا الصليبية التي كانت تشجع تقرح الجروح وتلوثها وترعى صـديد الجروح ـ والتي اودت بالاف من جرحاهم •

وكذا سـيطرتهم على وقف نزيف الدم من الجروح برش المسـاحيق المعقمة المستخلصة من نباتات معينـة لها خاصيـة وقف النزيف ووضـع اللفافات والضمادات فوق تلك الجروح وعدم خياطتها • لهو دليل علمي على ادراك اهمية ترك تلك الجروح مفتوحة بالعمق حتى يتم تنظيفها وشفاؤها بالعمق بدلا من الاهتمـام بالعلاج السـطحي للقطع وترك اعماق الجرح على التعفن والالتهاب ـ الا اذا تعذر وقف النزيف ـ واشتد الخطر على الجريح فانهم يلجأون الى خياطة حافتي الجرح ـ ولكنهم بنفس الوقت يمارسـون اسلوبا علميا اخر بكي الجرح بقضيب حديدي بعد ان يسخن بالنار أو بجمرة نار خشبية ، وبعدها يضـمد الجرح وفي هذا ضـمان للسيطرة على الجرح معقما ونظيفا بعد ان يتم كي الجرح ـ وبهذا يتم تعقيم المنطقة قبل ضمادها •

ولم يغفل الاستاذ (رينو) الاسلـوب الذي يخفف به الجراحـون المغاربة آلام الجرحى قبل اجراء العمليات الجراحية او كي الجرح أو خياطـة الجروح ، فهو يشير الى تبنيج المريض اثناء العمليات الجراحية ، وقد اشار (رينو) الى ان الاطباء المغاربة كانوا يستعملـون نباتا •• وهـوب عشب مخدر[1]

واسبانيـا الاسلاميـة ـ كانت الجزء المتمم للمغرب العربـي ومن ثم للمشرق العربي ـ بالثقافة والحضارة والعلوم وقد وصـف وقارن الاستاذ

---

(١) ـ عبدالعزيز بنعبدالله ـ الطب والاطباء بالمغرب ص٣٧

(دريبر) الحال بين العالم المسيحي بحال العالم العربي الاسباني في ابان حضارة ـ العرب في اسبانيا وقال :ـ

« كان الفلاح المسيحي الاوربي اذا اصابته حادثة أو فاجأته الحمى يسرع الى ضريح اقرب قديس انتظاراً لحدوث معجزة تشفيه ، واما العربي الاسباني فكان يعتمد على تعليمات طبية ومشرط وتضميد جراحه »

ان الذي نريد ان نتعرض له في موضوعنا هذا ونرغب في ان نبحث في ابعاده المتيسرة هو الطب العسكري والخدمات الطبية التي قدمت للجيوش المتحاربة وبكل تأكيد تأتي الجراحة في المقام الاول في معالجة الجروح وقطع النزيف وفي مقدمة هؤلاء الاطباء والجراحون الذين عملوا في المستشفيات المدنية فهم كثيرون واكثرهم من عمل في الخدمات العسكرية وبين المقاتلين ولكن من سجل ملاحظاته منهم واراءه العلمية وكيف كان يعمل الطبيب والجراح هم القلة بل ومن الندرة بمكان ولم يصل الينا من تلك العلوم والاثار الا ما تناقلته تلك الكتب وقد ذهبت الايام باكثرها ولم تبق منها الا القليل ..

ويأتي في مقدمة الاطباء والجراحين والكتاب الذين سجلوا علومهم ومعرفتهم الجراح العربي الاندلسي (ابو القاسم الزهراوي) المتوفى سنة/١٠١٣م احد مواطني الزهراء بالاندلس ، حيث بلغت الجراحة ذروتها في دنيا الحضارة الاسلامية وهو النابغة ليس في دنيا الاندلس او دنيا العرب فحسب بل في ارجاء العالم في ذلك الوقت وبخاصة في مؤلفه (التصريف لمن عجز عن التأليف) .

وهو الموسوعة الطبية المهمة في العلوم الطبية وبخاصة فيما يخص علم الجراحة حيث كانت الفصول التي تبحث علوم الجراحة والالات الطبية

المستعملة في الجراحة سواء ما كان معروفا قبله والتي اضافها هو ووصفها وطرق استعمالها ـ وظل مبحثه هذا ـ العمدة في الجراحة معتمدا في اغلب المستشفيات الاندلسية والاوربية حتى القرن السادس عشر ويشمل هذا الفصل على صور توضيحية لالات الجراحة ـ « اكثر من مائتي الة جراحية » كان لها اكبر الاثر فيمن اتى من بعده من الجراحين الغربيين وفي هذا الخصوص يقول عالم وظائف الاعضاء « هالر » :ـ

ـ ان جميع الجراحين الاوربيين الذين ظهروا بعد القرن الرابع عشر قد نهلوا واستقوا من هذا المبحث (١)

وقد قال احد الجراحين الغربيين :ـ

« لا شك في ان الزهراوي اعظم طبيب في الجراحة العربية وقد اعتمده واستند الى بحوثه جميع مؤلفي الجراحة في القرون الوسطى ـ وهو أول من ربط الشرايين وعالج الشلل ـ وأول من استعمل خيوط الحرير في العمليات الجراحية »(٢)

وقد ساعدت جهود (ابي القاسم) اكثر من اية جهود اخرى في هذا الميدان على رفع مستوى الجراحة العسكرية والعامة في اوربا المسيحية كما يعترف بذلك كل من كتب في الموضوع •

حيث ترجم « جيرار الكريموني » مبحثه في الجراحة واصبح أول كتاب تعليمي في اوربا زهاء خمسة قرون نرى ان تعاليمه في الجراحة بقيت يانعة حية مزدهرة زمنا طويلا، واثرت وتفاعلت مع جهود جميع الجراحين الذين ظهروا في وقته وعاصروه وعند كل من جاء بعده حتى عصر (امبرواز باري) المتوفى ١٥٩٠م •

---

(١) ـ جلال مظهر ص٢٣١ ، ٣٣٢

(٢) ـ عبدالعزيز بنعبدالله ـ الطب والاطباء بالمغرب ص٨٢

وقد طغت اساليبـــه الجراحيـة وطرقـــه العلمية على طرق التجريبيين المحدثين[1]

وقد اعترف جميع الكتاب المنطقيين المنصفين والذين كتبوا بموضوعية وتجرد ، بان اسبانيا الاسلامية كانت الدولة الوحيدة في اوربا التي كانت تباشر فيها الجراحة بواسطة جراحين اطباء في حين ظلت الجراحة في اوربا في ايدي الحلاقين حتـى العصر الحديث ، وفي هذا الصـــدد يقول الاسـتاذ « كامبل »

« كانت الجراحة في اسبانيا في القرن الثالث عشر تتمتع بسمعة اعظم من سمعتهـا في باريس او لندن أو ادنبره ، ذلك ان ممارسي مهنـة الطب في سرقسطة كانوا يمنحـون لقب (طبيب - جراح) للجراح المتخرج وقـابل للممارسة الطبية والجراحية

بينما كان لقبهم في اوربا حلاق - جراح

وقد ذكر العلامة الاميركي « فكتور روبنسن » بانه كان في طليطلـــة وحدها ما يزيد على اربعمائة مستشفى »[2]

ولم يذكر التفاصيل عن تلك المستشفيات لبيان حجمها اهي عمومية أم - اختصاصيـة - ولكن وبكـل تأكيد وما يمليـه المنطق ان الكثير من هذه المستشفيات - أو اجزاء منها قد خصصت للاغراض العسكرية ، ولخدمات الجند بعد الحروب والغزوات لتدبير الجروح المتبقية وكذا لفحص ومعالجـة الاجناد .

جاء في وفيات الاعيان - لابن خلكان - ان ابا الحكم عبيدالله الباهلي

---

(١) - جلال مظهر ص٣٣٣ ، ٣٣٤

(٢) - جلال مظهر ص٣٣٦

(٣) - عبدالعزيز بنعبدالله ص١٤

كـان طبيب البيمارستـان الذي كـان يحملـه اربعـون جملا وكـانت هذه المستشفيـات تجهز بجميع ما يلزم المرضى ، وتطـوف بالبلدان النائيـة التـي لا توجد فيهـا مستشفيـات ثابتـة والتـي يظهر بهـا وباء أو مرض معد أو حروب[1]

فاذا كانت هناك مستشفيات ميدانية متنقلة ترافق الجيوش وتنقل من مكان وقت الحروب والغزوات ، فلابد من تواجد مستشفيات ثابتة لفحص ومعالجة الاجناد ـ وقت الراحة والسلم والتدريب والاستعداد للحروب .



(١) ـ جلال مظهر ص٣٥٠
وفيات الاعيان جـ ص

معجــم الاسماء



al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين





« محتويات الكتاب »